

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد
٥٥٧
٥٥٧

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

المرأة في القصة القرآني

إعداد الطالبة

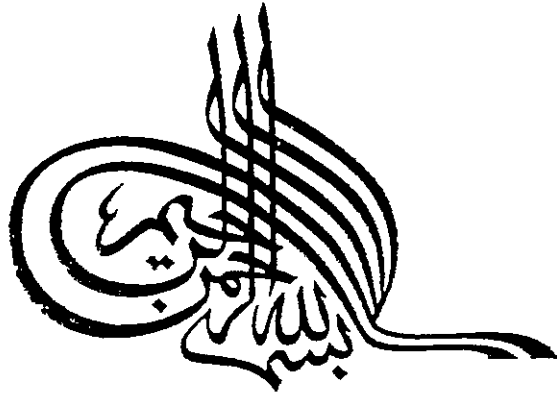
هداب محمد احمد الحاج حسين

إشراف

د . محسن الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية ، في نابلس ، فلسطين

1424 هـ - 2003 م



بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة في القصص القرآني

إعداد الطالبة

هداب محمد احمد الحاج حسين

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2003/8/19 م وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة :

1- د . محسن الخالدي :
م. محسن الخالدي
جامعة البعلبعا - كلية الشريعة

2- د . علي علوش :

3- د . محمد الشريدة :
محمد حافظ صالح الشريدة
التوقيع

﴿ الإهداء ﴾

كالزهر يشرف إذ يهدي شذاه إلى الهادي البشير وخير العرب والعجم

إلى الرسول الذي عمت فضائله كل الخلاق والأقوام والأمم⁽¹⁾

إليك سيدي أبا القاسم يا رسول الله ، وإلى صحبك الكرام البررة - رضوان الله عليهم - سادة

الدنيا وأسائذة الحياة .

إلى روح جدّي الندية رحمه الله رحمة واسعة .

إلى والديّ واخواني .

أقدم هذا العمل المتواضع .

1- هذان البيتان الشعريان للأستاذ : محمد الحاج حسين / مشرف اللغة العربية في مكتب تربية جنين

﴿ شكر وتقدير ﴾

قال تعالى : (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ)⁽¹⁾

وقال صلى الله عليه وسلم : (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)⁽²⁾

أتقدم لأستاذي الفاضل الدكتور : محسن الخالدي بالشكر والتقدير والعرفان لتفضله بقبول الإشراف على هذا البحث ، حيث خصص له من وقته الثمين ، وبذل جهداً خيراً في تتبّعه ، ولقد كان لنصائحه ، وملاحظاته اكبر الأثر في تمكيني من إتمام البحث ، واخراجه على هذه الصورة .

كما ويسعدني ان أتقدم بوافر الامتنان والشكر للدكتور الفاضل محمد الشريدة عضو لجنة المناقشة ، اشكر له جهوده وما قدم من ملاحظات ايجابية .

اما عضو لجنة المناقشة ، الدكتور الفاضل علي علوش فله مني عظيم الشكر والعرفان لما قدم من نصائح ، ولما ابدى من ملاحظات قيّمة ، افدت منها عظيم الفائدة - جزاه الله عني خيراً - وحفظه سنداً للعلم وخادماً للسنة .

ولا يفوتني ان اشكر أساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة ، الذين تتلمذت على أيديهم ، واغترفت من ينابيع علمهم .

ولا يفوتني أن اشكر الأستاذ خضر أبويشاره مشرف الحاسوب في مديرية تربية جنين لتفضله بطباعة هذه الرسالة ، ولكل من أزرني ، وساعدني وأشار عليّ ، لهم مني الشكر ، وجزاهم الله عني خيراً .

1 - النمل (آية : 40)

2 - (الترمذي / الإمام محمد بن عيسى بن سورة / سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح (دار الفكر/ ط: 2) // قال عنه الترمذي هذا حديث صحيح / (228/3) حديث رقم (2020)

فلسفة

﴿ فهرس المحتويات ﴾

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	الإهداء	ب
2	الشكر والتقدير	ج
3	فهرس المحتويات	د
4	الملخص	ح
5	مقدمة	1
6	مدخل إلى دراسة القصص القرآني	4
7	المبحث الأول : القصص لغة	5
8	المبحث الثاني : القصص اصطلاحاً	6
9	المبحث الثالث : ما الذي يعنيه القصص القرآني للمجتمع المسلم	7
10	الفصل الأول : قصص المرأة المؤمنة في القرآن الكريم	10
11	المبحث الأول : العرض القرآني للشخصية المؤمنة	12
12	المبحث الثاني : مزايا العرض القرآني للشخصية المؤمنة	17
13	المبحث الثالث : حواء زوج آدم - عليه السلام -	20
14	المطلب الاول : الخلق من نفس الزوج	20
15	المطلب الثاني : موقف حواء من وسوسة الشيطان	22
16	المطلب الثالث : الهبوط والتوبة	24
17	المطلب الرابع : عبر من شخصية حواء	30
18	المبحث الثالث : امرأة فرعون	34
19	المطلب الاول : الابتلاء والمصايرة	34
20	المطلب الثاني : الجزاء الأوفى	38
21	المطلب الثالث : عبر من قصة امرأة فرعون	40
22	المبحث الرابع : ملكة سبأ	44
23	المطلب الاول : الملك من دون الرجال	44
24	المطلب الثاني : الحنكة وحسن السياسة	47
25	المطلب الثالث : الهداية ثمرة للتعقل والحكمة	52
26	المطلب الرابع : عبر من قصة الملكة	54

57	المبحث الخامس : ام موسى - عليه السلام	27
57	المطلب الاول: وضع الوليد بين الخوف والرجاء	28
60	المطلب الثاني : رجوع الوليد	29
61	المطلب الثالث : عبر من ذكر أم موسى	30
63	المبحث السادس : امرأة عمران ومريم ابنة عمران	31
64	المطلب الاول: النذر والتقبل	32
66	المطلب الثاني :الاصطفاء والبطارة	33
69	المطلب الثالث : المعجزة ثم المواجهة	34
74	المطلب الرابع : عبر من قصة مريم	35
80	الفصل الثاني : المرأة الكافرة في القصص القرآني	36
82	المبحث الأول: شخصية المرأة الكافرة في القصص القرآني	37
82	المطلب الاول:العرض القرآني للشخصية الكافرة	38
84	المطلب الثاني : سمات نسوة الكفر	39
85	المبحث الثاني : زوج نوح وزوج لوط - عليهما السلام -	40
85	المطلب الاول: المثلية في الكفر	41
87	المطلب الثاني : ما نوع الخيانة	42
89	المطلب الثالث : الجزاء من جنس العمل	43
91	المطلب الرابع : عبر وعظات من الشخصيتين الكافرتين	44
94	الفصل الثالث : نساء قل ذكرهن في القصص القرآني	45
95	المبحث الأول : سارة زوج إبراهيم - عليه السلام -	46
96	المطلب الاول: الهجرة فراراً بدين الله	47
98	المطلب الثاني : التبشير بالسلام	48
101	المطلب الثالث : عبر من قصة سارة - زوج إبراهيم - عليه السلام	49
104	المبحث الثاني : زوج أيوب - عليه السلام -	50
104	المطلب الاول: صلاح وصبر	51
105	المطلب الثاني : لمة تتسلل إلى الزوج الصالحة	52
107	المطلب الثالث : عبر من الإشارة إلى زوج أيوب - عليه السلام -	53
109	المبحث الثالث : أخت موسى - عليه السلام -	54
110	المطلب الاول: الترقب والتتبع	55

111	المطلب الثاني: عرض المساعدة واكتان الغرض	56
112	المطلب الثالث: عبر من ذكر أخت موسى - عليه السلام -	57
113	المبحث الرابع: ابنتا الرجل الصالح	58
114	المطلب الاول: بين العفة ومزاحمة الرجال	59
117	المطلب الثاني: رغبة في الاستقرار يعقبها نكاح ميمون	60
119	المطلب الثالث: عظات وعبر من ذكر شأن المرأتين	61
121	المبحث الخامس: امرأة العزيز ونسوة امرأة العزيز	62
122	المطلب الاول: المراودة وتغليق الابواب والاستعصام من جهة يوسف - عليه السلام -	63
126	المطلب الثاني: إفك جريء وادعاء كاذب	64
127	المطلب الثالث: شهادة حق إكراماً ليوسف - عليه السلام	65
130	المطلب الرابع: بطانة السوء تتولى نشر الواقعة	66
132	المطلب الخامس: إصرار أعمى، مراودة على المأ، ومحنة أخرى للنبي الكريم	67
134	المطلب السادس: اعتراف بالذنب، وبراءة ليوسف - عليه السلام -	68
137	المطلب السابع: عبر من شخصية امرأة العزيز، ونسوة المدينة	69
140	الفصل الرابع: الإسرائيليات في قصص النساء	70
141	المبحث الأول: دوافع دس الإسرائيليات	71
141	الحقد والكراهية للإسلام وأهله	72
142	الحسد	73
142	اتباع الهوى	74
143	المبحث الثاني: كيفية دخول الإسرائيليات	75
144	المطلب الاول: ما دخل بحسن قصد ونية	76
144	المطلب الثاني: ما دخل بسوء قصد ونية	77
145	المبحث الثالث: كيفية التعامل مع الإسرائيليات	78
145	القسم الاول: ما يُعلم صحته	79
145	القسم الثاني: ما يُعلم كذبه	80
146	القسم الثالث: المسكوت عنه	81
147	المبحث الخامس: دروس وعظات مستفادة من ذكر الاسرائيليات	82

154	الخاتمة	83
155	التوصيات والاقتراحات	84
156	المراجع والمصادر	85
166	فهرس الآيات القرآنية	86
172	فهرس الأحاديث الشريفة	87
174	فهرس التراجم	88
178	فهرس الأعلام	89
II	ملخص باللغة الإنجليزية	

﴿ الملخص ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ومن صحبه ووالاه وبعد : -

فقد تعرضت الباحثة لموضوع المرأة في القصص القرآني دراسة وبحثاً وتفسيراً فكان من الشخصيات المعروضة المرأة المؤمنة كحواء وآسيا وأم موسى ، والمرأة الكافرة كامرأتي نوح ولوط - عليهما السلام - ، والمرأة التي قلّ ذكرها كامرأة العزيز وابنتي الرجل الصالح وامرأة أيوب النبي الكريم - عليه السلام - ثم تعرضت الباحثة للروايات الإسرائيلية في الشخصيات النسوية ، كل طائفة منها على حدة وقامت بتفنيد الروايات والكشف عن كذبها بعد أن اتبعت سبيل التفسير الموضوعي في ذلك .

وحرصت الباحثة على أن تجعل مدار البحث قائماً على استيضاح السنن الكونية لله - عز وجل في خلقه وعلى تجميع تفاصيل القصة وجزئياتها من المواضيع المتفرقة في كتاب الله لتشكّل قصة متكاملة ، واضحة المعالم ، دقيقة التسلسل ، وعملت الباحثة كذلك على إبراز ما قاد إليه الاستيضاح والتجميع من عظات وعبر تصلح أن تكون زاداً فكرياً واجتماعياً واقتصادياً ودعويّاً للفرد والمجتمع المسلم .

وقد تركت الباحثة التفصيل في بعض الجزئيات المسكوت عنها في تلك القصص لعدم وجود دليل صحيح يدل عليها ولعدم جدواها إذ لو كانت ذات قيمة مهمة لأوضح السياق القرآني كنهها كوصف عرش ملكة سبأ ، ونوع الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عن قربها ، وفي بعض الجزئيات الأخرى حرصت الباحثة على دراستها بدقة والترجيح بينها وفق توارد الأدلة وقوة الحجة ، ذلك لأن المعنى يتوقف على معرفتها كالخلاف في شخصية شاهد امرأة العزيز، وكالخلافاً في المراد بقوله تعالى (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) (آل عمران : 24) في قصة مريم- عليها السلام - وفي نهاية البحث ، تحدّثت عن الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير .

﴿ مُقَدِّمَةٌ ﴾

الحمد لله حمد طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل خلقه، وسيد
رسله، وارض اللهم عنه وصحبه واتباعه ومن والاه، وبعد،

فان الله سبحانه وتعالى انزل القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هدى للناس،
قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ
شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ
وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (1)

وقال عز من قائل: (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)، (2) وفي القرآن شفاء ورحمة،
قال تعالى: (وَتُنزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (3)
ومن هنا كان على المسلم والمؤمن ان يلتمس الشفاء والهدى من القرآن الكريم، فيقرأ القرآن
قراءة تدبر وتفكر وامعان، ليتعرف الى عظمة الخالق والى مشيئته في تدبير الكون من خلال ما
ارسى من القوانين والظواهر الكونية، ويتعرف الى الاحكام الشرعية فيلتزم بها. ويأخذ العبرة
من قصص القرآن التي تحكي اخبار الماضين، وللقصص حيز من كتاب الله فيها سير من خلا
من الامم السابقة، كيف احسن الله الى المحسنين منهم، وكيف جازى المتجبرين بظلمهم وما الله
بغافل عما يفعل الظالمون.

قرأت كتاب الله الكريم مرات ومرات، كنت وانا اقرأ اشعر بالطمأنينة والامان ، اشعر
بعناية الخالق تحوط عباده المؤمنين، كنت اشعر ببرد اليقين، وشفاء الغليل... فالقرآن يرد على
كل سؤال يساور النفس. ويجيب على كل حيرة تراود العقل... وفي اخبار الماضين عبرة يقصها
الله علينا... ان للقصص دورا عظيما، وفيه فائدة كبيرة... واخذ موضوع القصص القرآني يلح
علي... اريد ان استزيد في باب القصص القرآني ما وجدت الى المزيد سبيلا... وقد وجدت
ضالتي في مؤلفات كثيرة منها القديم التالد ومنها الحديث الطارف، فنهلت منها ما استطعت،
وكننت ابحث عن مؤلف يخص المرأة في القصص القرآني فلم اجد ذلك المؤلف، مع ان
الموضوع جدير بالعناية، وتحقيق بالرعاية، ويستحق الاهتمام والدراسة.

من هنا نشأت الرغبة عند الباحثة لتناول هذا الموضوع، وافراد بحث خاص بعنوان "المرأة في
القصص القرآني" ورأيت في قول الدكتور فضل عباس: (كان لعنصر المرأة في قصة موسى
اثر غير قليل، حيث ظهرت في هذه القصة اكثر من غيرها، ومجموع ما في هذه القصة يعطينا

1 - بقرة : (185)

2 - بقرة : (2)

3 - سراء : (82)

نموذجاً للمرأة من حيث نفسيّتها، وقدراتها، وعملها الاجتماعي وحكمها على الأشياء (4) مما يشدّد هذه الرغبة عند الباحثة.

ولما نمت الرغبة عند الباحثة واستولت عليها، استخارت الله سبحانه وتعالى واستشارت ذوي الاختصاص، واهل المعرفة، فأشاروا عليها بالكتابة في الموضوع. فتمت عزيمة الباحثة، واستعانت بالله طالبة منه التوفيق، ورأت في اساتذتها عموماً، وفي الدكتور مُحسِن الخالدي خاصة خير مرشد وداع لهذا البحث.

هذا، وستحرص الباحثة على تخصيص بحثها في المرأة في القصص القرآني وستبذل الجهد على توضيح صورة المرأة كما عرضتها الآيات القرآنية، سواءً أكانت امرأة مؤمنة ام (غير مؤمنة) كافرة. وستحرص الباحثة على استنباط العظات، والنمّاس العبر، ذلك ان العظات والعبر تجعل من هذه القصص مرجعية قيمة لمسلمي العصر، فيكون في دراسة القصص القرآني ربط لوقائع الايام، واستيضاح لسنن الله في خلقه.

وسوف تتبع الباحثة سبيل التفسير الموضوعي في بحثها، فتتناول كل شخصية من النسوة اللاتي ورد ذكرهن في القصص القرآني حسب ورودها في المواضع العديدة من كتاب الله على حده.

وقد قامت الباحثة بتقسيم هذا البحث الى: -

مقدمة: وتناولت الباحثة فيها الدافع الى اختيار موضوع البحث .

وتمهيد: ويتمثل في كونه مدخلاً لدراسة القصص القرآني، وتعريفه واسبابه، وثمرته الواقعية.

وفصول اربعة وهي كالتالي :

الفصل الاول: وسوف تتناول الباحثة فيه شخصية المرأة المؤمنة في القصص القرآني، وسوف

يشمل ستة مباحث: -

المبحث الاول: شخصية المرأة المؤمنة في القصص القرآني.

المبحث الثاني: حواء - عليها السلام.

المبحث الثالث: آسيا زوج فرعون - عليها السلام.

المبحث الرابع: ملكة سبأ - عليها السلام.

المبحث الخامس: ام موسى - عليها السلام.

المبحث السادس: مريم ابنة عمران، وامها امرأة عمران - عليهما السلام.

الفصل الثاني: سوف تتناول في الباحثة شخصية المرأة الكافرة في القصص القرآني. ويكون

من مبحثين: -

المبحث الأول: شخصية المرأة الكافرة في القصص القرآني.
المبحث الثاني: زوج نوح، وزوج لوط – عليهما السلام.

الفصل الثالث: سوف نتناول فيه الباحثة النسوة اللاتي قل ذكرهن في القصص القرآني. وسيكون في هذا الفصل خمسة مباحث: –

المبحث الأول: زوج إبراهيم – عليه السلام - .

المبحث الثاني: زوج أيوب – عليه السلام.

المبحث الثالث: أخت موسى – عليه السلام.

المبحث الرابع: ابنتا الرجل الصالح (صالح مدين).

المبحث الخامس: امرأة العزيز، ونسوة امرأة العزيز.

الفصل الرابع: سوف نتناول فيه الباحثة الإسرائيليات في قصص النساء، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: دوافع دس الإسرائيليات.

المبحث الثاني: كيفية دخول الإسرائيليات.

المبحث الثالث: كيف نتعامل مع الإسرائيليات.

المبحث الرابع: نماذج من الإسرائيليات، وردود عليها.

المبحث الخامس: دروس وعبر من وجود الإسرائيليات.

وخاتمة البحث: وفيها خلاصة البحث، ونتائجه، والتوصيات، والاقتراحات.

مدخل إلى دراسة القصص القرآني

المطلب الأول : القصص لغةً

المطلب الثاني / القصص اصطلاحاً :

المطلب الثالث : ما الذي يعنيه القصص القرآني للمجتمع المسلم ؟

مدخل إلى دراسة القصص القرآني

المطلب الأول : القصص لغة :

" قصّ عليه الخبر " قصصاً " أعلمه به واخبره ، ومنه قصّ الرؤيا . قصّ أثره . أي : تتبّعه ، وكذلك اقتصّ أثره ، وتقصّص أثره ، يقال أقصها قصاً ، وقوله تعالى : (فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)⁽¹⁾ أي : رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر ، وقوله تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)⁽²⁾ أي : نبين لك أحسن البيان ، وقال بعضهم القصّ : البيان ، والقصص الاسم ، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتبع معانيها وألفاظها ، ومنه قولهم : " القاصّ ينتظر المقت ، والمستمع إليه ينتظر الرحمة " ، وكأنه لما يعترض في قصصه من الزيادة والنقصان وقيل : القاصّ من يقص القصص لأتباعه خيراً بعد خبر ، وسوقه الكلام سوقاً⁽³⁾ . والقصة : الأمر والحديث ، وقد اقتصصت الحديث : رويته على وجهه ، وقد قصّ عليه الخبر قصصاً ، والاسم أيضاً القصص بالفتح ، ووضِع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه ، والقصص ، بكسر القاف ، جمع القصة التي تكتب⁽⁴⁾ " والقصّ : فعل القاصّ إذا قصّ القصص ، ويُقال : في رأسه قصة : يعني الجملة من الكلام "⁽⁵⁾

و " القصص " : رواية الخبر والخبر المقصوص والأثر ، " القصاص " : القاص " للقصة " : التي تكتب و - الجملة من الكلام . و - الحديث . و - الأمر . و - الخبر . و - الشأن . وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع ، أو منهما معاً ، وتبني على قواعد معينة من الفن الكتابي " محدثة "⁽⁶⁾ . إذن فالقصة مفردة ، والقصص : جمع وهي المصدر ، والقاص : اسم فاعل ، وهو الذي يقوم بفعل القصّ ، والقصاص صيغة مبالغة ، أي كأن القيام بفعل القصّ هو الإتيان على القصة من جميع جوانبها ، والإمام بكافة أطرافها .

1 - الكهف (آية 64) . 2 - يوسف (آية 3) .

3 - الزبيدي ، محب الدين ابي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الحنفي / شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس / مادة قصّ / دار الفكر للطباعة والنشر // (ط / 1) // (ج 3 / ص 433) وسأشير إليه فيما بعد (الزبيدي / تاج العروس) .

4 - الجوهرى / ابو نصر اسماعيل بن حماد / تاج اللغة وصحاح العربية / تحقيق د. اميل يعقوب / د. محمد طريفي / باب الصاد / فصل القاف (منشورات محمد علي / ط 1 / ج 3 / ص 257) .

5 - ابن منظور / ابو الفضل محمد بن مكرم الافريقي / لسان العرب // (باب القاف / فصل الصاد) // (دار الفكر / ط : 3) ج 7 / ص 74 / وسأشير إليه (ابن منظور / لسان العرب) .

6 - المعجم الوسيط (ابراهيم مصطفى / احمد الزيات / حامد عبدالقادر / محمد النجار) اشرف على طبعه (عبدالسلام هارون) (دار احياء التراث العربي / ط : 1) / ج 2 / ص 746

المطلب الثاني / القصة اصطلاحاً : -

القِصص : هو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل (1) " القصة : معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، كقصة الفيل ، وحرب البسوس ، وحرب الفجار ، فالقصة قاموس تُقرأ منه أحوال الأمة ، اهتماماتها ، توجهاتها ، عقائدها حياتها الاجتماعية ، ووضعها الاقتصادي والنفسي ، إذ أن هذه الجوانب مرتبطة ببعضها ارتباطاً حيوياً وثيقاً " (2) .

القصة الأخبار المنتبجة ، قال تعالى : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) (3) .

" والخلاصة أن مادة (قصص) تقوم على التتبع ، سواء كان التتبع مادياً كقص العظام ، وقص الشعر ، وقص الأثر ، أو كان التتبع معنوياً كقص الأخبار وقص الكلام " (4)

ومن خلال ما ذكره الجوهري فإن الفرق بين القصة - بالفتح وبين القصة - بالكسر - هو أن " القصة - بكسر القاف - هي جمع قصة ، تقول فلان يكتب القصة ويرويها ، أما القصة - بفتح القاف فهي الأخبار والروايات التي يتتبعها القاص ويرويها ، كما أنه يرد بمعنى المصدر ، تقول : قص قصصاً وقصاً (5) .

أما د . فضل عباس فيتحدث عن القصة فيقول : -

" القصة : هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة ، أو عدداً من الحوادث بينها ترابط سردي ، ويجب أن تكون لها بداية ونهاية . تقسم القصة إلى قسمين

هما : - القصة الواقعية : تتبع المدرسة الواقعية (Realisme)

والقصة الخيالية : تتبع المدرسة الخيالية أو الشاعرية كما يسميها بعض أنصار هذا الفن ، ولكن التعرض للقصة القرآني من حيث هذا التصنيف إلى قصة خيالية وقصة واقعية ، يعتبر تجاوزاً عما في هذه القصة من إعجاز زمني ، لأنها جمعت في روعة بين الحقيقة والخيال ، وبأسلوب لم ولن يكون له مثيل ، هذا ما يسمي بالأسلوب الرومانتيكي في قصص القرآن ، وهو أنه مع واقعية هذا القصة فإن أسلوبها المعجز اسبغ عليها من روعة التشبيهات ما جعلها فريدة في نوعها من حيث الجمع بين الخيالية والواقعية (6)

1 - الجرجاني / الشريف علي بن محمد / كتاب التعريفات (دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ط 1) ص : 2 179

- الهاشمي / احمد / جواهر الأدب / (دار الفكر / ط : 1) (ج 2 / ص 22) .

3 - (آل عمران) آية 62)

4 - الخالدي / د . صلاح / القصة القرآني عرض أحداث وتحليل وقائع / (دار القلم / ط : 1) (ج 1 / ص 20)

وسأشير إليه فيما بعد (الخالدي / القصة القرآني)

5 - (الجوهري / تاج اللغة) / فصل القاف ، مادة قص / (258/3)

6 - عباس / القصة القرآني ص 22-24 .

" فالقصة سلسلة أو سلاسل من الوقائع ، سلاسل تلتقي لتكون عملاً قصصياً طويلاً ، لا يُكتفى فيه بجزءٍ من الأجزاء ، فهي ليست نبذة ، إنما هي كل كبير ، إنها نهر زاخر فياض بالحياة واسع الرّحاب والآفاق ، يتدفق القاصّ فيه كما يريد من غير انقطاع ، حتى يصل إلى نهاية قصته وتتجلى وحدة الأحداث بيّنة واضحة ، والقصة تسمو كلما تغلغت في دراسة الإنسان وواقعه ، واكثرت من عرض دخائله ودخائل الحياة ، إنها تنقل لنا الحياة بأكملها ، بجلايلها وتافهها ، وحوادثها الصّغيرة والكبيرة ، لا فرق بين تافهٍ وغير تافهٍ ، فكلها تتحوّل في مخيلة القاصّ البارِع إلى أشياء مهمة مثيرة ، وكلمة الأسلوب القصصي لها معنيان : معنى عام يشمل بناء القصة كلّها لجميع موادّه وعناصره ، ومعنى خاص يقف عند التعبير ، ووسائله اللّغوية وخصائصه اللّفظية " (1)

المطلب الثالث : ما الذي يعنيه القصص القرآني للمجتمع المسلم ؟

القصة إذن فن قديم جديد ، محبب إلى النفوس ، قريب من القلوب مؤنس للأرواح ، متميّز في أداء المطلوب ، يفعل فعله ويترك أثره ، ويضفي على القارئ والسامع رونقه لهذا السبب وغيره شغلت القصص حيزاً كبيراً من كتاب الله - سبحانه - لأنها شغلت حيزاً من حياة الناس كبيراً فكان في ذلك الكتاب - كتاب الحياة والتشريع - تلبيةً لحاجات أولئك الناس ، واشباعاً لرغباتهم ، وفي ذلك سر من أسرار صلاحية هذا الكتاب للتشريع والحكم في كل الأزمنة والأمكنة ، فالإنسان هو ذات المخلوق إن كان لامعاً يشار إليه بالبنان ، وإن كان متواضعاً في قدراته وإمكاناته ، إنه هو ذات الإنسان في طبائعه الأصلية وسماته الطبيعية . ولو أننا أردنا إقناع شخص أو جماعة بفكرة لكانت القصة هي الطريق الأقصر والأكثر سلامة والأبلغ حجةً والأنجع وسيلة ، ذلك أن فيها الحوار ، والحوار فيه الأخذ والرد ، والإيجاب والسلب ، ولكن مع ذلك فيه الدليل والحجة ، فيه البرهان والقوة " وجاء الإسلام من خلال القرآن الكريم ليكون دين الحوار الذي يُتيح للفكر أن يفكر في كل شيء ، ليتحدّث عن كل شيء وليحوار الآخرين على أساس الحجة والبرهان والدليل ... ليعلمهم كيف يصلون إلى قناعته وآفاقه بالكلمة الحلوة والأسلوب الطيب والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ... وتقدّم الإسلام ... وتقدّمت معه تجارب الحوار وعرف المسلمون كيف يفتحون على العالم من خلال ذلك ، وكيف ينطلقون إليه في رسالتهم في أجواء الحوار التي تحترم الإنسان الذي - يختلف معها لنقوده إلى أفكارها من موقع احترام الفكر والكلمة والموقف (2)

1 - ضيف /شوقي/ في النقد الأدبي /دار الفكر /ط:1/ ص 225 . 2 - (فضل الله /محمد حسين / الحوار في القرآن . قواعد - أساليبه - معطياته/الدار الإسلامية /ط:1/ / ص 2-3 (من مقدمة الكتاب)

ومن هنا فإن للقصص القرآني دلالات وفوائد أهمها : -

أولاً : كان في ذلك الحوار الذي يحتضنه القصص في القرآن الكريم منهج تعليمي للأمة وللدعاة ، الأمة التي كانت متناحرة متضادة فيما بينها ، همها الغزو والنهب والثأر فأصبحت في فترة وجيزة من عمر الزمن رائدة في كل خير رادعة عن كل سوء ، إن من ضرورات انتشار الإسلام الدعوة ، ومن ضرورات الدعوة انتقاء سبيل لمحادثة الناس وحوارهم ، وفي القصص القرآني كنز كبير من الدروس والمناهج الدعوية ، ومنها يُتعرّف إلى مكانن الفطرة في المرء ونقاط ضعفه وقوته ، كل ذلك للأخذ بيده وإخراجه من الظلمات إلى النور ، ولو أن المسلمين الأوائل ركنوا إلى الدعوة ولم ينهضوا بأعباء تلك الدعوة لما وصل الإسلام إلينا ولما انتشر كل هذا الانتشار .

" ولقد سئل أحد المستشرقين عن سر انتشار الإسلام فقال : كان كل من يدخل في هذا الدين يعدّ نفسه محمداً ﷺ. (1) أي : يرى نفسه المسؤول الأول عن التبليغ ويعمل لذلك بدأب وجد كأنه ذات النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنزل عليه الوحي.

ثانياً : " لقد جاء القصص القرآني ليعمق العقيدة في النفوس ، ويحيي بها القلوب ويسلك لتلك القضية المهمة الخطيرة أحسن الطرق إمتاعاً للعقل وإمتاعاً للعاطفة " (2) قال تعالى : (وَكَلِّمَ نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ) (3) إن الله تعالى أراد من القصص القرآني تثبيت فؤاد النبي ﷺ وقلوب أصحابه واتباعه ، وقلوب أمته في كل زمان ومكان ، والقصص القرآني يحقق هذا الهدف الرائع لكل من سار على طريق رسول الله ﷺ في التربية الدعوية ، وفي الإصلاح والجهاد والمواجهة ، فهو يقدم لهم الزاد والعدّة ويقدم لهم المعرفة والفائدة ، ويمنحهم الوعي والبصيرة ، ويشحذ همهم ، ويرفع معنوياتهم ، ويسمو بنفوسهم ، ويصوب مسيرتهم وحركتهم " (4) .

ثالثاً : التفكير والتدبر : ورد هذا الهدف في التعقيب على قصة ذلك التعس الذي انسلخ من آيات الله ، وسار مع الباطل ، (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (5) يأمر الله رسوله ﷺ أن يقصّ قصة هذا التعس المنسلخ من آيات الله وأمثاله وأشباهه ، وأن يقدمها للناس لعلمهم يتفكرون ويتعظون ، ويستفيدون فيرتدعون ، إذ أنّ من أهداف القصص القرآني تفكّر الناس واتعاطهم ، لأن الأصل أن يفتحوا عقولهم لما يسمعون من حوادث ذلك القصص ، وإن يعتبروا بما جرى للهاككين ، وأن يقتدوا بالصالحين .

1 - (منصور / أنيس) (الخالدون مائة اعظمهم محمد ﷺ رسول الله) (الزهراء للإعلام / ط: 7 / ص 16)

3 - هود (آية 12)

2 - (عباس / القصص القرآني / ص 25)

5 - الأعراف (آية: 175)

4- (الخالدي / القصص القرآني / 33/1)

رابعاً : الاعتبار والاعتاظ ، قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَابِ) (1) إنها العبرة بما جرى للسابقين ، ولا يعتبر بها إلا أولو الأبواب " لقد كان في قصصهم عبرة " هذا تعقيب على قصة يوسف في السورة وتبيين لغرض ذكرها ، وهو ليس للتسلية أو المتعة القصصية ، او السرد التاريخي ، وإنما هو العبرة والعظة .

خامساً : في القصص القرآني دلالة على صدق النبوة ودحض لشبهه المبطلين ، فهي كم من الأحداث قد وقع في أزمنة معظمها موغلة في القدم ، فأنى لرسول الله ﷺ أن يُخبر عنها ويسردها على قومه لو لم تكن وحياً يوحى ؟ .

يقول صاحب الأساس في التفسير عند قوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ) (2) " أي علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شيء ، وعبرة ومواعظ لمن سأل عن قصتهم واستخبر عنها ، فإنها خبرٌ عجيب يستحق أن يُخبر عنه ، وفي ورود هذه القصة في القرآن ، آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن هذا القرآن من عند الله ، إذ تلاها محمد ﷺ على الخلق دون أن يسمعا من أحد ، ودون أن يتلو كتاباً " (3)

سادساً : إحياء ذكر الأخيار والصالحين ترغيباً للأمة الإسلامية بالصلاح والتمسك بحبل الله . يقول الثعلبي " انه قصّ عليه أخبار الأنبياء والأولياء الماضين ، إحياءً لذكورهم وآثارهم ليكون الحق منهم في إبقاء ذكره مثبتاً له تعجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة " (4)

سابعاً : إظهار منة الله عز وجل على أمة محمد ﷺ : - ذلك من خلال التخفيف عن هذه الأمة واعطائها ما لم تُعط غيرها من الأمم ، إذ ان القصص القرآني يثبت أحوال الأمم السابقة ويوضح التيسير في الأحكام على أمة الإسلام ، وبالمحصلة فهو مدعاة الى تقوى الله ورعايته حرمانه وتعظيم شعائره وشكر نعمه وفضله .

1 - يوسف (آية : 110) .

2 - يوسف (آية : 7)

3 - (حوى / سعيد) / الأساس في التفسير (دار السلام للطباعة والنشر / ط : 1 / ج 5 / ص 2635) وسأشير إليه عند وروده فيما بعد (حوى / الأساس)

4 - (الثعلبي / أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري) / قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس / (دار الكتب العلمية / ط : 1 / ص 3)

الفصل الأول

قصص المرأة المؤمنة في القرآن الكريم وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول :

العرض القرآني للشخصية المؤمنة

المبحث الثاني :

حواء عليها السلام

المبحث الثالث :

آسيا زوج فرعون

المبحث الرابع :

ملكة سبأ

المبحث الخامس :

أم موسى - عليه السلام -

المبحث السادس :

مريم بنت عمران وأمها امرأة عمران .

﴿ تَهَيِّدْ ﴾

قصص المرأة المؤمنة في القرآن الكريم

امتدح القصص القرآني المرأة المؤمنة ، وأثنى عليها ثناءً جميلاً ، ووصفها بأجل الصفات ، وألبسها ثوب العزّة والطهر والعفاف .

صورها القرآن الكريم أمّاً رؤوفاً عطوفاً حنوناً ، تطيع أمر الله ، وتسلم زمامها لشرعه ، وتصم سمعها عن سماع شيء من وساوس الشيطان وأوليائه .

وصورها زوجاً بارّة كريمة ، وعضواً قوياً متيناً ، تعين على نوائب الحق ، وتحرص على سلامة الصرح الإيماني ، وترد كيد الكائدين فيشرق صباحها وضيئاً أبلج .

وصورها أختاً رحيمة شفوقة مرهفة ، تجهد نفسها وتسعى بكل طاقتها ، وتسخر كل قواها فتسدّ خلة في البناء الشامخ العظيم .

وصورها إبنة دمثّة لينة ، عفيفة بالغة الحياء ، طويلة الذيل ، خفيرة الجانب ، ترضى بما منح الله ، وتتهض بحملها قانعة برزق الله ، واثقة بأن الله سيجزيها خيراً .

وصورها ملكة عظيمة العرش ، كثيرة الأتباع والأجناد ، تضاهي الرجال ، بل تفوق الكثير منهم في الحكمة وسداد الرأي وإدارة شؤون البلاد والعباد ، إلا أنها تختار الله والدار الآخرة وتدعن

لدعوة الإيمان . وفي هذه الصور البديعة المظهر والتكوين ، والجليلة الشكل والمضمون يتراءى للعين بستان يانع الأثمار متناسق الأشجار ، رائع الأزهار والأطيّار ، يحلو للمرء أن يتواثب بين

أركانه وزواياه ، يتناول من هنا ثمرة ، ويقطف من هناك زهرة تملأ صدره برائحتها الزكية العذبة .

فإلى هذا الكرم الوفير ، وإلى تلك الحديقة الغناء ، للتزوّد بزاد طيب مبارك ، يصل بنا الى محطة النجاة . بإذن الله .

المبحث الأول : العرض القرآني للشخصية المؤمنة : -

تنزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ في فترة طويلة امتدت منذ أن جاءه الوحي حتى التحق بالرفيق الأعلى ، والقرآن قَمَّةُ البلاغة ، تلك البلاغة التي تحدى الله بها العرب ، أن يأتوا بمثلها يقول الجاحظ : " ذكر الله تبارك وتعالى جميل بلائه في تعليم البيان ، وعظيم نعمته في تقويم اللسان ، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح ، وبحسن التفصيل والإيضاح ، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ ، وسماءه فرقاناً كما سماه قرآناً ، وذكر الله عز وجل لنبيه ﷺ حال قریش في بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول (1) "

ومن بلاغة العرض القرآني للشخصية المؤمنة تستشف روحانية سامية عطرة يجدر بالباحثة أن تنتشر بضعاً من ثناياها لتتقارب الأرواح وتأتلف القلوب قلوب المؤمنين قديماً وحديثاً لينهلوا من معين تجاربهم ويستفيدوا من طول رباطهم وجهادهم .

" قال بعض الحكماء لابنه : يا بني ، اقبل وصيتي وعهدي ، ان سرعة ائتلاف قلوب الأبرار ، كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار ، وبعد قلوب الفجار من الائتلاف ، كبعد البهائم من التعاطف وان طال اعتلافها على آري (2) واحد ."

وإن هذه الدراسة في القصص القرآني الذي جاء تمهيداً وتوطئة لاقرار العقائد ، ثم إطلاق الأحكام ، وتعميم الأخلاق ، ليكتمل المنهج وتتضح الهوية ما هي إلا ربط لواقع البشرية قبل بعثة محمد ﷺ وبعد بعثته إلى أن يأتي أمر الله ، لينتفت أبناء هذه الأمة وراءهم قليلاً فيستتبوا من ماضيهم حلاً لحاضرهم ، وزاداً لمستقبلهم .

إن أول امرأة خلقها الله ، واليها انتسبت بنات جنسها ، وثانية مخلوق جعله الله خليفة له في أرضه ، تلك حواء قد قرنها الله سبحانه بزوجها آدم مخاطبةً في شأنه وشأنها في سورة البقرة : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (3) .

هذه افتتاحية تكريمية وبداية تنويرية تحفها الرحمات الإلهية ، فمن خطاب رباني جليل ، إلى سكنى جنة نعيم وفضل ، إلى تبصير بمواقع القدم لهذين الوافدين الجديدين (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) وقبل ذلك إباحة وفيرة ورغد عيش واسع : (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) .

1 - (الجاحظ / أبو عثمان عمرو بن بحر) البيان والتبيين / (دار الفكر / ط : 1) / ط / ص 9

* - الرعاء الذي يغتلف فيه الحيوان .

2 - القالي / أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي / كتاب الامالي / (دار الحكمة / ط : 1) / (ج 1 / ص 228)

3 - البقرة (آية : 35)

يقول صاحب الظلال : " وما من شك أن كلاً من نظرة الإسلام هذه ، ونظرة المادية للإنسان تؤثر في طبيعة النظام الذي نقيمه هذه وتلك للإنسان ، وطبيعة احترام المقومات الإنسانية أو إهدارها ، وطبيعة تكريم هذا الإنسان أو تحقيره ، وليس ما نراه في العالم المادي من إهدار كل حريات الإنسان وحرماته ومقوماته في سبيل توفير الإنتاج المادي وتكثيره ، إلا أثراً من آثار تلك النظرة الى حقيقة الإنسان ، وحقيقة دوره في هذه الأرض " (1) هذه صورة النعمة السابغة تجليها سورة البقرة ، إلى سورة الأعراف ، حيث صورة أخرى لحواء مع زوجها آدم - عليهما السلام - ولكن في موقف مغاير ، إلا أن الفطرة السليمة والتكوين النقي لم يتغير ولم يتبدل يقول تعالى : (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (2) هذا بيان مستأنف لما كان من أمرهما بعد أن تذاكرا نهي الرب سبحانه لهما عن الأكل من الشجرة لما فيه من ظلمهما لأنفسهما وهو أنهما قالا : يا ربنا إنا ظلمنا أنفسنا بطاعتنا للشيطان ، وعصيانك كما أنذرتنا ، وقد عرفنا ضعفنا وعجزنا عن التزام عزائم الطاعات ، وإن لم تغفر لنا ما نظلم به أنفسنا وترحمنا بهديتك لنا وتوفيقك إيانا إلى ترك الظلم فوحقك إذاً لنكونن من الخاسرين لأنفسنا وللسعادة والفلاح بتزكيتنا ، وإنما ينال الفوز بمغفرتك من يتوب إليك ويتبع سبيلك (3) . فالنفس المؤمنة مسلمة لله ، إن أصابها خير حمدت الله ، وإن أصابها غير ذلك استغفرت الله ، واستقبلت توبةً نصوحاً تبغي بها رضوان الله وتحسب ما فاتها في سبيل الله لتدخر أجرها عند الله في جنته ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال : " قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر " (4) قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (5) وهذه زوج فرعون . آسيا بنت مزاحم . يمر ذكرها في سورة القصص كطيف لطيف يحمل معه نسائم يمن وبركة ، تتردد في جنباته رائحة الطهر والعفاف ، تحفظ ثغرة الإيمان التي عليها ، فلا يؤتى الإيمان من قبلها ، بل هي جدار منيع وطودٌ شامخ ويدٌ تسهم في رفع اللواء .

1 - (قطب /سيد /في ظلال القرآن) (دار الشروق /ط: 17)/(ج : 1 /ص 60) 2- الأعراف (آية 22-23)

3 - (رضا /محمد رشيد) (تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار) (دار الفكر/ط:2) (ج 8/ص 350) وسأشير إليه عند وروده فيما بعد ب (رضا/المنار).

4 - البخاري / الامام عبدالله اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن برنبة الجعفي / (صحيح البخاري) / كتاب: تفسير القرآن /باب قوله : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) / (دار الفكر : ط: 1) تحقيق : الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ج 3/ص 25) ، وسأشير إليه عند وروده فيما بعد (البخاري / صحيح البخاري) حديث رقم : (4779)

5 - السجدة (آية : 17)

يقول صاحب التفسير المنير عن موسى - عليه السلام - : " وأما سبب عدم قتله فهو تشفع امرأة فرعون له ، قال تعالى : (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ)⁽¹⁾ وكما هو مصدر سرورٍ وسلوى قد يكون نافعاً (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَادًّا)⁽²⁾ أي لعله يكون سبباً للنفع والخير لما رأيت فيه من مخايل اليمن وأمارات النجاة ، أو نتخذهُ وِداداً ونتبناه لما يتمتع فيه من الوسامة والجمال ، فحقق الله أملهما بأن هداها به وأسكنها الجنة بسببه " ⁽³⁾

تتعرض آيات الله الكريمة لتلك الشخصية الموعلة في القدم ، بتلك الشفافية وذلك الإبداع الرباني ، فترسخ الصورة في المخيلة وقورة كريمة ، وتأخذ الكلمات من السمع مكاناً عزيزاً رفيعاً .

كذلك في سورة مريم ، حيث القصة الغربية التي أفردت فلم يسبقها ولم يعقبها مثلها ، مريم - عليها السلام - (النذيرة) سليلة بيت قد اصطفاه الله على العالمين قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)⁽⁴⁾ .

عرضت السورة الكريمة لقصص بعض الأنبياء مبتدئة بقصة نبي الله زكريا وولده يحيى - عليهما السلام - الذي وهب له على الكبر من امرأة عاقر لا تلد ، ولكن الله قادر على كل شيء ، يسمع دعاء المكروب ، ويستجيب لنداء الملهوف ، ولذلك استجاب الله دعاءه ورزقه الغلام النبيه ، وعرضت السورة لقصة أعجب وأغرب ، تلك هي قصة " مريم العذراء " وإنجابها لطفل من غير أب ، وقد شاعت الحكمة الإلهية أن تبرز المعجزة الخارقة بميلاد عيسى من أم بلا أب ، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار ، بعظمة الواحد القهار وسميت (سورة مريم) تخليداً لتلك المعجزة الباهرة ، في خلق إنسان بلا أب ، ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد ، وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى - عليه السلام - ،⁽¹⁾ فالقرآن يعرض لنا صورة مريم - عليها السلام - قائنة عابدة لله ، تجار إلى الله في المحن (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا)⁽²⁾

ثم تجابه وتدفع بالحجة (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَمْ يَمَسُّنِي بَشَرٌ وَكَمْ أَكُ بَغِيًّا)⁽³⁾ والتعبير القرآني يكشف هنا عن نفس فطرت على الطهارة ، وجبلت على العفة نفس تآبى أن يمر بها هاجس من هذا القبيل .

1 - القصص (آية : 9)

2 - القصص (آية : 9)

3 - الزحيلي / د. وهبة / التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / (دار الفكر المعاصر / ط: 1 (ج 2 / ص 65) وسأشير

إليه عند وروده ، (الزحيلي / التفسير المنير)

4 - آل عمران (آية : 33)

5 - (الصابوني / محمد علي / صفوة التفاسير) (دار الصابوني / ط: 9) // (ج 2 / ص 192) وسأشير إليه عند وروده

فيما بعد (الصابوني / صفوة التفاسير)

7 - مريم (آية : 20)

6 - مريم (آية : 18)

قال تعالى : (فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيحاً *) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيحاً (1)

" قوله تعالى : (فأشارت) أي : أومأت (إليه) أي إلى عيسى فتكلم ، وكان عيسى قد كلمها حين
أنت قومها ، وقال : يا أمّاه ابشري فاني عبدا لله ومسيحه ، فلما أشارت إليه أن كلموه ،
تعجبوا من ذلك ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيحاً ؟ " (2)

أمّا سورة النمل فإنها تعرض لصنف آخر من النساء ، إنها تعرض لنا صورة الملكة ذات
العرش العظيم ، ذات الدولة والوزراء والجيوش والأساطيل ، ولكن الى جانب هذا فقد أوتيت
حكمة وعلماً وسياسةً وحكمة ، فاخترت أمر الداعية ، فلما لم تره من أهل الدنيا ، ومن خزنة
الزينة والبهارج أنت إليه مدعنةً مسرعةً لا تلوّي على شيء . ٥٨٧٧٦٩

يقول صاحب الظلال - رحمه الله - " ووقفت الملكة مفاجئة مدهوشة أمام هذه العجائب التي
تعجز البشر ، وتدلّ على أن سليمان مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر ، فرجعت إلى الله ،
وناجته معترفةً بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره " (3)

إنها صورة تغشى الفؤاد ، وتسكن سويداء القلب ، فلا يملك إلا أن يُكنّ لها كل تقدير وإعجاب
، ولا يرضى إلا أن يدعوا الله - سبحانه - أن يجمعها به في دار قراره .

1 - مريم (آية 27-28)

2 - (ابن الجوزي / ابو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد / زاد المسير في علم التفسير) تحقيق : احمد
شمس الدين (دار الكتب العلمية / ط :) (ج 5 / ص 168) وسائير اليه عند وروده (ابن الجوزي / زاد المسير) .

3 - (قطب / الظلال) / (2643/5)

المطلب الثاني / مزايا العرض القرآني للشخصية المؤمنة .

القرآن كله حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكله من عند الله الذي أحسن خلق الإنسان ، وادع فيه من الخفايا ما يؤهله لحمل الأمانة التي أبت ان تحملها السماوات والأرض والجبال وأشفقن منها ، قال تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)⁽¹⁾ الا اذا فان القرآن نور كله ورحمة ، كل ما فيه جدير بالتحقق والتدبر والفهم والتمحيص، كل كلمة فيه مصباح ينير فجراً مشرقاً ، وكل خلجة من خلجاته ترتفع بالإنسان إلى عالم الملكوت السماوي ، فيصبح بتوفيق الله وعونه مصحفاً يدب على الأرض، وفي أسلوب العرض القرآني للشخصية المؤمنة صوراً مضيئة وسمات طيبة، وخلال كريمة ونفحات رطبة تطفئ شيئاً من ظمأ الروح التواقة دائماً الى ما عند الله .

1 - الوضوح والتجلية : - فالعقيدة الإسلامية عقيدة جلية واضحة . لا لبس فيها ولا غموض ، يعرف المؤمن حقاً ما له وما عليه ، فيؤدي واجباته ، ويأخذ حقوقه فترضى نفسه ويطمئن فؤاده وكذلك القصص يعرض بوضوح وجلاء ما كان عليه أمر تلك النلة المؤمنة ويضمن بين ثناياه الرد على ادعاء المبطلين الذين كذبوا على الله في شأن هؤلاء النسوة ، فانحرفوا عن صراط الله السوي حاجة في أنفسهم ، ومن ذلك قول الله تعالى حكاية عن آدم وزوجه - عليهما السلام - : (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا)⁽²⁾

" وهي جملة استئنافية مبنية على تقدير سؤال ، كأنه قيل فماذا قالوا ؟ وهذا منهما اعتراف بالذنب وانهما ظلما أنفسهما مما وقع منهما من المخالفة " ⁽³⁾ اتضح الذنب فاتضح التوبة ، والاعتراف بالذنب بحد ذاته فضيلة وقد مدح الله التائبين المستغفرين من عباده فقال - جل شأنه : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)⁽⁴⁾

وكذلك في شأن موسى - عليه السلام - مع الرجل الصالح حين عرضت عليه إحدى ابنتيه أن يستأجره لعملهم . فقد أوضحت الفتاة ما تريد من أبيها ووصفت ذلك الغريب الطريد بصفات واضحة فوجدت منه تجاوباً ورضاً وطمأنينة . " كان يحتاج الى أجير ، ولكن لا يسكن قلبه الى أحد ، فلما رأى موسى وسمع من ابنته وصفه بالقوة والأمانة ، رغب في موسى عليه السلام " ⁽⁵⁾

1 - الأحزاب (آية : 72) 2 - الاعراف (آية : 23) 3 - الشوكاني / محمد بن علي بن محمد // فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير // (دار احياء التراث / ط : 1 / ص 155) وسأشير الية عند وروده فيما بعد (الشوكاني / فتح القدير) 4 - آل عمران (آية : 135) 5 - (القشيري / الامام : ابي القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن النيسابوري الشافعي / تفسير القشيري المسمى : لطائف الاشارات / تحقيق : عبدالملك حسن عبدالرحمن / دار الكتب العلمية / ط : 1) // (ج 2 / ص 435) وسأشير إليه عند وروده فيما بعد (القشيري لطائف الاشارات)

2 - الإجمال وترك التفصيل :-

فان هذه هي ميزة القرآن عن غيره من الكتب السابقة ، ذلك أنه يعطي للقارئ مجالاً ليتفاعل مع أحداث القصة القرآنية فيربط بين وقائعها ليخرج بصياغة كاملة لها .
ففي شأن نبي الله سليمان مع ملكة سبأ لما أن أمر - عليه السلام - الهدد أن يلقي الى الملكة وقومها كتاباً ، قال تعالى : (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلْقِهَا إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) (2) لا تذكر الآيات مسير الهدد أثناء حمله كتاب سليمان ، ولا كيفية إلقاء الكتاب ولا ردة فعل الملكة حينما تلقت الكتاب .

وكذلك عندما وضعت أم موسى - موسى عليه السلام - فأوحى الله إليها ، قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (3)

لم تتحدث الآيات عن كيفية الإلقاء ولا عن طبيعة التابوت الذي وضع فيه ، ولا عن كيفية النقاط آل فرعون له وإنما تحدثت عن فؤاد أم موسى وعن ربط الله على قلبها .
قال تعالى : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (4)

3 - تخير التعبيرات الملائمة :-

فلكل مقام مقال ، ولكل موقف أداؤه الملائم من القول الذي يناسبه ويعطيه حقه .
ففي قول الله تبارك وتعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (5) وقال كذلك : (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) (6) فهما مضرب المثل في الإيمان والتقوى والعفة والطهارة، فإيمانها لم يكن كأي أحد وإنما هما في أرفع درجات الإيمان ، وكذلك في قوله تعالى : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا) (6) قال فارغاً ولم يقل قلقاً أو مشغولاً أو مهموماً ذلك ان التعبير القرآني (فارغاً) يحوي معاني عدة : من شدة الهم ، وشدة الانشغال ، وشدة الفزع ، والترقب الدائم ، والاضطراب الكثير ، مالا يحويه تعبير آخر ، كذلك في قول الله تعالى على لسان سليمان - عليه السلام - للهدد (قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (7) " قال الكاذبين و لم يقل "أكذبت" ، ذلك أن تعبير الكاذبين صفه، وهي تفيد أكثر من مجرد الكذب العابر

2 - القصص (آية : 7)

1 - النمل (آية : 28)

4 - التحريم (آية : 11)

3 - القصص (آية : 10)

6 - القصص (آية : 10)

5 - التحريم (آية : 12)

7 - النمل (آية : 27)

فهي تفيد أيضا من داوم على الكذب حيناً من الدهر ، وكان هذا حاله " (1) لأن اختلاق أمر كهذا ، قوم لهم ملكة ولها عرش عظيم وهم إلى ذلك يسجدون للشمس من دون الله ، ليس من شأن الكذب العارض ، إنما هو الكذب الكثير الذي لأجله استحق صاحبه أن يُطلق عليه أنه (من الكاذبين) لو كان ذلك الهدد كاذباً.

4 - تقرير حقائق : -

فالقصاص للعبر ، والعبر لاستمرارية الحياة والاستفادة من تجارب الماضين لتسهيل الحياة ، وليترتب عليها حسن المصير . ففي قول امرأة فرعون : -

(رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَتَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَتَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (2)
 " قَدِمَتِ الظرف اهتماماً به لنصته على المجاورة ، ولدلالته على الزلفى ، فقالت (عندك بيتاً)
 وبينت مرادها بالعندية فقالت (في الجنة) لأنها دار المقربين ، فظهر من أول كلامها وآخره أن مطلوبها أخصّ داره " (3)

فقد قررت الآية الكريمة حقيقة من حقائق الإيمان ، ألا وهو أن غاية الأمر واقصى الأمانى هي نيل رضوان الله وبلوغ جنته ، مع أن من أمانى المؤمن النصر والعزة والتثبيت في الدنيا ، إلا أن فوات أمانى الدنيا أو بعضها لا يرخص من عزمته وإنما هناك نعيم لا يزول وثواب لا يفوت .

5 - تشريع منهج : -

من القرآن تستمد التشريعات وتسن السنن ، وتنتهج المناهج فالقصاص القرآني سوق عامرة ، يجد كل فيها ضالته ومبتغاه ، فيها من المناهج التربوية ما يحيل حياة الناس الى كتلة من الطاعات والأعمال الصالحة .

من هذه المناهج منهج : " تقديم وحي الله على العقل وهوى الأنفس " (4) ، ذلك ان للعقل حدوداً لا طاقة له على اكثر منها ، فإخضاع ما يفوق العقل للعقل يعد ضرباً من العبث بل وطريقاً الى الضلال ، فكم من منكر للبعث ، بحجة أن عقله لا يتسع لذلك ، وكم من راوٍ لأحاديث صحيحة " خاصة تلك التي تتحدث عن علامات الساعة الكبرى " بدعوى أنها غير معقولة ، أتى ذلك والله - عز وجل - يقول : " (وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّا قَلِيلًا) (5) ؟

1 - (البقاعي /نظم الدرر) / (422/5)

2 - التحريم (آية : 11)

3 - (البقاعي /برهان الدين ابي الحسن ابراهيم بن عمر) نظم الدررفي تناسب الآيات والسور (تحقيق : عبدالرازق غالب المهدي /دار الكتب العلمية / ط : 1) // (ج 8 / ص 58-59) / وساشير اليه عند وروده فيما بعد (البقاعي /نظم الدرر).

4 - (القرني /عائض بن عبدالله) /اقرأ باسم ربك (دار ابن حزم ط 1 / ص 160 . 5 - الإسراء (آية : 85)

ولو أن أم موسى - عليها السلام - قد أصرت على تحكيم عقلها لما فعلت ما فعلت ، ولو أنها استشارت أحد العقلائين لسخر منها ولنسبها إلى الجنون ، ولكن : إنه وحي الله الذي لا مناص من طاعته وتنفيذه ، ان الأيمان هو الغذاء الصحي للعقل ، و هو الدواء الشافي لأمراضه المزمنة ، وفيه الإجابة على التساؤلات الملحة التي شغلت البشرية على مدار حياتها ، وهي معرفة الغاية من هذا الوجود ومصدر هذا الوجود ، ثم مصيره بعد الفناء.

المبحث الثاني : حواء زوج آدم عليه الصلاة والسلام .

هي أم البشر الأولى ، وزوج أبيهم الأول النبي الكريم عليه السلام ، والحديث عنها يلقي الضوء على جوانب شتى من حياة المرأة ، في هذه المرحلة من عمر البشرية التي يُنادى فيها بحقوق المرأة ومساواتها ورفع الظلم عنها .

إنّ دراسة شخصية المرأة الأولى يسهم في فهم طبيعة هذه الشخصية وبالتالي تحديد نقاط ضعفها تمهيداً لإصلاح شأنها ، فصلاح أي أمر مرهون برده إلى أصله وفطرته التي فطره الله عليها ، إذ أن هناك الوضوح التام والجلاء البين بعيداً عن المداينة والتدليس والركامات التي يخلفها مرور الزمن وتقلب العصور ، والأمة اليوم بحاجة ماسة إلى مثل تلك العظات الخيرة والفوائد الجمّة .

إن كنا ننتظر هذا من خلال معرفة حواء فحريّ بنا أن نتعرّف إليها من حواء هذه ؟ كيف كان أمر خلقها ؟ ما حقيقة الدور الذي كان لها في المعصية التي تمت بعد خلق آدم وسكنائه وإياها الجنة ؟ ثم ماذا بعد الهبوط ؟ وما هو المآل بعد انتهاء هذه الرحلة العابرة على الأرض ؟ والأهم من ذلك ، المنهج الذي رسمته لنا هذه القصة ، وكيف يمكن أن نستخلص لأنفسنا منها زاداً على الطريق ؟

المطلب الأول : الخلق من نفس الزوج : -

قال تعالى(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ⁽¹⁾)

وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) ⁽²⁾

كذلك قال تعالى : (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) ⁽³⁾ فالآيات الكريمة إذن صريحة قطعية الدلالة على أن خلق حواء قد تمّ من جنس زوجها آدم عليهما السلام (من نفسه) ، ولكن ، ما كيفية الخلق هذه ؟ وكيف تمت ؟

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : "استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلعٍ ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإذا ذهب تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء ⁽⁴⁾" استوصوا معناه : تواصلوا بهن ، والباء للتعدية والاستفعال بمعنى الفاعل كالاستجابة بمعنى الإجابة ، والستين للطلب وهو للمبالغة ، أي اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن أو اطلبوا الوصية من غيركم بهن كمن يعود مريضاً فيستحب له أن يحته على الوصية ،

3 - الزمر (آية : 6)

2 - الأعراف (آية : 189)

1 - النساء (آية : 1)

4 - (البخاري/صحيح البخاري ومعه فتح الباري) /كتاب: أحاديث الأنبياء/باب:خلق آدم نريته (399/6) حديث رقم : 3331

والوصية بالنساء أكد لضعفهن واحتياجهن إلى من يقوم بأمرهن ، والمعنى : اقبلوا وصيتي فيهن ، واعملوا بها ، وارفقوا بهن ، وأحسنوا عشرتهن ، خلقت من ضلع : إشارة إلى خلق حواء من ضلع آدم ، ومعنى خلقت أي : أخرجت كما تخرج النخلة من النواة " (1)

والخلاصة أن خلق حواء قد كان بقدرة الله سبحانه من نفس آدم - ~~العلية~~ - من ضلعه ، إذ إن هذا ما جاءت به وأكدت عليه النصوص القرآنية والنبوية الصحيحة .

وما دمتنا قد توصلنا لهذا الأمر فإن الباحثة لا ترى حاجة تدعو إلى البحث في كيفية الخلق من الضلع ، إذ إن مثل هذا البحث من الغيب الذي اختص الله تعالى بعلمه ، ولو كان الخير في إطلاعنا عليه لثم ذلك ، فحدود علاقتنا بهذا المغيب تتوقف عند الإيمان به ، والتصديق المطلق بوقوعه .

إلا أن الباحثة قد وجدت خلال البحث من ينكر خلق حواء من ضلع آدم - عليهما السلام - وهو صاحب تفسير الكاشف إذ يقول : - " إن الشائع أن حواء خلقت من ضلع آدم ولا مصدر صحيح لهذه الإشاعة ، والخبر الذي جاء به غير معتمد ، وعلى تقدير صحته فإن المراد منه الإشارة إلى المساواة وعدم الفرق بين الرجل والمرأة وأنها منه وهو منها " (2) ومع كل التقدير لجهود أهل العلم الطيبة إلا أن هذا القول مردود من جوانب عدة : -

أولها : إن خلق حواء من ضلع آدم قد ثبت بالمصدر الصحيح الثابت الموثوق وليس من باب الإشاعة مطلقاً .

ثانيها : إن التأويل عند صاحب الكاشف لحديث (ان المرأة خلقت من ضلع) على فرض صحته محمول على المساواة وعدم الفرق بين الرجل والمرأة يحتاج إلى قرينة دالة ، إذ إن إيراد الكلام بهذه الصيغة يناقض قاعدة شرعية معتمدة ، مفادها " حمل النص على ظاهره وعدم صرفه إلى ما سوى الظاهر إلا إذا وردت قرينة صارفة عن الظاهر إلى ما سواه من المعاني غير المتبادرة للمرة الأولى " (3) .

فأين هذه القرينة الصارفة ؟ إن القول بهذا يفتح على المسلمين باباً يتعذر إغلاقه ، وبشكل مصدرأ للتشكيك والطعن في النصوص الثابتة الصحيحة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

1 - (ابن حجر / أحمد بن علي العسقلاني) // (فتح الباري شرح صحيح البخاري / ط : دار المنار : (ج 6 / ص 399) وسائير إليه فيما بعد (ابن حجر / فتح الباري .

2 - (مغنية / محمد جواد / التفسير الكاشف) // (دار العلم للملايين : ط : 1) (ج 1 / ص 85)

3 - (الرازي / الإمام الأصولي / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين) // (المحصول في علم أصول الفقه) تحقيق - جابر فياض العلواتي (موسسة الرسالة / ط : 1) (ج 2 / ص 103) .

المطلب الثاني : موقف حواء من وسوسة الشيطان :

تضاربت الأقوال وعظم الاختلاف بين أهل العلم في دور حواء - عليها السلام- في المعصية التي تمتلأت بالأكل من الشجرة ، وتشعبت الأقوال إلى ثلاثة مذاهب : -
المذهب الأول : يحمل حواء المسؤولية الكاملة ، ويلقي على كاهلها الوزر كله ، ويتهمها بأنها الوسيط بين آدم والشيطان ، بل لقد وصل الحد ببعض أصحاب الديانات إلى نعت المرأة بالبوء والجريمة ، مما دعاهم الى الاجتماع لبحث أمر إنسانيتها أو عدمه ، ولئن كان الوثنيون أجدر من غيرهم بهذه الدعوات كالهندوس مثلاً الذين جاء في شريعتهم :

" ليس الصبر المقدر ، والذبح والموت والجحيم والسّم والأفاعي والنار بأسوأ من المرأة " (1)
" فإن من الغرابة والبعد عن روح الشرائع السمحة ، والمنطق السليم أن يقوم بعض رجال الكنيسة بتحميل المرأة اللعنة الى الأبد " (2)

المذهب الثاني : ومن أهل العلم من نحى عن حواء أي علاقة لها بالأمر لا من قريب ولا من بعيد ، وزعم ان لا دليل يشير إلى وسوستها أو حتى تدخلها بالأكل من الشجرة ، إنما هي تابعة لزوجها ، فهو الذي اقترف الإثم ، أما هي فلا دور لها مطلقاً بوقوعه ، وخير من يمثل هذا الاتجاه في التفسير المعاصر د . - فضل عباس - حيث يقول : -

" القضية المهمة التي ننبه اليها هنا أن القرآن الكريم لم يحمل المرأة مسؤولية الإغواء ، كما وجدنا ذلك في بعض الكتب كالتوراة ، حيث قالوا : انها هي التي زينت لآدم أن يأكل من الشجرة ، إن القرآن الكريم لم يحمل المرأة هذه المسؤولية ، ولم يخصصها بالذكر ، وهذا جانب من الجوانب التي يحق للمرأة أن تفخر به ، إذ لم تكن هي السبب في الارتداء بمصايد الشيطان الذي أدّى الى الإخراج من الجنة وإنما آدم المسؤول أولاً وآخرأ " (3)
(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) (4)

المذهب الثالث : وهو المذهب المتوسط المعتدل الذي يجمع بين النصوص ويفرد لكل منها مكاناً مناسباً ، ويضع اعتباراً لكل جزئية وإشارة ، وهو أن المعصية قد تمت من الجانبين ، وقد كان الاستغفار من كليهما ، والتوبة من الله عليهما معاً .

أما من نادى بالمذهب الأول ، فلا حجة له سوى الأخبار الموضوعية ، والإسرائيليات الدخيلة ، ولا دليل على صحتها، ولا أصل لها في الصحيح أبداً ، بل إن القول فيها يبرز جانباً من التمرد على قضاء الله وقدره عدم رضى به، كما أن حسن النوايا لا يشكّل مبرراً لإطلاق تلك الدعوات

1 - (عبدالمعز / د. أمير) // (معالم الثقافة الإسلامية) (ط:6/ص254) / وسأشير اليه فيما بعد (د. أمير/معالم الثقافة)

2 - (د. أمير /معالم الثقافة /ص255)

3 - (عباس /القصص القرآني) / ص 62 - 63 .

4 - طه (آية : 121)

فلا بدّ من تعميق الوعي ، وانتهاج المنهج العلمي ، المنصف ، فالحياة على هذا الكوكب كانت أمراً إلهياً نافذاً قبل خلق آدم ومن بعده حواء ، قال تعالى : - (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (1) وما حدث بعد ذلك من الأكل من الشجرة كان بعلم من علام الغيوب ، وقد تاب آدم وزوجه فتاب الله عليهما وغفر لهما .

وأما المذهب الثاني ففيه بعدّ عن واقع النصوص وإحياءاتها بعض الشيء ، فالسكنى كانت لكلا الزوجين (وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) (2) والتحذير كان لهما معاً أيضاً (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (3) كما أن الإزال من الشيطان كان لهما معاً (فَازْلَمْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) (4) والتوبة كذلك كانت منهما معاً (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (5) فكيف تنفي علاقة أحدهما بما وقع ونسبتها للآخر ؟ .

ان نظرة متفحصه للنصوص تحمل على اختيار المذهب الثالث الذي يقف معتدلاً بين الأول والثاني ، فيقرر أنّ هناك علاقة لحواء بما وقع من الأكل من الشجرة المنهي عنها وهو اختيار الباحثة ، إذن فحواء شريكة بالإثم وكذلك بالمغفرة ، وخير دليل على ذلك

1 - الضمير الذي يشير الى المثنى (ألف الاثنين) في كثير من الألفاظ التي حوتها الآيات الكريمة (كلا ، شئتما ، فأزلهما ، فتكونا ، فأخرجهما ، كانا ، قالا ، ظلمنا ، ربنا ، أنفسنا ، تغفر لنا ، ترحمنا) أما بعض الآيات الكريمة التي تفرد آدم بالذكر وحده كقوله تعالى " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) (6) فهي تشير إلى أمر طبعي في هذه الجبلية ، ألا وهو أنّ قيادة سفينة الحياة للرجل لا للمرأة ، وقد يُطلق وصف ما على رئيس قوم ويراد به أولئك القوم كلّهم ، لا لشيء إلا لأن ما ينطبق على المتبوع ينطبق على تابعه ، وكذلك قد يكون الخطاب منفرداً له لكونه نبياً - عليه السلام - .

2 - أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : - " لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها (7) وأخرجه مسلم بلفظ : - " لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر " (8)

1 - البقرة (آية : 30)

2 - البقرة (آية : 35)

3 - البقرة (آية : 36)

4 - البقرة (آية : 36)

5 - الأعراف (آية : 23)

6 - طه (آية : 121 - 122) .

7 - (البخاري / صحيح البخاري / كتاب : احاديث الأنبياء / باب : قول الله تعالى (وهل أتاك حديث موسى .. وكلم الله موسى تكليماً) (2/ص 152) (حديث رقم : 3399)

8 - (مسلم / الامام ابن مسلم القشيري النيسابوري / الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم كتاب الرضاع / باب : لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر (ط:2) / (ج 3 / ص 179)

قال ابن حجر " خَنَزَ اللحم والتمر والجوز بالكسر خنوزاً وتخنز خنزاً ، فهو خَنَزَ وخَنَزَ كلاهما فسد وانتن ، والخنز اليهود الذين ادخروا اللحم حتى خنز ، إذن لم يخنز ، لم ينتن ولم يتغير رِيحه " (1) لم تخن أنثى زوجها ، فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزويجها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك ، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم ، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها ، وليس الخيانة بارتكاب الفواحش - حاشا وكلاً - ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة ، وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له " (2)

هذا كلام الشارح ، وينبغي أن نكون منصفين في حمله والعمل به ، فليس المراد من التزيين تزيين الأكل من الشجرة مسؤولية حواء عن الإثم كله وأن دور آدم - عليه السلام - لم يكن إلا تنفيذاً واستجابةً لتزيين زوجها وإغوائها ، إنما كانت نفس آدم ميالة إلى الأكل من الشجرة وكذلك حواء - عليها السلام - فوافق تزويجها موقعاً في نفسه ، فوقع في الإثم جميعاً .

المطلب الثالث : الهبوط والتوبة : -

بعد خلق الله سبحانه لآدم - عليه السلام - وزوجه حواء ، وبعد أن أسكنهما الجنة ، وأباح لهما ثمرها يأكلان منه ، نهاهما عن شجرة واحدة ، وسوس لهما الشيطان ، ووقعت منهما المعصية . " لا خلاف في أن الله تعالى قد أخرج إبليس عند كفره وأبعده عن الجنة وبعد إخراجهم قال لآدم : اسكن ، أي لازم الإقامة ، واتخذها مسكناً ، وهو محل السكون . وسكن إليه يسكن سكوناً والسكن كل ما يسكن إليه " (3)

" فبعد أن خلق الله سبحانه آدم، وأمر الملائكة أن تسجد له وحدث كفر إبليس ومعصيته ، أراد الله جل جلاله أن يمارس آدم مهمته على الأرض، لكن قبل أن يمارس مهمته ، أدخله الله في تجربة عملية عن المنهج الذي سيبته الإنسان على الأرض، وعن الفوابة التي سيتعرض لها من إبليس ، فرحمة الله سبحانه أن لا يبدأ آدم مهمته في الوجود على أساس نظري ، لأنّ هناك فرقاً بين النظرية والتجربة " (5) .

2 - (ابن منظور /لسان العرب (مادة) / (ج5/ص346)

3 - (ابن حجر /فتح الباري) / (398/6)

4 - القرطبي/أبي مجد عبدالله بن احمد الاتصاري/الجامع لأحكام القرآن/(دار الكتب العلمية/ط:2) (ج1/ص205)

وسائير اليه عند وروده فيما بعد (القرطبي / احكام القرآن)

5 - (الطبري / أبو جعفر محمد بن جرير)/(جامع البيان) (مصطفى الحلبي / ط: 3) (ج1 / ص 189)

وقد يُشار على المرء في شيء فيوافق عليه نظرياً ، أما عندما يأتي الفعل فإنه لا يفعل شيئاً ، إذن فالفترة التي عاشها آدم وحواء في الجنة كانت تطبيقاً عملياً لمنهج العبودية ، حتى إذا ما خرج الى مهمته خرج بمنهج عملي يتضح فيه الحلال والحرام ، وإغواء الشيطان والمعصية ، ثم ليتعلم بعد ذلك كيف يتوب ويستغفر ويرجع الى الله ، ليعلم بنو آدم أن الله لا يخلق بابه في وجه العاصي ، وانما يفتح له باب التوبة .

قال تعالى : فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (2)

مجموع ما أشار إليه أهل التفسير أن كيفية الإزلال كانت على ثلاثة وجوه : -

- 1 - احتال حتى دخل إليهما في الجنة
- 2 - وقف على باب الجنة وناداهما .
- 3 - وسوس إليهما ، وهذا الراجح وسيأتي بيان ذلك في الفصل الرابع ان شاء الله ، وقد اختلف العلماء في معصية آدم بالأكل ، " فقال قوم : إنه نهى عن شجرة بعينها فأكل من جنسها ، وقال آخرون : تأول الكراهة في النهي دون التحريم " (3) وبذلك قال الشوكاني (4) لكن الباحثة ترى أنه لا طائل وراء البحث عن الدافع للأكل من الشجرة ، فان الأكل قد تم وليس هناك ما يرجح قولاً على قول ، إنما الواضح ان الأكل اصبح أمراً واقعاً .

" الهبوط : الانحدار من علو (5) "

" وانصراف هذا الخطاب جاء على أقوال ستة : -

- 1 - آدم وحواء والحية .
- 2 - آدم وحواء وإبليس والحية .
- 3 - آدم وإبليس .
- 4 - آدم وحواء وإبليس .
- 5 - آدم وحواء وذريتهما .
- 6 - " آدم وحواء فحسب ، ولفظ الجمع يكون واقعاً على التنبيه "

1 - البقرة (آية : 36)

2 - (الطبري / جامع البيان) عن تفسير القرآن (ج 1 / ص 890)

3 - (الشوكاني / فتح القدير) / ج 1 / ص 68)

4 - (ابن منظور / لسان العرب) / (مادة هبط) / (421/7)

5 - (الطبري / جامع البيان) (190/1)

كقوله تعالى : (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) (1)

وقد صرف صاحب الكشاف هذا الخطاب على قولين : -

الأول : قيل (اهبطوا) خطاب لآدم وحواء وإبليس

الثاني : وقيل لآدم وحواء وإبليس و الحية والصحيح أنه لآدم وحواء ، والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومنتشعبهم جعلاً كأنهم الإنس كلهم (2) .

كما اختلف العلماء : هل اهبطوا جملة ام متفرقين على قولين : -

" أحدهما : انهم اهبطوا جملة لكنهم نزلوا في بلاد متفرقة "

" والثاني : انهم اهبطوا متفرقين (3)

والذي يعني الباحثة ، ان الهبوط قد تمّ من الجنة الى الأرض لآدم وحواء - عليهما السلام - أما الأقوال الأخرى التي تضم إليهما إبليس أو الحية أو كليهما فلا ضرورة لبحثها هنا ، خاصة وأن القول بذلك يحتاج لصحيح الأخبار وهذا غير متوفر ، وإنما ينبغي الوقوف عند حدود المطلوب للوصول الى الغاية ان شاء الله ، وكذلك هبوطهما جميعاً أو متفرقين لا سبيل لمعرفة ولا حاجة إليه .

قال تعالى :

(قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (4)

وفي العداوة أقوال ثلاثة : -

1 - درية بعضهم أعداء بعض

2 - إبليس عدو لآدم وحواء ، وهما له عدو

3 - إبليس عدو للمؤمنين ، وهم أعداؤه (5)

والأقوال الثلاثة جائزة الوقوع ، فمن بني آدم وحواء أعداء لبعضهم بعضاً ، وعداوة

1 - الانبياء (آية : 78)

2 - الزمخشري / ابي القاسم جاد الله محمود بن عمر الخوارزمي // (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / دار

الفكر / ط: الأخيرة) // (ج1/ص 274) وسائير إليه فيما بعد (الزمخشري / الكشاف)

3 - (الطبري / جامع البيان) (190/1)

4 - طه (آية 121-125)

5 - (الطبري / جامع البيان) (191/1)

الشيطان لأدم وحواء والمؤمنين جميعاً وعداوتهم - هم - له أمر مفروغ منه (لَكُمْ إِنْ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (1)

(فَأَمَّا يَا تِيتُكُمْ مِنِّي هُدًى) أي رسداً وقولاً حقاً (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ) يعني الرسل والكتب (فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) ، ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي) أي ديني ، وتلاوة كتابي ، والعمل بما فيه (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) أي عيشاً ضيقاً ، يقال : منزلك ضنك وعيش ضنك ، يستوي فيه الواحد والاثنان ، والمذكر والمؤنث ، والجمع ، والمعرض عن الدين مستولٍ عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا ، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق ، فعيشه ضنك ، وحاله مظلمة" (2)

قال تعالى : (فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (3) تلقى : بمعنى أخذ وقبل ، كأن الله سبحانه أوحى اليه ان يستغفره بكلام من عنده، ففعل فتاب عليه " (4) " واصل التوبة الرجوع ، فالتوبة من آدم : رجوعه عن المعصية وهي من الله تعالى ، رجوعه على آدم بالرحمة ، والثواب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله ، والعفو عنه ورحمته " (5)

(وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ) (6)

عتاب الهي شديد الوقع على النفس ، معظم لشدة الندم ، كأن تقول لمن أخفق في أمر كنت أمرته بإعطائه حقه من الاهتمام ، ألم اقل لك افعل هكذا واترك ما سواه ؟ جانب آخر يكمل الصورة ويعطيها كماً هائلاً من الضوء والإيضاح ، قال تعالى (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ) (7)

فالعقوبة الآتية كانت بكشف العورة ، والندم قد اخذ من آدم وزوجه كل مأخذ ، ومشاعر الخجل العميق قد سيطرت عليهما بالكلية تكاد الباحثة تحيط بالموقف بكل حذافيره ، يجول في الخيال ربما لخرج ذلك الموقف ، أو لعله أمرٌ يستعصي على الوصف ، بل كأن الصور تتناثر من الكلمات ، وتظهر من فلتات الحروف ، لذا فقد طفقاً يخصفان عليهما من ورق الجنة ، يقومان بهذا الفعل بارتباك ولهفة ، وتخوفٍ ووجل ، فهذا أمرٌ جديد عليهما ، ولا عهد لهما به .

1 - الاعراف (آية : 22) 2 - (القرطبي / الجامع لاحكام القرآن) (171/6) 3 - البقرة (آية : 37)

4 - ابن كثير / الامام الحافظ عماد الدين ابوالفداء اسماعيل القرشي دمشقي تفسير القرآن العظيم / (دار الكتب العلمية / ط: 1) / (ج 1/ ص 81) وسائير اليه عند وروده فيما بعد (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم)

5 - (رضا/المنار) / (278/1) 6 - الأعراف (آية : 22) 7 - طه (آية : 121 - 122)

(قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (1) أمام النداء العلوي ، يتكشف الجانب الآخر في طبيعة هذا الكائن المتفرد ... إنه ينسى ويخطئ ، أن فيه ضعفاً يدخل منه الشيطان ، إنه لا يلتزم دائماً ولا يستقيم دائماً ... ولكنه يدرك خطأه ، ويعرف زلته ويندم ويطلب العون من ربه والمغفرة ... إنه يثوب ويتوب ، ولا يلج كالشيطان في المعصية ، ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية " (2)

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى ربط الأسباب بالمسببات ، فالطاعة سبيل لبلوغ رضوان الله وجنته ، والإعراض والتولي كذلك سبيل لعقاب الله سبحانه وغضبه وسخطه ولما كانت سنة الله في خلقه أن الجزاء من جنس العمل ، فللمطيع الجنة وللعاصي النار كان لا بد من أن يقيم الخالق عز وجل حجتة على عباده مع علمه المسبق الأزلي بحالهم ومآلهم ، كيف لا وهو فاطرهم ؟ (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (3)

إن مدرّساً نبهياً لمجموعة من التلاميذ يتابع أمورهم فترة وجيزة ، فيتعرّف الى مستويات تفكيرهم ، ونقاط القوة والضعف لديهم ، يستطيع مثلاً أن يخبر عن تحصيل طالب ضعيف قبل إجراء الامتحان ، ولكن لا يقبل منه إلا اعطاء الطالب فرصته بالاختبار كأقرانه لتقوم عليه الحجة ، فكيف بالأمر الإلهي (والله المثل الأعلى) وإنما جاء بهذا المثل في هذا المقام تقريباً وتوضيحاً مع الفارق في التشبيه . (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (4) لا شقاء ولا ضلالة ، إنما هو الهدى والرّشاد (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (5) معيشة الضنك هذه هي ثمرة الإعراض عن منهج الله سبحانه . " ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته ، فصاحبه ينفق مما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشاً رافعاً ، والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك وحاله مظلمة (6) (ومن اعرض عن ذكرى) " عن الهدى ، والذاكر لي والذاعي الى عبادتي (فان له معيشة ضنكا) في الدنيا (7) فلا طمأنينة له ، ولا انشراح لصدره ، بل صدره ضيق حرج لضلاله ، وان تنعم ظاهره ولبس ما شاء ، وأكل ما شاء وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص الى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبه يتردد ، فهذا من ضنك المعيشة (8) "

2 - (قطب /في الظلال) (1268/3)

1 - الأعراف (آية : 23)

4 - طه (آية : 123)

3 - الملك (آية : 14)

6 - (الزمخشري /الكشاف) (558/2)

5 - طه (آية : 124)

7 - (البيضاوي /الامام ناصر الدين ابو الخير عبدالله بن عمر الشيرازي /انوار التنزيل واسرار التأويل المسمى

تفسير البيضاوي /دار الفطر /ط:1/ص 424/وساثير اليه عند وروده فيما بعد // البيضاوي /انوار التنزيل)

8 - (ابن كثير /تفسير القرآن العظيم) (168/3).

والضنك يستوي فيه الواحد والاثتان والجمع (فان له) لم هذا التعبير بالذات ؟
 كان الباحثة تلمح من خلال التعبير القرآني الكريم ظلال السخرية والاستهزاء بالمعرضين عن
 ذكر الله (فان له) هذا التعبير يكثر وروده للعطاء والخير ، لكنه هنا للعذاب السرمدي والوبال
 الذي لا يزول بما كسبت أيدي المعرضين وبما استحبوا الكفر على الإيمان .
 بقي أمرٌ لا بد من طرحه ، وذلك لأن أئمة التفسير قد اختلفوا فيه ، فربما يضيف جديداً ، وبالله
 التوفيق .

قال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا
 حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ
 * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (1).

أما قول الله تبارك وتعالى " وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا " فهو الوضوح والبدئية في خلق حواء
 من نفس آدم ، أما بقية الآية فقد اختلف أهل العلم فيها على قولين : الراجح منهما .

أنَّ الشُّرك وقع من رجل وامرأة كافرين ، إذ ليس المراد به آدم وحواء ، فالأمر من قبيل ما
 يبتدئ به الكلام على وجه الخطاب ، ثم رد الخبر عن الغائب ، " والتقدير : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
 نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا) (2) أي ذلك الرجل الكافر (حَمَلَتْ
 حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا) " (3) وبذلك قال ابن كثير (4) وحسب
 أصحاب هذا القول من حجة أن ما اتوا به يوافق عصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام .
 إذ أن القول الآخر من قبيل الإسرائيليات المردودة لعلل نقلية وعقلية في الرواية التي ساقها
 الرواة ، وستأتي الباحثة على تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث ان شاء الله .

1 - الأعراف (آية 189 - 190)

2 - الأعراف (آية : 189)

3 - (القرطبي / أحكام القرآن) / (215/7)

4 - (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) / (275/2)

المطلب الرابع : عبر من شخصية حواء - عليها السلام -

العبرة هي ثمار شجرة الإيمان الضاربة جذورها في أعماق الأرض وطلعها في عنان السماء ، وهي زاد للمؤمن عظيم البركة جليل الشأن والفوز بها نتاج التفكير والتدبر في كتاب الله ، ولقد كثر في كتاب الله الثناء على المتفكرين المتدبرين ، اذ من خلال التفكير والتدبر تستنبط العبر والفوائد ، ومن الاعتبار يكون الانتصار على النفس الأمارة بالسوء ، ويكون العبور إلى شاطئ النجاة .

العبرة الأولى : القوامة للرجل لا للمرأة ، فهو المكلف بقيادة الأسرة والمجتمع والدولة، ذلك أنه هو من خلق أولاً ، وكانت هي من نفسه بعد ذلك ، كما أن خطاب التكليف كان له حيناً ولهما معاً حيناً آخر .

إذ أن الوحي له ، امرٌ لها بالضرورة ، وفي قوله تعالى لآدم - عليه السلام - : (اسكن أنت وزوجك الجنة) (1) فائدة يراد الضمير " أنت " مع أن الخطاب فيه دلالة على المقصود ، إبراز منة الله عز وجل على عبده بسكنى الجنة من غير عمل منه ولا تقديم ، وما جعل له فيها من سكنى ونعم ، كما يظهر إكرام الله سبحانه لخليفته بالتأكيد من خلال أفراد الضمير (أنت) .

" إن الله تعالى أمر آدم وزوجه بسكنى الجنة والتمتع بها ، ونهاهما عن الأكل من شجرة مخصوصة واخبرهما أن قربها ظلم ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم إلى ضده ، ثم إن آدم تاب إلى الله من معصيته فقبله ، ثم جعل سعادة هذا النوع باتباع هدى الله ، وشقاءه بتركه " (2)

العبرة الثانية : أن على المخلوق أن يستسلم لأمر خالقه ، دون أن يخضعه لمقياسه ونظريته الخاصة ، سواء أكانت هذه النظرة تمثل فرداً أم مجموعاً ، إذ أن تدخل الإنسان في ترتيب نظام الكون هو تجاوز لحدود إنسانيته ومزلق للهلكة والشقاء " وإن مثل قياس إبليس على عنصره الذي هو النار ، وقياسه آدم على عنصره الذي هو الطين ، واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم ، ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه ، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى : (اسجدوا لآدم) (3) يسمّى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار ، فكل من ردّ نصوص الوحي بالأقيسة ، فسلفه في ذلك إبليس " (4)

2 - (رضا/المنازل) (1/276)

1 - البقرة (آية : 35)

3 - البقرة (آية : 34)

4 - (الشنقيطي /محمد الأمين بن محمد المختار (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) /عالم الكتب/ط:1(ج1/ص 73) وسائير اليه عند وروده فيما بعد (الشنقيطي / أضواء البيان)

العبرة الثالثة : ترك ما لا يُرعى نفعه ، تتج كتب التفسير بالحديث عن نوع الشجرة المنهي عنها ، مع أن البحث في أمرها لا يجدي شيئاً ، فمعرفة نوعها لا نفع منه يُرجى ، وكذلك الجهل به لا ضرر منه يخشى ، ثم إن التعرّيج على هذه القضايا العابرة يذهب بالكثير من الجهد والوقت ويسهم في البعد عن الجوهر الأصيل الذي هو نقاء العقيدة ، وصفاء منهلها .
فالعبرة هنا إعطاء كل أمر الحيز الذي يتطلبه لإصلاح حاله ، فالفكر ان لم تشغله العظائم شغلته الصغائر .

العبرة الرابعة : الإنسان مخلوق ضعيف قال تعالى : " وخلق الإنسان ضعيفاً " (1) يؤخذ ذلك من قول الله تعالى على لسان إبليس لآدم - عليه السلام - (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَنْ لَكَ لَا يَبْلَى) (2) مخاطبة لنقطتي ضعف تعتريان الإنسان من أول أمره وهما : الحرص على الحياة وخشية الموت ، وكذلك تحصيل المال للإنفاق ، وهما تحملان ارق المفهوم العصري ذاته (الأمن والاقتصاد) وهذا جانب ينبغي أن يستغله المؤمن ، وهو تسليم أجله ورزقه لخالقه مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الخالق جل شأنه ، وتوظيف طاقاته وقواه للعمل لإرضاء ذلك الخالق العظيم ، ومنها السعي في صيانة روحه وجلب رزقه ، بل واستشعار منة خالقه الكريم أن كفاه مؤنة الرزق والأجل .

العبرة الخامسة : العداة مستحکم بين بني الإنسان ، ففي قول الله تبارك وتعالى : (اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) (3)

هناك محور عداوة بين ذرية آدم وحواء أنفسهم ، وإن كان الشيطان محركها والقائم عليها ، فيصير المعنى : ستكون العداوة بين ذريتك بعضها بعضاً ، وهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون ، مثل قول الله تبارك وتعالى على لسان سيدنا نوح - عليه السلام - حين دعا على قومه فوصفهم بأنهم (وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا) (4) فالمولود إنما يولد على الفطرة ، وإنما كفره وفجوره باعتبار ما سيكون عليه امره عندما يبلغ .

العبرة السادسة : - ان حب الاستكشاف والرغبة في المغامرة لا يكون في المحرم : إذ أن آدم وحواء - عليه السلام - مع إباحة ثمر الجنة لهما يأكلان منه ، إلا أن نفسيهما تآقت لتلك الشجرة المنهي عنها ، وربما حدثتهما بواطنهما عن أمر خاص حكر على هذه الشجرة فغامرا وتناولوا منها شيئاً يأكلانه ، وهذا دأب الإنسان مع تطور حاجاته وتنوع رغباته ، إلا أن الفطرة كما هي ، والطبيعة الأصيلة هي الغالبة ، من هنا لا بُد لكل مؤمن من أن يحصن نفسه ويعالج ضعفه حتى يعود الى دار السلام التي أخرج أبواه منها .

1 - النساء (آية : 28) 2 - طه (آية 12) 3 - البقرة (آية : 36) 4 - نوح (آية : 27)

العبرة السابعة : الإعجاز القصصي وجه من وجوه الإعجاز ، وهو ظاهرة فريدة تلوح من خلال تدبر قصة حواء ، ذلك أن طبيعة نسج القصة القرآنية وجمعها بين روعة الأسلوب وسمو الهدف أمر معجز لا طاقة للبشر به مطلقاً ، دليل ذلك النقد الأدبي الذي لا تسلم منه تلك القصص التي جادت بها قرائح الجهابذة من كتاب القصة .

العبرة الثامنة : " لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار " (1) هكذا قال أئمة السلف ، وهذا ما يُستخلص من قصة حواء - عليها السلام - فلقد بادرا (هي وآدم عليهما السلام) إلى التوبة وأنابا إلى الله فلم تكن منهما المكابرة والمحااجة ، ولم تُسَوَّل لهما نفساها ذلك أبداً كأولئك الذين ، يلوون أعناق النصوص ، ويجيرون الشرع ليخدم أغراضهم ويصب في مصالحهم .

العبرة التاسعة : " إن التدين الحقيقي سيد الحياة العملية لا جزءاً منها فحسب " (2) إذ أنه مسيرها وضابطها ، فالتدين الحقيقي يجعل ما يقوم به الفرد نابعاً من صميم قناعاته الذاتية ، بل يجعل للوازع الداخلي سلطاناً على النفس ، يُستفاد هذا من التوبة المباشرة التي كانت من آدم وزوجه - عليهما السلام - بعد المعصية ، بل كانت توبة نابعة من صميم القناعة يحدوها الخوف والأمل والرجاء ، الخوف من المعصية ، والخوف من عذاب الله ، والأمل بعفو الله ورحمته ومغفرته ، والرجاء الذي هو صنو الأمل ورفيقه .

العبرة العاشرة : بيان مكانة المرأة ، في هذه القصة أفراد كبير لجانب مهم ، ألا وهو العناية الجمّة والمكانة الجليلة للمرأة في هذا الوجود ، والتكريم الإلهي العزيز لها ، ومن مظاهر ذلك التكريم اقرار إنسانيتها ومخاطبتها بالنصوص كما أنه ردّ وتكذيب للدعوات المغرضة التي تصف المرأة " بالكائن المقهور "

العبرة الحادية عشرة : الحياة الزوجية مودة ورحمة اذا سلمت من الشيطان : - يقول الإمام ابن القيم : " إنّ العداوة التي ذكرها الله تعالى ، إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال تعالى : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) " (3) وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن الكريم لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو ، وأما آدم وزوجه فانه إنما اخبر في كتابه أنه خلقها ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة ، فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته ، والعداوة بين الشيطان والإنسان وقد ذكر ، الله سبحانه في سورة الروم :

1 - (ابن قيم الجوزية / شمس الدين ابو عبدالله / الروح " في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة وأقوال العلماء " تقديم : محمد قطب وبرهان الدين البقاعي / المكتبة العصرية ط : 2 / ص 331)

3 - فاطر (آية : 6)

2 - (عباس / القصص القرآني // ص 11 .

(وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (1) ممتناً به على جميع بني آدم ، ودعاهم الى التفكر في رحمته وحكمته ، فالمودة والسكون والرحمة تكون بين كل زوجين ، لأنهما خلقا من نفس واحدة ، إذا سلما من وسوسة الشيطان وتزييده ، فان أصغيا له وخدعا بوسوسته انقلب ذلك عداوة وحرماً ، (2) .
إن فالمرأة مخلوق مُكرّم ، لا كائناتاً مقهوراً منبوذاً .

هذه عبر استخلصناها من خلال التعرف الى قصة الأم الأولى وشخصيتها وهي عبر جديرة بالاحترام والتوقير والاتباع والاستفادة منها .

1 - الروم (آية : 21)
2 - الامام ابن القيم / التفسير القيم / جمع محمد اندريس الندوي / تحقيق : محمد حامد الفقي (دار الكتب العلمية / ط : 1)
/ ص 134 .

المبحث الثالث : - امرأة فرعون -

هي النموذج الفريد الطاهر ، الذي جعله الله مثلاً للذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله فرعون ، الذي ادعى الألوهية ، وتكبر وعلا في الأرض ، واطهر فيها الفساد

المطلب الأول : الابتلاء والمصابرة

" وهي آسيا بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد ، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف - عليه السلام - وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى ، وقيل بل كانت عمته " (1) ولا يعني الباحثة أمر نسبها ما دام قد شرفها "عملها" كان بداية أمر امرأة فرعون - رضي الله عنها - شديد الوقوع على النفس صعب الاحتمال ، إذ أن كون امرأة فرعون هي نفسها المرأة المؤمنة التي ضرب الله بها المثل (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَتَجَنِّي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَتَجَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)⁽²⁾ هذا بحد ذاته عبرة لمن كان له قلب، او ألقى السمع وهو شهيد

" لما ألت أم موسى ولدها في اليم استجابة لأمر الله وألقاه اليم بالساحل ، فالنقطة آل فرعون ، وهموا بذبحه إلا أن لطف الله سبحانه وتيسيره وقضائه الأزلي حال دون رغبتهم ، فيسر الله امرأة فرعون لتقول لزوجها : (وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَكْدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)⁽³⁾

" والعين تقر إذا سررت وحصل لها الهناء " (4) ، تلوح إشارة من خلال الآيات الكريمة توارها آية أخرى " (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي)⁽⁵⁾ لقد ألقى الله محبة موسى - عليه السلام - في قلب امرأة فرعون فأرادته قرّة عين لها ولزوجها .

يقول صاحب الظلال : -

" لقد افتحمت يد القدرة على فرعون قلب امرأته ، بعدما افتحمت عليه حصنه ، لقد حمته بالمحبة ، ذلك الستار الرفيق الشفيف لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال ، حمته بالحب الحاني في قلب امرأة ، وتجلست به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره ، وهان فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف " (6)

1 - (ابن كثير /أبي فداء الحافظ /البداية والنهاية // دار الفكر /ط : 1)// (ج1 /ص 239) وسأشير إليه عند وروده (ابن كثير /البداية والنهاية)

2 - التحريم (آية : 11) 3 - القصص (آية : 9)

4 - (ابن منظور /لسان العرب // باب الرأء /فصل القاف) (86/5)

5 - طه (آية : 39) 6 - (قطب الظلال) (2679/5)

" لا تقتلوه " نهت عن قتله ، وأبدت رغبةً شديدةً في الإبقاء عليه وأظهرت التعليل بشكل مباشر " عسى أن ينفعنا " عسى حرف ترجح رجبت المنفعة هذا على وجه الإجمال ، أما التفصيل فقد أوردت عليه نموذجاً واحداً فقط ، ولعلّه النموذج الأكثر نفعاً من غيره بالنسبة لها " أو نتخذه ولداً " .

تلوح إشارة أخرى من خلال الآية : أن فرعون وامرأته لم يكن لديهما ذرية والنفس تهفو وتتوق الى الذرية كأمر فطري ، فطر الله الناس عليه ، ولئن وجد المؤمن عزاءه في دينه ، واتخر أجره عند الله ، واحتسب ذلك كله في سبيل الله ، فبأي شيء يواسي الكافر نفسه ؟ وأين يجد سلواه ؟

• إنه أحد أصناف العذاب والقهر والتكذيب لذلك الطاغية المتأله ، هذا الذي يدعي أنه خالق الكون ، ورازق الخلق لم لا ينفع نفسه أولاً فتكون له ذرية ترث الألوهية من بعده ؟ وكان لامرأة فرعون ما أرادت ، وأبقى الطاغية على موسى -عليه السلام - امتثالاً لأمر الله ، واتباعاً قسرياً لقدره ، وانقياداً لحكمه كل هذا " وهم لا يشعرون " أي بأنه الذي يفسد الملك على يديه ⁽¹⁾ .

" أو لا يشعرون بما يخفيه لهم قدر الله ، فقد أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا " ⁽²⁾

" أما قول امرأة فرعون (لا تقتلوه) فقد يكون لفرعون ومن معه من قومه ، وقد يكون لفرعون على طريقة التعظيم له " ⁽³⁾

" أو أنها قالت : (لا تقتلوه) فإن الله أتى به من أرض أخرى وليس من بني إسرائيل " ⁽⁴⁾

" وقولها (قرّة عين لي ولك) ⁽⁵⁾ هو قرّة عين لنا لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحبّاه ، لا تقتلوه) خطاب بلفظ التعظيم ليعاونها فيما تريد (عسى أن ينفعنا) فإن فيه مخايل اليمين ودلائل النفع (أو نتخذه ولداً) أو نتبناه فإننا أهل له " ⁽⁶⁾

يقول الطبري : " وقالت امرأة فرعون له : هذا قرّة عين لي ولك يا فرعون ، فقرّة عين مرفوعة بمضمّر .

1 - (ابن عطية الأندلسي / القاضي ابي محمد عبدالحق بن غالب / المحرّر الوجيز /تحقيق الدكتور : " عبدالسلام

عبدالشافي محمد " / (دار الكتب العلمية بيروت - لبنان / ط:1) // (ج 4/ص 278)

2 - (القرطبي / أحكام القرآن) // (168/13)

3 - (الشوكاني / فتح القدير) // (160/4)

4 - (القرطبي / أحكام القرآن) // (168/13)

5 - القصص (آية : 9)

6 - البيضاوي / أنوار التنزيل وأسرار التأويل // ص 511 .

وقوله (لا تقتلوه) مسألة من امرأة فرعون أن لا يقتله ، وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون ، قال فرعون : أما لك فنعم وأما لي فلا ، ولو أقرّ عدوّ الله كما أقرت لهواه الله به كما هدى امرأته ، ولكن الله حرّمه ذلك ، وقوله (لا تقتلوه عسى ان ينفعنا ...) ، قالت امرأة فرعون هذا القول حين همّ فرعون بقتله ، من المفسرين من قال : همّ بقتله يوم استخرجوه من اليمّ ، ومنهم من قال : يوم نتف لحيته ، أو ضربه بالعصا (1)

" وقول امرأة فرعون لفرعون (لا تقتلوه) مخاصمةً عنه ، وتحبيبا لفرعون به إذ أنه مما تقرّ بع العيون ، وتفرح لرؤيته القلوب فلا تقتلوه ، ثم ذكرت العلة التي لأجلها قالت ما قالت " عسى ان ينفعنا او نتخذة ولداً " (2)

هذه آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون - رضي الله عنها - التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف الذي يرويه عنه ابو موسى الأشعري - رضي الله عنه - والذي يحدّد فيه النساء اللواتي كملن من بنات جنسهن ففضلن المجموع . يقول عليه الصلاة والسلام :

" كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " (3)

ابتليت - رضي الله عنها - بأخصّ شؤون حياتها ، فصبرت وأحسن الله عزاءها ، واضطرت لمدارة ذلك الطاغية ، على كرهها له ، وضيقها به وبقومه المفسدين الفاسقين .

ولعل المتفحص للنصوص التفسيرية يكاد يلمح نفساً تضرع الإيمان بين جوانحها ، وقلباً طاهراً نظيفاً قد وفق الله سبيله الى الهدى والخير ، فكانت صاحبة رائدة في الدعوة إلى الله ، وحاضنة لنبي الله الكريم موسى عليه السلام . منذ نعومة أظفاره .

تكاد الباحثة وهي تطالع أقوال المفسرين ترسم في مخيلتها صوراً شتى لفرعون وزبانيته ، وهم يسدّون إليها نظرات الشك ، يكادون يخترقون باطنها ، وتستشعر هي مرارة كفرهم وعنادهم وجبروتهم ، فهي في ابتلاءات متلاحقة محيطة بها ، من كل حذب وصوب .

ويبدو أن فرعون لم يتردّد في تنفيذ رغبة امرأته ، فاتخذ قراره بتبني الوليد الصغير ، والاحتفاظ به ، وإبقائه في القصر عند امرأته ، ليكون قرّة عين لهما .

1 - (الطبري /جامع البيان) / (22-23)

2 - (المراغي /احمد مصطفى) / تفسير المراغي / (دار إحياء التراث /ط:1) / (ج2/ص 39)

3 - (البخاري /صحيح البخاري) / / كتاب : فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم /باب : مناقب فاطمة رضي الله عنها - (264/2) حديث رقم (3769) .

" وهذا هو تقدير الله سبحانه بحكمته ، ليحقق إرادته ومشينته ، فهو الذي قذف محبته في قلب امرأة فرعون ، أمر قلب امرأة فرعون أن يحب هذا الوليد ، وما يملك قلبها إلا تنفيذ أمر الله ، لأنه جندي من جنود الله ، وما يعلم جنود ربك إلا هو " (1).

يقول د. فضل عباس تحت عنوان " دور عنصر المرأة في قصة موسى - عليه السلام " (2)

" وإذا تركنا أمه وأخته - عليهما السلام - وقد رأينا أن كلاً منهما تكمل ما للأخرى ، وجدنا امرأة ثالثة تفيض رحمةً وحناناً مع عقل راجح واستعطاف مؤثر ، كل ذلك يتفاعل مع تدين صادق غير مفتعل ، وكأن فرعون أحس بأن هناك أمراً ، وهنا ندرك ما للمرأة من تأثير في حياة الرجل حتى لو كان جباراً ، نعم لقد استطاعت المرأة أن تؤثر ، واستطاع الجبار أن يستجيب "

1 - (الخالدي /القصص القرآني) / (297/2-298)

2 - (عباس /القصص القرآني) / (ص 339 - 340)

المطلب الثاني : الجزاء الأوفى:-

قال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)⁽¹⁾

هذا جزء من إحسان الله لها ، وتكريمه إياها ، ورفعها من شأنها ان تكون (مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا) " وقد شبه الله حال المؤمنين في أن صلة الكافرين لا تضرهم بحال آسيا - رضي الله عنها - ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله ، إذ قالت (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ، قريباً من رحمتك ، أو في أعلى درجات المقرّبين ونجّني من فرعون وعمله ومن نفسه الخبيثة وعمله السيئ ، ونجّني من القبط التابعين له في الظلم⁽²⁾ " ووجه المثل : أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً ، إذا فارقه في كفره وعمله ، فمعصية الغير لا تضرّ المؤمن المطيع شيئاً في الآخرة ، وإن تضرّر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحلّ بأهل الأرض ، إذا أضاعوا أمر الله ، فتأتي عامة ، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به ، وهو من أكفر الكافرين " (3)

" وقد استحسّن العلماء قولها : " ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة " ، فقالوا : ما أحسن هذا الكلام ! فقد اختارت الجار قبل الدار حيث قالت : (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) فهي تطمح في جوار الله قبل طمعها في القصور ، فعندك هو المجاورة ، وبيتاً في الجنة هو الدار ، لأنّ الجوار أهمّ عندها قدّمت الظرف ، وفي الآية دليل على إيمانها وتصديقها بالبعث " (4) " بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار ، يُراد أن يقال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأزواج المؤمنين كذلك : ان عليهنّ أنفسهنّ بعد كل شيء ، فهنّ مسؤولات عن ذواتهنّ ، ولن يعفيهنّ من التبعيّة أنهنّ زوجات بنّي أو صالح من المؤمنين ، ها هي امرأة فرعون لم يصدّها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها ، فقد تبرّأت من قصر فرعون طالبةً الى ربّها بيتاً في الجنّة ، وقد تبرّأت من صلتها بفرعون " (5) "

ضرب الله مثلاً للذين صدقوا الله وحده بامرأة فرعون التي آمنت بالله وحده ، وصدّقت رسوله موسى ، وهي تحت عدوٍ من أعداء الله كافر ، فلم يضرّها كفر زوجها لذا كانت مؤمنةً بالله ، وكان من قضاء الله في خلقه ، ألا تزرّ وازرةٌ وزر أخرى ، وأنّ لكل نفسٍ ما كسبت ، فاستجاب

1 - التحريم (آية : 11)

2 - (البيضاوي / أنوار التنزيل) / (ص 747)

3 - (ابن القيم / التفسير القيم) 497

4 - (أبو حيان / البحر المحيط) / (216/10)

5 - (قطب / الظلال) (3622/3621/6)

الله لها ، فبنى لها بيتاً في الجنة⁽¹⁾
 وبهذا قال الزمخشري⁽²⁾ والرازي⁽³⁾ والسيوطي⁽⁴⁾ والألوسي⁽⁵⁾ والخازن⁽⁶⁾
 هذا هو الجزاء الدنيوي إذا ما قيس بالجزاء الآخروي لا يُعدّ شيئاً ، إنّها جنة الفردوس التي وعد
 الله الصّالح من عباده ، ذلك الفضل من الله يؤتاه من يشاء .
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولغدوة
 في سبيل الله أو روحه ، خير من الدنيا وما فيها " ⁽⁷⁾ .

-
- 1 - (الطبري /جامع البيان) / (110/28)
 - 2 - (الزمخشري /الكشاف) / (131/3)
 - 3 - (الرازي /الامام الفخر) // التفسير الكبير // (دار الكتب العلمية /ط: 2) (49/3)
 - 4 - (السيوطي الامام جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر / الدر المنثور في التفسير بالمأثور // (دار الكتب العلمية
 /ط: 1) / (245/6)
 - 5 - (الألوسي /ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي) // (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع
 المثاني (مكتبة دار التراث /ط : 2) / (163/28)
 - 6 - (الخازن /علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي) // (الباب التأويل في معاني التنزيل) // (دار المعرفة
 /ط: 1) / (103-102/6)
 - 7 - (البخاري /صحيح البخاري) // (كتاب الرقاق /باب : مثل الدنيا في الآخرة) // (219/4) حديث رقم (6415) .

المطلب الثالث : عبر من قصة امرأة فرعون - رضي الله عنها -

العبرة الأولى : الاستعلاء على العرض الدنيوي :

طالما اجتهد أهل الزهد والصلاح في كسر عنفوان النفوس الجامحة ، وإبعادها عن مباحج الدنيا ومفانيتها التي تخلب اللب وتعمي البصر والبصيرة ، وكثيراً ما حرصوا على وضع حدود لا يتجاوزونها ، لئلا تسول لهم النفس الأمارة بالسوء التعلق بأهداب النعيم الدنيوي ، والافتتان بلعانه ، لئلا تخونهم همّتهم ، وتغدرهم طاقتهم ، لذا فالوضع الأسلم لها أن تبتعد لئلا تضعف فتتهاوى فتتزلق الى الهاوية .

أما آسيا امرأة فرعون ، فقد كانت نموذجاً يعزّ وجوده ، أغرقت في بحر اللذات اللامحدود ، وأغدق عليها من المال بلا حساب ، فكل ما تتوق إليه النفوس مهمل ومطروح عند قدميها ، لا يلفت نظرها ، ولا ينال من استعلائها الإيماني قيد أنمله ، بل أنه اليقين العميق ، والإيمان الشامخ وبعد النظر ، فما عند الله خير وأبقى ، ولو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها كافراً شربة ماء .

ولو كانت الدنيا جنّة فانية ، والآخرة خرقة باقية ، لكان الأجدر بالكيس أن يختار الخرقة الباقية على الجنة الفانية ، ولكن الكلام أمر ميسور أما الفعل فهو أشق من ذلك بكثير ، ومغريات الحياة لا يصمد أمامها إلا من كتب الله له الثبات والنجاة ، وقد كانت امرأة فرعون من هذه الفئة الناجية بفضل الله ومنته .

" ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صورة ، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ ، وفي قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي ، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان ، ولم تعرض عن هذا العرض فحسب ، بل اعتبرته شراً ودينساً وبلاءً تستعيز بالله منه ، وتقلت من عقابيله ، وتطلب النجاة منه ! وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قويّة ، وهذا فضل آخر عظيم ، فالمرأة أشد شعوراً وحساسية بوطأة المجتمع وتصوّراته ، ولكن هذه المرأة وحدها ، في وسط ضغط المجتمع ، وضغط القصر ، وضغط الملك ، وضغط الحاشية ، والمقام الملوكي . في وسط هذا كله رفعت رأسها الى السماء ... وحدها ... في خضمّ هذا الكفر الطاغوي (1)

العبرة الثانية : الصبر والمرابطة :-

لا بد للاستعلاء من الصبر ، فهو حارس على كنوزه يتفقد لمعانها وجنتها ويحرص على ألا يتسرب إليها شيء من الصدا ، فيؤدي بها الى التآكل أو طمس بعض المعالم .

1 - (قطب / الظلال) (3622/6) .

بم يصبر المرء نفسه ، وبأي شيء يواسي قلبه إن لم يكن محتسباً كل ما يراه ويحلّ به لوجه ربه الكريم ؟

وكيف يكون الاستعلاء على متاع الدنيا ، ان لم تعتد النفس تجرّع كؤوس الصبر واستساغة مذاقه مهما كان مرّاً ؟

" جعل الله مثلاً للمؤمنين حال امرأة فرعون ، آمنت بموسى - عليه السلام - فعذبها فرعون عذاباً شديداً ، بسبب الإيمان ، فلم تتراجع عن إيمانها ولم تضرها صولة الكفر ، وقد كانت تحت أكفر الكافرين ، وصارت بإيمانها بالله في جنات النعيم (1)

العبرة الثالثة :_ الثقة بوعده الله .

إن توالي الابتلاءات وتلاحق الأحداث قد يترك فتوراً في حياة الداعية إذ أن الطاقة البشرية محدودة ، والقدرة على الاحتمال قد تضعف ، إن لم يتعهد صاحبها بالرعاية والاهتمام ، وقد يستعجل الإنسان بطبيعته وجلبته الرّخاء والخير ، ويرغب في أن ينأى بنفسه عن المتاعب والمشاق والفتن ، ولكن حسن تدبيره لأمره ، ودقّة تفكّره فيها تجعل كل مشاقه ومتاعبه ، نصباً في مصبّ ثقته بوعده الله الذي لا يتغيّر ولا يتبدل .

العبرة الرابعة :_ الالتجاء إلى الله عند المحن :

بعد استنفاد كل وسائل الإغراء والترغيب ، وبعد الثقة المطلقة بعدم جدواها وخيبة بريقها ، تظهر الصورة الأخرى ، الوجه الآخر لصولة الكفر والبغي والظلم الكالج ، ولكن هيهات أن ينال ذلك من القلب الذي اتصل بخالقه شيئاً ، فهو لم يعد يبالي من الدنيا بشيء ، (إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة) (2) قمة الثقة ومنتهى التصديق وابلغ الرجاء في أحلك ساعات الظلمة والطغيان . إنها أقرب إلى خالقها من أي وقت آخر ، فهي تجسد سمة الرّاحلين إلى الله .

لما قالت " ربّ ابن لي عندك ... " طلبت القرب من رحمة الله ، والبعد من عذاب أعدائه ، ثم بيّنت مكان القرب بقولها في الجنّة ، أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنّة ، فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها " عندك " ، " من فرعون وعمله " من عمل فرعون ، أو من نفس فرعون الخبيثة وعمله الغشوم " وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله ، والالتجاء إليه ، ومسألة الخلاص منه عند المحن والنّوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين (3)

1 - (الزحيلي / د . وهبه / التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / (دار الفكر / ط : 1 / (ج 28/ص 326)

2 - لتحريم (آية : 11)

3 - (الزمخشري / الكشاف / (133/4)

العبرة الخامسة : - مبدأ التبعية الفردية : -

هي ميزة القرآن العظمى وصراطه السوي ، وهي أن المرء غير مؤاخذ بفعل غيره ، وغير مسؤول عن جريرة من سواه ، ثم إن الحساب الأخروي سيكون لكل فردٍ وحده ، قال تعالى : (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)⁽¹⁾ إن من الظلم أن يُحاسب من لم يقترب جرماً عن اقترب الجرم ، هذا عند تحكيم منطق عقلي سليم ، فكيف بالتدبير الإلهي الجليل العظيم نعم ، لقد كانت امرأة فرعون من خيار نساء العالمين ومن صفوة عباد الله مع أنها كانت امرأة لجبار متعطر ، ورأس من رؤوس الكفر عبر مراحل التاريخ كافة فلم يضرها ذلك شيئاً بل إنه اضاف فضيلة الى فضائلها وميزة الى مزاياها فقد وضعت على المحك فكانت من الثابتين . هذا رسول الله ﷺ يرغب كل الرغبة ويرجو كل الرجاء أن يؤمن عمه ابوطالب ، الذي كفله ، وقام على أمره قبل بعثته ، ثم دفع عنه الأذى بعد بعثته مع أنه لم يكن على دينه الذي يهمله هذا الأمر ويقض مضجعه ، انه العم الحاني كان بمثابة الوالد الذي فقده صلى الله عليه وسلم جنيباً لم ير الدنيا بعد ، وهل هناك من أمرٍ ترغب فيه النفوس السوية وتحرص عليه الفطر السليمة أكثر من ردّ الفضل لذوي الفضل ؟ ولكن هي إرادة الله ، وهذا قضاؤه الذي لا راد له ، لم يكتب لأبي طالب النجاة ، ولم يسبق عليه القول أنه من أهل السعادة ، فأنزل الله على نبيه ﷺ (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَكَانَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)⁽²⁾ .⁽³⁾

عن الزهري⁽⁴⁾ قال : أخبرني سعيد بن المسيب⁽⁵⁾ عن أبيه قال : " لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال : أي عم ، قل لا اله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال ابو جهل وعبد الله بن أمية : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيدانه بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبدالمطلب وأبي أن يقول لا اله إلا الله . قال : قال لرسول الله ﷺ : لاستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فأنزل الله " (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)⁽⁴⁾ وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَكَانَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " ⁽⁵⁾

1 - مريم (آية : 95) 2 - القصص (آية : 56) 3 - (السيوطي / الامام جلال الدين) / لباب النقول في اسباب النزول / اعنتي به : عبدالمجيد طعمه حلبي (دار المعرفة / ط : 1) / ص 222 .
4 - التوبة (آية : 113) 5 - (البخاري / صحيح البخاري) ومعه فتح الباري / كتاب التفسير / باب : " اتك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء) (573/8 حديث رقم (4772).

العبرة السادسة : الذكاء والحصافة : -

" يظهر ذلك من خلال التعبير القرآني على لسان امرأة فرعون - رضي الله عنها - " قرّة عين لي ولك " إذ لو قالت لك أولاً ، قال لها أنا عندي ما تقرّ به عيني فلا أريد ، ولكنها قالت " لي " أي من أجلي ، فليس لديّ ما أبهّج به نفسي ، أمّا أنت فعندك من الأجناد ما يسرك وتقرّ به عينك " (1) ، إنّ السياسة الناجحة تقوم على التخطيط المرن ، الذي يسعى إلى تحقيق أفضل المكاسب بأقلّ خسائر ممكنة .

فهذا الصحابي الجليل " عبد الله بن حذافة " السهمي - رضي الله عنه - عندما ذهب في السنة التاسعة عشرة للهجرة إلى حرب الروم في بعثٍ لعمر بن الخطاب فوقع أسيراً في أيدي الروم ، يقول ابن حجر : " وجّه عمر جيشاً إلى الروم وفيهم عبد الله ابن حذافة ، فأسروه ، فقال له ملك الروم : تنصّر أشركك في ملكي ، فأبى ، فأمر به فصُلّب ، وأمر برميّه بالسّهام ، فلم يجزع : فأنزل ، وأمر بقدرٍ فصبّ فيها الماء ، وأغلي عليه ، وأمر بإلقاء أسير فيها ، فإذا عظامه تلوح ، فأمر بإلقائه إن لم يتنصّر فلما ذهبوا به بكى ، قال ردّوه ، فقال : لم بكيت ؟ قال تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله ، فعجب ، فقال : قبل رأسي ، وأنا أخلي عنك ، فقال : وعن جميع أساري المسلمين ، قال نعم ، فقبل رأسه ، فخلّى بينهم ، فقدم بهم على عمر فقام عمر ، فقبل رأسه " (2)

العبرة السابعة : نسخ حكم الزواج بكافر : -

فقد كانت آسيا بنت مزاحم مؤمنة بالله ، مصدقةً بوعده مطيعةً لأمره وفي ذات الوقت امرأة لعدو من أعدائه ، كان هذا فيما مضى ، أما في شريعتنا الغراء فقد حرّم مثل هذا الاقتران . إذ لا يحلّ للمؤمنة إلا أن تتزوج مؤمناً ، قال تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَكَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَكَوْا أُعْجِبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَكَوْا أُعْجِبَتْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (3) وقوله تعالى : (أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) " العلة في تحريم النكاح الدعاء إلى النار ، والجواب أن ذلك علة لقوله تعالى : (وَكَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ) ، لأن الشرك يدعو إلى النار ، وهذه العلة مطردة في جميع الكفار فالمسلم خير من الكافر مطلقاً وهذا بين " (4)

1 - (عباس /التصص القرآني) ص 340 2 - (ابن حجر /شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي السقلائي /الإصابة في تمييز الصحابة /وبذيله كتاب : الاستيعاب في معرفة الأصحاب /تحقيق د. طه محمد الزريني) مكتبة الكليات الأزهرية /ط:1 (56/5) وسائير إليه عند وروده فيما بعد (ابن حجر /الإصابة) 3 - البقرة (الآية : 221) 4 - (القرطبي /احكام القرآن) (47/2)

ملكة سبأ

الملكة التي كانت هدايتها وإكرام الله لها بالإيمان على يد نبي الله الكريم سليمان بن داود - عليهما السلام - الذي سخر الله له الريح والطير تسبح معه ، ووهب له ملكاً لم يكن لأحد من بعده ، راح يتفقد - السلام - الطير ، إذ أن هذا شأن الراعي يتفقد رعيته ويسوس أمرها ، ويؤدي حقها كما علمه ربه ، إلا أنه لم يجد طيراً منها ربماً كان غائباً ؟ ربما اعتراه شيء ؟ قال تعالى : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)⁽¹⁾ يتساءل - عليه السلام - عن الهدهد ؟

قال تعالى : (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)⁽²⁾ هذا سليمان - السلام - يتوعد الهدهد إن لم يوضح سبب تغيّبه بالعذاب الشديد أو الذبح .

" فان قلت : من أين حل له تعذيب الهدهد ؟ قلت : يجوز أن يبيح الله له ذلك من أجل المصلحة والمنفعة ، كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع ، وإذا سخر الله له الطير ولم يتم ما سخر له من أجله إلا بالتأديب والسياسية جاز أن يُباح له ما يُستصلح به⁽³⁾ " توعد سليمان الهدهد بذلك ، مع أنه غير مكلف ، بياناً لكونه خصّ بذلك كما خصّ بتعلم منطقة⁽⁴⁾

المطلب الأول : الملك من دون الرجال :-

قال تعالى : (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)⁽⁵⁾ " قال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته : أحطت بما لم تحط به أنت يا سليمان " " ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة ، ابتلاءً له في علمه وتنبهياً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط بما لم يحط به لتحقّر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء ، وأعظم بها فتنة ، وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ، أنّ الإمام لا يخفى عليه شيء ، ولا يكون في زمانه أحدٌ أعلم منه " ⁽⁶⁾

1 - النمل (آية : 20) 2 - النمل (آية : 21) 3 - (الزمخشري / الكشاف) (143/3)
4 - (الانصاري / شيخ الاسلام ابي يحيى زكريا) // فتح الرحمن يكشف ما يلتبس بالقرآن تحقيق : محمد علي المصاوي // (عالم الكتب / ط : 1) // ص 308 .
5 - النمل (آية : 22-23) 6 - (الزمخشري / الكشاف) (143/3)

(وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّأٍ بِنْتًا يَقِينٌ)⁽¹⁾ ، " أَيّ أدركت ملكاً لم يبلغه ملكك " ⁽²⁾ ،
 " يُقرأ من سَبَّأٍ بفتح وحذف التنوين فأما من لم يصرف فيجعله اسم مدينة ، وأما من صرف ،
 فذكر قوم من التخويين انه اسم رجل واحد ، وذكر آخرون ان الاسم إذا لم يُرَ ما هو لم
 يُصرف، واحد هذين القولين خطأ ، لأنّ الأسماء حقّها الصّرف ، فإذا لم يعلم الاسم للمذكر هو أو
 للمؤنث فحقه الصرف حتى يُعلم أنه لا ينصرف لأن أصل الأسماء الصّرف"⁽³⁾
 " جئتك من بلاد اليمن بخبر عظيم ، اني وجدتكم ملكوا امرأة منهم ، وأعطيت كل ما تحتاجه
 المملكة ، وأجلسوها على عرشٍ واسع ، وسرير عظيم " ⁽⁴⁾ والنبأ : الخبر الذي له شأن وقوله:
 " من سبأ بنبأ " من محاسن الكلام ويسمى البديع ، وقد حسن وبدع لفظاً ، ومعناها هنا : ألا يرى
 أنه لو وضع مكان " بنبأ " بخبر ، لكان المعنى صحيحاً ، وهو كما جاء اصحّ ، لما في النبأ
 من الزيادة التي يطابقها وصف الحال " ⁽⁵⁾ وهي بلقيس بنت شراحيل وقد أوتيت من أسباب
 الملك ما يليق بحالها ⁽⁶⁾

كثرت أقوال المفسرين عامة ، والقدماء منهم خاصة في نسب ملكة سبأ ، وفي وصف عظمة
 عرشها ، وأنه عرش هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللاكي ، وأنّ أحد أبويها كان من
 الجن ... الخ إلّا أن الاسترسال في مثل هذا لن يُجدي نفعاً من جهة ، من جهة أخرى لم يأت به
 القرآن الكريم ، ولم يتواتر به صحيح السنّة ، وحسب الباحثة أن تتوقّف عند ملكيّة هذه الملكة
 من دون بني قومها من الرّجال وما كانت عليه من المنعة والقوة ، وما كان لديها من الأجناد
 تدلّ عليه الآيات اللاحقة ان شاء الله ، إذ أن هذا مجال البحث وهنا موضع الفائدة واستنتاج العبر
 ، وبالله التوفيق .

قال تعالى على لسان الهدهد يصف ملكة سبأ وقومها : - (وَجَدْتُنَّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)⁽⁷⁾

-
- 1 - النمل (آية : 22) - (الطبري / جامع البيان) / (14/19) 2 -
 3 - (الزجاج / ابي اسحاق ابراهيم بن السري / معاني القرآن و اعرابه / تحقيق د. عبده شلبي / (عالم الكتب : ط : 1) / ج 4
 / ص 114)
 4 - تعيلب / أد . عبدالمنعم احمد / فتح الرحمن في تفسير القرآن / دار السلام / ط : 1) (ج 5 / ص 2552) / وساشير
 اليه عند وروده فيما بعد (تعيلب / فتح الرحمن)
 5 - التسفي / ابي البركات عبدالله احمد بن محمود / مدارك التنزيل وحقائق التأويل / (دار الفكر / ط : 1) (ج 4 / 141)
 وساشير اليه (التسفي / مدارك التنزيل)
 6 - (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) / (168/6)
 7 - النمل (آية : 26)

" كانت هذه الملكة كافرةً من قوم كفار وكانت هذه الأمة أمة تعبد الشمس لأنهم كانوا زنادقة فيما روي ، وقيل كانوا مجوساً يعبدون الأنوار " (1) ولكن ، كيف استعظم الهدهد عرش بلقيس ، مع ما كان يرى من ملك سليمان ؟

الجواب :

يجوز أن يستصغر حالها الى حال سليمان ، فاستعظم لها ذلك العرش ، ويجوز أن لا يكون لسليمان مع جلالته مثله ، كما قد يتفق لبعض الأمراء شيء لا يكون مثله عند السلطان " (2) " وهنا يعلل ضلال القوم بأن الشيطان زين ، لهم أعمالهم ، فأضلهم فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير الذي يُخرج الخبء في السماوات والأرض " الله لا اله إلا هو رب العرش العظيم " (3) ، يلمس قلب سليمان في سياق التعقيب على صنع الملكة وقومها بهذه الإشارة الخفية ، ونجد أنفسنا أمام هدهد عجيب ، صاحب إدراك وذكاء وإيمان وبراعة في عرض النبأ ، ويقظة الى طبيعة موقفه ، وتلميح وإيماء أريب ، فهو يدرك ان هذه ملكة ، وأن هؤلاء رعية ، وأنهم يسجدون للشمس من دون الله ، ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله " (4) هناك أمرٌ لم تعثر الباحثة على إشارة له في التفاسير المتعددة من خلال كلام الهدهد : " لقد وجد امرأة تملكهم " ما جاء به الهدهد بحد ذاته غريب ، ومن أغرب ما فيه أن تكون الملكة امرأة ، إقرار من خلال الآيات أن ملكية المرأة أمر لم يكن معهوداً ، وأنه مخالف للدين العام الذي اعتاده الناس ، بل وقطروا عليه ومضى فيهم أحقاباً طويلة .

1 - (ابن عطية الأندلسي / المحور الوجيز) / (256/4)

2 - (الرازي / التفسير الكبير) / (190/24)

3 - النمل (آية : 26)

4 - (قطب / الظلال) / (2639/5)

المطلب الثاني : الحنكة وحسن السياسة .

قبل سليمان - عليه السلام - عذر الهدد ، ولكن العذر بحاجة الى متابعة ، إذ أن إلقاء الكلام على عواهنه مفسدة للرعية ومضیعة للأمر ، لا بُدَّ من التيقن ليكتمل المنهج التربوي النبوي ، ولتتحقق الغاية التي من أجلها كان الوجود ، غاية الحكم بما أنزل الله ، وبالمنهج الذي فرضه الله سبحانه ، قال تعالى : (قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)⁽¹⁾

" سننظر ، من النظر الذي هو التأمل ، وأراد صدقت أم كذبت ، إلا أن (ام كنت من الكاذبين) أبلغ ، لأنه إذا كان معروفاً بالكذب ، كان متهماً بالكذب فيما أخبر به ، فلم يوثق به"⁽²⁾ (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون)⁽³⁾ قال (فألقه إليهم) على لفظ الجمع لأنه قال : (وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)⁽⁴⁾ " أي : الى الذين هذا دينهم " ⁽⁵⁾

" يقول الطبري في قوله تعالى : " اذهب بكتابي " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معناه اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم منصرفاً إلي ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم ، فكن قريباً منهم وانظر ماذا يرجعون قالوا : وفعل الهدد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها ومراجعتهم لها " ⁽⁶⁾

ثم يرجح الطبري القول الثاني فيقول " وهذا القول أشبه بتأويل الآية لأن مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقى الكتاب ، ولم يكن الهدد لينصرف ، وقد أمر بأن ينظر الى مراجعة القوم بينهم ما يترجعونه قبل أن يفعل ما أمر به سليمان " ⁽⁷⁾

والحق ان ما رجحه الطبري هو الأقرب للصواب ، لأن سليمان - عليه السلام - قد كلفه بأمرين هما : -

أحدهما : ان يلقى الكتاب إليهم (الملكة وقومها)

والثاني : أن ينظر ماذا يرجعون ، أن ينظر بنفسه ، وان كان سينظر بنفسه فإن عليه أن يمكث

1 - النمل (آية 27)

2 - (الرازي /التفسير الكبير)/(190/24)

3 - النمل (آية : 28)

4 - النمل (آية 24)

5 - (الرازي /التفسير الكبير)/(190/24)

6 - (الطبري /جامع البيان)/(93/9)

7 (الطبري /جامع البيان)/(98/9)

حتى يسمع مراجعتهم ، ويرد الجواب الى النبي الكريم - ﷺ - بنفسه ، والله وحده أعلم بالصواب .

قال تعالى : (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ)⁽¹⁾

" فأخذت الكتاب ونادت أشراف قومها وقالت : اني القى اليّ كتاب كريم ، وكرم الكتاب لخمته ، أو لأنه من سليمان وكانت عالمة بملكه او لكون الرسول به الطير ، فظننته كتاباً سماوياً ، أو لكونه تضمن لطفاً وليناً ، لا سباً ولا ما يغيّر النفس ، أو لبدايته باسم الله ، ثم أخبرتهم فقالت : (انه من سليمان) كأنها قيل لها : ممن الكتاب وما هو ؟ قالت : انه من سليمان ، وانه كيت وكيت ، أبهمت أولاً ثم فسّرت ، وفي بنائها ألقى للمفعول دلالة على جهلها بالملقي ، حيث حذفته ، و تحقيراً له ، حيث كان طائراً ، إن كانت شاهدته . والظاهر أن بداءة الكتاب من سليمان باسم الله الرحمن الرحيم ، الى آخر ما قص الله منه خاصة ، فاحتمل أن يكون من سليمان مقدماً على بسم الله ، (وهو الظاهر) ، وقدمه لاحتمال ان يندر منها ما لا يليق إذ كانت كافرة ، فيكون اسمه وقاية لاسم الله تعالى . أو كان عنواناً في ظاهر الكتاب ، وباطنه فيه باسم الله ، واحتمل ان يكون مؤخراً في الكتابة عن بسم الله وإن ابتداء الكتاب باسم الله وحين قرأته عليهم بعد قراءتها له في نفسها ، قدمته في الحكاية ، وإن لم يكن مقدماً في الكتابة،⁽²⁾ وكذلك قال الرازي⁽³⁾ الأول أقرب للفهم ومهما يكن فالمهم في الأمر بلوغ الرسالة " أن (أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ)⁽⁴⁾ " أي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وأن هي المفسرة ، وقيل مصدرية ، ولا ناهية ، وقيل نافية ، ومحل الجملة الرقع على أنها بدل من كتاب أو خبر مبتدأ محذوف : أي هو أن لا تعلموا " ⁽⁵⁾

(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ)⁽⁶⁾ " طلبت منهم الشورى والمعونة " ⁽⁷⁾ ، " أخذت في حسن الأدب مع رجالها ومشاورتهم في أمرها وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر ، فكيف في هذه النازلة الكبرى " ⁽⁸⁾

" لما قرأت بلقيس الكتاب جمعت أشراف قومها وقالت لهم : يا أيها الملأ اني القى / يا أيها الملأ أفتونني ، وكرّر قالت لمزيد العناية بما قالته لهم : ثم زادت في التأدب واستجلاب خواطرهم

2- (ابو حيان الأندلسي / البحر المحيط / (234/8)

1 - النمل (آية : 29-30)

3 - (الرازي / التفسير الكبير) (192/24)

5 - (الشوكاني / فتح القدير) / (137/4)

6 - النمل (آية : 32)

7 - (الطبري / جامع البيان) / (100/9)

8 - ابو حيان الأندلسي / البحر المحيط) / (258/4)

ليمحصوها النصح ويشيروا عليها بالصواب فقالت : (ما كنت قاطعة) أي ما كنت مبرمةً
أمرأ قبل أن تحضروا عندي وتشيروا عليّ " (1)

وهذه أولى دلالات القائد الناجح الغذ ، الذي يعنى باستجلاب القوى . وتجميع أهل الحل والعقد
حوله ، بل ويشعرهم بأنه واحد منهم ، وان دروهم في صنع القرار لا يقل عن دوره ، إنها
الحنكة والسياسة والدهاء ، أنها الشخصية اللبقة والملكة التي لم تستأثر بالملك وحدها ولم تحمّل
نفسها وزر الحكم كله ، أنه الفن والاستراتيجية المرنة في إدارة دفة الحكم .

(قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) (2)

" عرضوا عليها قوتهم وعتادهم ، وأحجموا عن المشورة والرأي وفوضوا الأمر إليها" (3)

وهنا دلالة أخرى ، فالملكة أعلم بقومها إنهم أولو قوة وألو بأس شديد ، لم يأتوا بغير القوة
والبأس ، ولكن لم يصروا على استخدام قوتهم وبأسهم ، بل ردتوا الأمر الى الملكة ، وما هذا إلا
لتعقل الملكة وحسن سياستها إذ لو أنها فرضت عليهم ما أرادت فرضاً لكان منهم السرفض
ولحدث ما لا تحمد عقباه ، اطمانت الملكة الى حسن ظنهم بها والى رضاهم بحكمها في هذا
الأمر الدقيق خاصة ، ولم يبق إلا أن تعرض لهم ما لديها من المشورة والرأي شافعة ذلك بذكر

عواقب ما أشار به الملأ من قبل (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) (4)

قدمت الرد على مشورتهم أولاً ثم عرضت ما عندها ثانياً ، لئلا يعترض أحدهم على عرضها
ان هي قدمته فيقول : وما بال القتال ونحن أولو قوة وبأس شديد ؟ .

راحت تبين لهم مساوى القتال وتنعى عليهم فساد رأيهم ثم تهدي الى رأي حكيم : وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ... " (5)

" ان الملوك اذا دخلوا قرية من القرى خرّبوها مبانيتها ، وغيروا مغانيها ، واتفوا أموالها ، وفرّقوا
شمل أهلها ، وأهانوا أشرافها وحطوا مراتبهم فصاروا عند ذلك أدلة ، وانما يفعلون ذلك لاجل
ان يتم لهم الملك وتستحكم لهم الوطأة وتتقرّر لهم في قلوبهم المهابة ، والمقصود من قولها هذا
تحذير قومها من سير سليمان إليهم ودخوله بلادهم ، وقد صدقها الله سبحانه فيما قالت فقال
سبحانه " وكذلك يفعلون " أي مثل هذا الفعل يفعلون ، " واتي مرسلّة ... " أي اني أجرب هذا
الرجل بإرسال رسلي إليه بهدية مشتملة على نفائس الأموال فان كان ملكاً ارضيناه بذلك وكفينا
أمره ، وان كان نبياً لم يرضه ذلك ، لأن غاية مطلبه ومنتهى أربه الدعاء الى الدين فلا ينجيننا
منه إلا إجابته ومتابعته والتدين بدينه وسلوك طريقته " (6)

2 - النمل (آية : 33)

4 - النمل (آية : 34 - 35)

6 - الشوكاني /فتح القدير /137/4

1 - (الشوكاني /فتح القدير) /137/4

3 - (الطبري /جامع البيان) /100/9

5 - (الطبري /جامع البيان) /100/9

(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِبَهْدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ
ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِنُجُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)⁽¹⁾

" قال سليمان - عليه السلام - لمن جاء من قبل المرأة بهداياها : اتمدونن بمال ! فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل (بل أنتم بهديتكم تفرحون) يقول : ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إلي ، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تهدي إليكم ، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ، ومكاثرة بها وليست الدنيا وأموالها من حاجتي ، لأن الله - تعالى ذكره - قد مكنتني منها وملكتني فيها ما لم يملك أحداً ، ارجع إليهم (قول سليمان لرسول المرأة) فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولا طاقة لهم على دفعهم كما أرادوا منهم " ⁽²⁾

يقول ابن كثير : " والظاهر أن سليمان - عليه السلام - لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية ، ولا اعتني به ، بل أعرض عنه ، وقال منكرأ عليهم : (اتمدونن بمال ؟) أي أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملكتكم ان الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه ، أنتم تتقادون للهدايا والتحف ، واما أنا فلا اقبل منكم إلا الإسلام أو السيف ، ارجع إليهم بهديتكم سنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بقتالهم ولنخرجنهم من بلدتهم أذلة وهم مهانون مدحورون ، فلما رجعت إليها رسلها بهديتها وبما قال لها سليمان ، سمعت وأطاعت هي وقومها ، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة ، معظمة لسليمان ناوية متابعته في الإسلام ولما تحقق سليمان - عليه السلام - قدامهم عليه ، ووفودهم إليه فرح بذلك وسر " ⁽³⁾ وبذلك قال القاسمي ⁽⁴⁾ وابن الجوزي ⁽⁵⁾ .

(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) ⁽⁶⁾

" هناك خلاف في قصد سليمان استدعاء عرشها فقيل: لما وصف له عظم عرشها وجودته ، أراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام ويمنع اخذ أموالهم ، وهذا فيه بعد أن يقع ذلك من

1 - النمل (آية : 36-37)

2 - (الطبري / جامع البيان) / (157/19) (ط : 67/8)

3 - (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) / (172/6)

4 - (القاسمي / محاسن التأويل) (67 / 8)

5 - (ابن الجوزي / زاد المسير) / (73/6)

6 - النمل (آية : 38 - 40)

نبي كريم أوتي ملكاً لم يؤته غيره ، وقيل بل استدعاه ليربها القدرة التي هي من عند الله ، وفي قوله ايكم يأتيني بعرشها دليل على جواز الاستعانة ببعض الأتباع في مقاصد الملوك ، ودليل على انه قد يخص بعض اتباع الأنبياء بشيء لا يكون لغيرهم ، ودليل على مبادرة من طلب منه الملوك قضاء حاجة ، وبداءة الشياطين في التسخير على الإنس ، وقدرتهم بأقدار الله على ما يبعد فعله من الإنس " (1)

يقول الزمخشري : " ولعله أوحى الى سليمان - عليه السلام - باستيثاقها من عرشها ، فأراد أن يغرب عليها ويربها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده ، مع اطلاعها على عظيم قدرة الله ، وعلى ما يشهد لنبوّة سليمان - عليه السلام - وصدقها ، وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أثبتته أم تنكره اختباراً لعقلها " (2) والأقرب الى الصواب القول الثاني تمهيداً لدعوتها الى الإيمان ليعلم أي صنف من النساء هذه الملكة ليسهل عليه أمر محاجتها ويستبعد القول الأول عن أخلاق الأنبياء وحسن نواياهم .

" قال عفريت: أنا آتية بعرشها قبل ان تقوم من مقعدك هذا ، وكان فيما ذكر قاعداً للقضاء بين الناس ، قال الذي عنده علم من الكتاب (كتاب الله) ، وكان رجلاً فيما ذكر من بني آدم ، فقال بعضهم : اسمه بليخا وقال آخرون : الذي عنده علم من الكتاب ، كان آصف ، وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطي (يرتد إليك طرفك) من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته قال ابو جعفر والصواب ان يكون المعنى : (قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره) وذلك ان معنى قوله (يرتد إليك) يرجع إليك البصر فإذا فتحت العين غير راجع ، بل إنما يمتد ماضياً الى أن يتأهى ما امتد نوره إذا كان ذلك كذلك وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك (أنا آتية به قبل ان يرتد) لم يكن لنا أن نقول : أنا آتية به قبل ان يرتد (إليك طرفك) من عند منتهاه " (3) والقول قول الطبري لكلمة " يرتد أما شأن الذي عنده علم من الكتاب من يكون ، فمع اطلاع الباحثة على أسماء كثيرة لم تجد مرجحاً لبعضها على بعض ، فأثرت التوقف فيه فلما استقر عنده العرش حمد الله وشكره ورد الفضل إليه .

" أي هذا النصر والتمكين من فضل ربي (ليتعبدني) وهو مجاز والأصل في الإبتلاء الاختبار ، أي ليختبرني أشكر نعمته أم أكفرها (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) أي لا نفع ذلك إلا الى نفسه ، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها ، والشكر قيد النعمة الموجودة ، وبه تتال النعمة المفقودة (ومن كفر فإن ربي غني) أي عن الشكر كريم في التفضل " (4)

2 - (الزمخشري / الكشاف) / (48/3)

1 - (ابوحيان الأندلسي / البحر المحيط) / (239/8)

4 - (القرطبي / احكام القرآن) / (206/13)

3 - (الطبري / جامع البيان) / (164/19)

قال تعالى: "أشكر أم أكفر"⁽¹⁾ فيه قولان :-

"أحدهما: أشكر على السرير إذ أتيت به أم أكفر إذا رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني"
"الثاني: أشكر ذلك من فضل الله عليّ، أم أكفر نعمته بترك الشكر له"⁽²⁾ الوجهان مقبولان عند
الباحثة فليس من تناقض بينهما ربما المراد وضع سليمان - عليه السلام - على المحك فإما ان
يكون شاكراً واما كافراً أعاده الله والثمرة الواقعية هي التخلُّق بأخلاق الإيمان .
(قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) ⁽³⁾ (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا
عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) ⁽⁴⁾ .

"أراد سليمان - عليه السلام - في هذا "التكثير" تجربة ميزها ونظرها وليزيد في الاغراب
عليها ، وقولها "كأنه هو" تجوز فصيح نحوه قوله تعالى : (كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) ⁽⁵⁾ شبهوا عليها
فشبهت عليهم ، وقال سليمان عند ذلك (وأوتينا العلم من قبلها ...) وهذا منه على جهة تعداد
نعم الله ، وانما قال ذلك لما علمت هي وفهمت ، ذكر هو نعمة الله عليه وعلى آبائه " ⁽⁶⁾ وبذلك
قال ابوحيان الاندلسي ⁽⁷⁾

المطلب الثالث : الهداية ثمرة للتعقل والحكمة : -

إن الإنسان يعرف الله بفطرته وجبلته ، وما على من يريد اكتشاف هذا في ذات نفسه إلا أن
يتذكر نفسه حين ضاقت عليه الدنيا يوماً ، وسدّ عليه الهمّ كل جانب ، وغشيتة الحيرة ، لا بد انه
شعر حينها بقوة خفية قادرة على إنقاذه وتهوين ما هو فيه ، ان هذه القوة هي الله
ولكن هذه النفس البشرية يعترها الكثير من الفتور والهوج ، فكان إرسال المرسلين والنبیین
لتنظيم حياة البشرية وتفقدتها لإزالة رُكام الفتور عنها ، وكذلك لإقامة الحجّة على خلق الله يوم
يقوم الناس لرب العالمين

1 - النمل (آية : 40)

2 - (ابن الجوزي / زاد المسير) / (75/6)

3 - النمل (آية : 42)

4 - (الطبري / جامع البيان) / (165/19)

5 - فصلت (آية 34)

6 - (ابن عطية الأندلسي / المحرر الوجيز) / (261/4)

7 - (ابوحيان الأندلسي / البحر المحيط) / (242/8)

كان الباحثة بملكة سبأ وقد رق قلبها لدعوة نبي الله الكريم سليمان - عليه السلام - فوجدت لها صدق في أعماقها الخفية وراحت تستجمع الأدلة على صدق هذا الداعي وعلى فساد ما كانت عليه هي وقومها ، فقد بعث إليها بكتاب موجز لطيف وقد رد هديتها وقد احسن استقبالها . قال تعالى : (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (1) فقد اكتملت لديها الأدلة ، وظهر لها ما كان خافياً من قبل " قيل لها ادخلي القصر او صحن الدار ، وكان سليمان - عليه السلام - قد اتخذ قصرأ بديعاً من زجاج ، فأراد أن يريها منه عظمة ملكه وسلطانه ، ومقدار ما آثره الله به (فلما رأته حسبته لجة) أي ماء عظيماً (وكشفت) للخوض فيه عن ساقها ، (قال انه صرح ممرد) أي مملس (من قوارير) من زجاج (قالت رب اني ظلمت نفسي) أي بكفرها السالف وعبادتها وقومها الشمس (واسلمت مع سليمان) أي متابعة له في دينه وعبادته لله وحده لا شريك له " (2)

ويقول صاحب الظلال : -

" لقد كانت المفاجأة قصرأ من البلور ، أقيمت أرضيته فوق الماء ، وظهر كأنه لجة ، فلما قيل لها ادخلي الصرح حسبت أنها ستخوض تلك اللجة ، فكشفت عن ساقها ، فلما تمت المفاجأة ، كشف لها سليمان عن سرها ، قال : - (انه صرح ممرد من قوارير) (3) ووقفت الملكة مفعوءة مدهشة أمام هذه العجائب التي تعجز البشر ، وتدل على ان سليمان سخر له قوى أكبر من طاقة البشر ، فرجعت إلى الله وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره معلنة إسلامها " مع سليمان " لا -سليمان- . ولكن " لله رب العالمين " لقد اهتدى قلبها إلى الإسلام واستتار ، فعرفت أن الإسلام لله ليس استسلاماً لأحد من خلقه ، ولو كان هو سليمان النبي الملك صاحب هذه المعجزات ، إنما الإسلام إسلام لله رب العالمين ، ومصاحبة للمؤمنين والداعين الى طريقه على سنة المساواة وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين" (4)

لقد كان لتعقلها وتربيتها بعد توفيق الله لها دور عظيم في هدايتها الى سبيل الله ومنهج الإيمان الحق .

1 - النمل (آية : 44)

2 - (التاسمي / محاسن التأويل / (70/8))

3 - النمل (آية : 44)

4 - (قطب / الظلال) / (2643/5)

المطلب الرابع : عبر من قصة الملكة : -

يقول تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (1) هذا قول رب العزة من فوق سبع طباق فلنكن العبرة شغلنا الشاغل ولنكن من أهل السعادة فننعتز بغيرنا لا من أهل الشقاء فننعتز بأنفسنا - والعياذ بالله -

1 - العبرة الأولى : أخذ الأمور بالحزم ، والضرب على أيدي المارقين ليستقيم الأمر وتستوي شؤون الحياة . يتجلى هذا في قول الله تبارك وتعالى على لسان سليمان - عليه السلام - يتوعد الهدهد حين لم يره بين جماعته من الطير (لَأَعَذَّبْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) (2)

" احل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع ، وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة " (3)

2 - العبرة الثانية : " جواز أن يقول المرء لمن هو فوقه بالعلم والفضل والمنزلة قد اطلعت على ما لم تطلع عليه ، وقد علمت أمراً لم تعلمه من قبل ، ولكن من الأدب أن لا يبدأه بذلك ، وأن يتواضع له وأن يكون مثل هذا القول من باب النصيحة التي هي حق للإمام على رعيته وللرعية على إمامها ، فالهدهد أعلم سليمان ما لم يكن يعلمه ، ودفع عن نفسه ما توعدده من العذاب والذبح كما ان فيه رداً على من قال ان الأنبياء تعلم الغيب " (4)

3 - العبرة الثالثة : " التيقن من المسموع والوقوف على المنقول وعدم ترك الأمر على عواهنه ، وفي قول الله تعالى على لسان سليمان للهدهد " سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (5) إرشاد إلى البحث عن الأخبار والكشف عن الحقائق ، وعدم قبول خبر المخبرين تقليداً لهم واعتماداً عليهم إذا تمكن من ذلك بوجه من الوجوه " (6)

4 - العبرة الرابعة : اعتماد سياسة الحكمة والتريث يؤدي إلى نتائج مرضية ، ان من شأن الملوك المسارعة في الغضب واستعجال صبب النقمة على من يرون أنه يبغى مشاطرتهم ملكهم أو التحكم في شؤون ممالكهم ، هذا كسرى الفرس غضب وانتفخت أوداجه عندما بعث له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً يدعو فيه إلى دين الله ونبذ الشرك والوثنية لينال سعادة الدنيا والآخرة ، وما كان منه إلا أن مزق كتاب الداعية الكريم، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن ملكة سبأ لم تكن من هذا الصنف أبداً ، بل أثرت أن تقوم بجس نبض ثم تنتظر بعد ذلك ما ستسفر عنه الأحداث .

1 - يوسف (آية : 12)

2 - النمل (آية : 21)

3 - (حوى / سعيد / الأساس في التفسير / دار السلام / ط : 1) (1/4007/7)

4 - (القرطبي / احكام القرآن) (181/13)

5 - النمل (آية : 27)

6 - (الشوكاني فتح القدير) (136/4)

5 - العبرة الخامسة : خفض الجناح للأتباع والاستتارة برأيهم واطلاعهم على شؤون الحكم تسيّر دفة الأمور وتسهم في سلامة السفينة (سفينة الملك وعربة السلطان)

" قصدت بالانقطاع إليهم ، واستطلاع رأيهم ، تطيبب قلوبهم (1) (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) (2) أي أجيّبوني في أمري الذي حزبني وذكرت لهم خلاصته ، وعبرت عن الجواب بالفتوى التي هي الجواب في الحوادث المشكلة غالباً تهويلاً للأمر ، ورفعاً لمحلّم بالإشعار كأنهم قادرون على حلّ المشكلات الملمة وقولها (ما كنت قاطعة أمراً ...) أي من الأمور المتعلقة بالملك (حتى تشهدون) أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم استعظافاً لهم ، واستمالةً لقلوبهم لنلا يخالفوها في الرأي والتدبير " (3)

6 - العبرة السادسة : الإنصاف وعدم وضع نتائج مسبقة وتقبل ثمار التجارب برضاً وطمأنينة ، فكم من الناس يربط نتيجة بحثه في ملمة باتجاه للحل يرضاه هو لنفسه ، ويستमित في الدفاع عنه ، مثله مثل الذي يتعجل الحكم الشرعي في أمر فقهي فيضعه نصب عينيه ويصم أذنيه عن سماع غيره ثم يروح بجمع الأدلة على ذلك الحكم الذي استقرّ عليه ، والصراط السوي أن يبحث بمنهجية صادقة ويأخذ كل جوانب الأمر بعين الاعتبار ، ثم يكون حكمه مبنياً على البحث الشامل والتدقيق الملمّ ، وقد كان هذا شأن الملكة حين خطأت قومها وعابت عليهم الميل الى القتال والتلويح بالقوة ، فقالت : (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةً بِمَ يُرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) (4) . " ذُكِرَ أَنَّهَا قَالَتْ : إِنِّي مَرْسَلَةٌ إِلَى سُلَيْمَانَ ، لَتُخْتَبِرَهُ بِذَلِكَ وَتَعْرِفَهُ بِهِ ، أَمَلِكُ هُوَ أَمْ نَبِيٌّ ؟ وَقَالَتْ : إِنْ يَكُنْ نَبِيًّا لَمْ يَقْبَلِ الْهَدِيَّةَ ، وَلَمْ يُرْضَهُ مِنَّا ، إِلَّا أَنْ نَتَّبِعَهُ عَلَى دِينِهِ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا قَبْلَ الْهَدِيَّةِ وَانصرف " (5)

عرفت من خلال ردّه للهدية انه نبي فلم تحتاج ولم تصرّ على منكر فعلته بل لم يكن منها إلا التسليم والانقياد .

وقد يسأل سائل فيقول : لم رد نبيّ الله الكريم سليمان - ﷺ - هدية الملكة مع انه كان من شأن رسول الله ﷺ قبول الهدية ، والحق أن الملكة لم ترد بهديتها الغرض الذي من اجله سنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قبول الهدية وهو الذهاب بالضعائن وتعزيز روابط المحبة وانما أرادت غرضاً في نفسها رغبت في ان تستدل عليه فعرف سليمان - ﷺ - مقصدها فسارع إلى رد هديتها ولو قبل منها لما عظم في عينها ولما تابعته على دينه والله اعلم بالصواب

2 - النمل (آية : 27)

1 - (الرازي / التفسير الكبير) / (195/24)

3 - (ابي السعود / ابن محمد العمادي الحنفي) (تفسير ابي السعود او ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) / (دار الفكر / ط: 1) تحقيق / عبدالقادر احمد عطا / (ج4/295) وسائير اليه عند وروده فيما بعد (ابو السعود / ارشاد العقل السليم)

5 - (الطري / جامع البيان) / (155/19)

4 - النمل (آية : 35)

7 - العبرة السابعة :

شكر النعم ورد الفضل إلى الله فيها مرضاة للرب من جهة ومدعاة إلى دوام النعم وإسباغ الهدى والغفران من جهة أخرى ، إذ أن سليمان - عليه السلام - حينما أمر بإحضار عرش الملكة فأحضر سريعاً ما كان منه إلا أن شكر ربه وبالغ بالاعتراف بالفضل وإظهار العبودية والامتثال (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) (1)

8 - العبرة الثامنة :

لعزة الإيمانية ترأب الصدع وتحل محل العداوة الأخوة والمحبة في الله ، يتضح هذا في قول الله تعالى على لسان الملكة (ربي اني ظلمت نفسي ...) (2)

يقول صاحب الظلال - رحمه الله : -

" وسجل السياق القرآني هذه اللفتة وأبرزها ، للكشف عن طبيعة الإيمان بالله ، والإسلام له ، فهي العزة التي ترفع المغلوبين إلى صف الغالبين ... بل التي يصبح فيها الغالب والمغلوب أخوين في الله . لا غالب منهما ومغلوب وهما أخوان في الله ... رب العالمين ... على قدم المساواة ، ولقد كان كبراء قريش يستعصون على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الإسلام ، وفي نفوسهم الكبر أن ينقادوا إلى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، فتكون له الرياسة عليهم والاستعلاء ، فما هي ذي امرأة في التاريخ تعلمهم أن الإسلام لله يسوي بين الداعية والمدعويين بين القائد والتابعين ، فإنما يسلمون مع رسول الله الله رب العالمين " (3) .

العبرة التاسعة : الحكمة والكياسة :

في جواب الملكة عن سؤالهم لها وقولها له عن العرش (كأنه هو) ، دليل آخر على كياستها وحكمتها وحسن تقديرها ، ودقة تفكيرها وتدبيرها ، كأنها استشفت ببصيرتها الثاقبة أن العرش عرشها ، ولكن جد عليه تغيير طارئ لم تكن تعرفه من قبل ، وعندما سئلت عنه رأت أنه ليس من دقة النظر ولا الكياسة في شيء أن تقرّ بأنه عرشها ، أو أن تنفي ذلك ، فأعطت جواباً بين بين (كأنه هو) يكاد يكون هو ذات العرش ، ولكن ليس هو .

1- النمل (آية : 40)

2 - النمل (آية : 44)

3 - تطيب /الظلال / (2643/5)

المبحث الخامس :- أم موسى - السورة -

هي التي أكرمها الله بالوحي ، فكان وحيه لها مرشداً ودليلاً ، وهي التي أكرمها الله بالبشرى والطمأنينة ، وقد صدق الله وعده ، ونصر عبده وردّ كيد فرعون الى نحره ، ذلك الجبار الذي طغى وبغى ، وسام العباد سوء العذاب ، وصمّ أذنيه عن دعوة الأنبياء والمرسلين ، كان حمل أم موسى - السورة - حملاً مباركاً خيراً عليها وعلى قومها أجمعين ، وسبيلاً إلى تحررهم من نير العبودية الذي كانوا فيه أيام الفراعنة .

المطلب الأول : وضع الوليد (بين الخوف والرجاء) : - قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (1)

" وأوحينا إلى أم موسى حين ولدت موسى " ان ارضعيه " ، والمعنى قذفنا في قلبها ، وليس بوحي نبوة " (2) " أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين " (3) إحياء الله الى أم موسى إلهام وقذف ، او منام ، أو إرسال ملك ويرجح صاحب البحر المحيط : " ان يكون إرسال ملك هو الظاهر لقوله " انا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين " (4) وبذلك قال الألوسي (5) والمراد من عرض ما جاءت به كتب التفسير حول كيفية الوحي الى أم موسى - السورة - نفي أن يكون ذلك الوحي وحي نبوة ، إذ لم يجعل الله تعالى من النساء نبيه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا) (6)، أما غير ذلك من طرق الوحي كالمنام ، او الإلهام الفطري أو إرسال الملك فكلها جائزة الوقوع ولا دليل - فيما تعلم الباحثة يرجح أحدها على الآخر ، وغاية الأمر أن الوحي تم من الله الى أم موسى - ولو كان في الاطلاع على كيفية ذلك الوحي منفعة لكان ذلك .

قال تعالى : (أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي) (7)

" والضمائر كلها راجعة الى أم موسى ، ورجوع بعضها إليه ، وبعضها الى التابوت فيه هجته لما يؤدي إليه من تنافر النظم ، فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت ، وكذلك الملقى الى الساحل . قلت : ما ضرك لو قلت : المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت ، حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن ، ، والقانون الذي وقع عليه التحدي ، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر " (1)

1 - القصص (آية : 7)

2 - (الطبري /جامع البيان)/(31/20)

3 - (ابوحيان /البحر المحيط)/(286/8)

4 - (ابوحيان /البحر المحيط)/(286/8-287)

5 - (الألوسي /روح المعاني)/(189/17)

6 - النحل (آية : 43)

7 - طه (آية : 36-39)

8 - (الزمخشري /الكشاف)/(536/2)

" كان وحي الله الى أم موسى : -

- 1 - ان تقوم بإرضاع موسى بعد ولادته (أن ارضعيه)
 - 2 - أن تجهز له تابوتاً خشبياً على مقياسه ، لتضعه فيه عند الخطر ، ونلاحظ أن فعل (اقذفه) يلقي ظل الشدة لأن جرس فعل (قذف) يلقي هذا الظل ، ويعطي هذا المعنى ، فهي تقذف ابنها الوليد في التابوت قذفاً ولا تضعه وضعا ، ثم تقذف التابوت في اليم قذفاً أيضاً " (1)
- بين القذف والإلقاء : -

" قذف بالشيء يقذف قذفاً فانقذف : رمى ، وقذفه به أصابه " (2)

" وألقى الشيء : طرحه ، وألقى : الشيء الملقى ، والجمع ألقاء " (3) وربما كان التتويج بين فعلي الإلقاء والقذف إثراءً للصورة المرسومة في الخيال حول هذه الواقعة الفريدة .

(فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) (4) جزاءً أخرج مخرج الأمر ، كان اليم هو المأمور " (5)

أمر صعب حرج ، لا تقوى عليه النفوس الضعيفة ، وإنما النفوس التي سمت وارتفعت حتى غدت لا حظ فيها لوسوسة شيطان ، ولا سبيل له عليها ، كيف لأم قد وضعت وليداً ضعيفاً لا حول له ولا قوة ، ثم أرضعته كما ترضع كل أم وليدها ، وما ذلك إلا دليل حنوها عليه ، وشغفها به ، كيف تضعه في تابوت وتلقيه في الماء ، ترى هل كانت غائبة الوعي ؟ أم أنها لم تعد تلك الأم الرؤوم حين فعلت ما فعلت ، لقد فعلت ما فعلت خوفاً على ذاك الوليد وحفظاً له ، ولكن كيف يكون الحفظ بالإهلاك ، كيف ترميه في الماء ، وتجلس بعد ذلك منتظرة ما ستسفر عنه الأحداث ؟ ولكن مهلاً لم يكن ما فعلته أم موسى من هذا القبيل بتاتاً ، بل إنها المحببة والشفقة والشغف والرغبة في الإبقاء على الوليد مهما كلف الثمن ، وقبل كل ذلك ، إنه التصديق بوعد الله ، وامتثال وحيه وأتباع أمره ، لقد ألفت بوليدها في الماء حيث الأمواج المتلاطمة ، والصخور العظيمة ، لكنها امتثلت أمر الله ، واوكلت وليدها إليه .

قال تعالى : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (6)

" وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من كل هم ونكر ، إلا هم موسى ونكر موسى ، وقيل بل معناه : ناسياً للوحي الذي أوحى الله - عز وجل - إليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ، ولا

1 - (الخالدي / القصص القرآني) (286/2-287) .

2 - (ابن منظور / لسان العرب) (باب الفاء فصل القاف) (276/9-277)

3 - (ابن منظور / لسان العرب) (باب الألف / فصل اللام) (255/15)

4 - طه (آية : 39)

5 - (الطبري / جامع البيان) (31/20)

6 - للتصص (آية : 10) .

تخاف ولا تحزن ، والعهد الذي عهد إليها أن يرده إليها ويجعله من المرسلين (ان كادت لتبدي به) أي لتصرح بأنه ابنها من شدة وجلها ، وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يرده عليها (لولا أن ربطنا على قلبها) أي بالعصمة و الصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله إياها (2) والراجح فراغ قلبها من كل هم سوى ذكر موسى ، أما نسيانها لوحي الله فأمر مستبعد ، إذ كيف تنسى وحي الله، وما الذي حملها على الصبر إذا كانت قد نسيته ؟ (إن كادت لتبدي به)

" معناه : لولا أن ربطنا على قلبها ، والربط على القلب الهام الصبر و تشديده و تقويته " (3) لأبدت به

وهذا قرين قول الله عز وجل : (وَكَفَدَ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) (4) فقد حالت رؤية برهان الله دون وقوع الهم . وأم موسى عليه السلام حال ربط الله على قلبها دون إبدائها لهوية ولداها .

1- (الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل) / (397/3)

2- (الزجاج / معاني القرآن) / (131/4)

3- يوسف (آية 24)

المطلب الثاني : رجوع الوليد (صدق الله وعده) : -

لقد أحسنت أم موسى - ~~التي~~ فأحسن الله إليها وصبرت فنالت خيراً وجزاءً موفوراً .
قال تعالى : (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَقَرَّرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَا تَحْزَنَ وَكَتَبْنَا لَهُ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)⁽¹⁾

" يعني ما وعدت به مما أوحى إليها من قوله : (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)⁽²⁾
" ووعده الله المشار إليه هو الذي أوحاه إليها أولاً " ⁽³⁾

" دخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، وذهب البشير الى امرأة فرعون ، فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها ، وأعطتها عطاءً جزيلاً ، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً ، في عز وجهه ورزقٍ دارٍ ، ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل ، فسبحان الذي بيده الأمر ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً وبعد كل ضيقٍ مخرجاً " ⁽⁴⁾

" ولتعلم ان وعد الله " أي جميع وعده ، ومن جملة ذلك ما وعدنا بقوله " إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ " [حق] لا خلف فيه واقع لا محالة : " ولكن أكثرهم لا يعلمون " أي أكثر آل فرعون لا يعملون بذلك ، بل كانوا في غفلة عن القدر وسرّ القضاء ، أو أكثر الناس لا يعلمون بذلك ، أو لا يعلمون أن الله وعدنا أن يرده إليها " ⁽⁵⁾

" وقوله (ولا تحزن) عطف على " تقر " ، ودمعة الفرح قارة ، ودمعة الترح حارة ⁽⁶⁾
" قارة : أي باردة ، ويوم قرّ و ليلة قرّة : أي باردة " ⁽⁷⁾ (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَقَرَّرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَكَتَبْنَا لَهُ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) ⁽⁸⁾ " أي فيما كان وعدنا من أن يرده إليها ، ولقد كانت عالمة بذلك ، ولكن ليس كالعيان ، فتحققت بوجود الموعود " ⁽⁹⁾ وللباحثة أن تتوقع ما حدث لأم موسى من الفرح والاستبشار ، ومن عظيم ما حمدت الله وشكرته على ما أنعم به عليها .

1 - القصص (آية : 13)

2 - (الزجاج /معاني القرآن)/(135/4)

3 - (ابن عطية الأندلسي /المحرر الوجيز)/(279/4)

4 - (ابن كثير /تفسير القرآن العظيم)/(202/6)

5 - (الشوكاني /فتح القدير)/(161/4)

6 - (السمين الحلبي /شهاب الدين ابي العباس بن يوسف بن محمد بن ايراهيم) (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون

/ (دار الكتب العلمية /ط : 1) / (ج5 /334) وسأشير إليه عند وروده فيما بعد (السمين الحلبي / الدر المصون)

7 - (الجوهري /الصاحح)/(فصل القاف /باب الراء) (509/2) 8 - القصص (آية : 13)

9 - (الرازي /التفسير الكبير)/(231/24)

المطلب الثالث : عبر من ذكر أم موسى - الطبري - : -

كلما توعرت سبيل الداعية كلما منح الله زاداً مباركاً ليقوى به على مواصلة المسير ، وكلما تعاضمت المحنة عظمت الهمة ، وقويت العزيمة ، وقل في عين الداعية حجم الابتلاء ، ذلك أنه أحسن الظن بالله فليس مثل حسن الظن بالله شيئاً .

1 - العبرة الأولى : صدق التوكل وتفويض الأمر إلى الله : -

" ألفت أم موسى - عليه السلام - ولدها في اليم ، معتقدة أن في هذا التدبير الحكيم الخير والنجاة ، متوكلة حسنة التوكل مودعةً وليداً صغيراً في أحشاء تابوت في عرض اليم ترفعه موجةً وتحطه أخرى .

" فرددناه إلى أمه ... " (1) " فرددنا موسى بعد أن النقطه آل فرعون لتقر عينها بابنها ، إذ رجع إليها سليماً من قتل فرعون ، ولا تحزن على فراقه إياها " (2)

2 - العبرة الثانية : مجاهدة النفس في طاعة الله : -

الاجتهاد في الطاعة وإسناد العلم المطلق إلى الله - عز وجل - والقدرة اللامحدودة لذاته - سبحانه - مع اتهام النفس وتحجيمها الدائم إلى جنب الله ، لئلا تصطمم الرؤى البشرية بأمر من أوامر الله فيكون هذا مزلقاً نحو الضلال - والعياذ بالله - قال تعالى : " ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم " (3)

لقد قدر الله عز وجل لموسى النجاة ، ولقد انتفع ببركة طاعة أمه لله - سبحانه - وانتفعت هي بذلك ، فقررت عيناً ، وفرج الله عنها ضيق صدرها ، وأجلى الهم عن قلبها .

3 - العبرة الثالثة : فضيلة الصبر والاحتساب : -

قال تعالى : (وَكَنَبُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (4) فأم موسى - عليه السلام - ترضع ولدها وتأخذ اجرها ، وما ذاك إلا لصبرها على إلقاء ولدها ، وعلى التقاط عدوه له ، وعلى فراقه قبل أن يرده الله إليها ، واحتساب ذلك كله لوجه الله ، وفي سبيل الله .

1- التخص (آية : 13)

2 - (الطبري / جامع البيان) / (41/20)

3 - الاحزاب (آية : 36)

4 - البقرة (آية : 155-156)

4 - العبرة الرابعة : جميع الاحتياطات الأمنية لا تنجي من قدر الله : -

فما حدث من أمر موسى وأمه ، هو تدبير إلهي حكيم خفي ، ففرعون يقتل أبناء بني إسرائيل خوفاً من أن يخرج منهم من يكون هلاك ملك فرعون على يديه ، ثم هو يلتقط هذا الغلام ويربيه ، رجاء أن يكون قرّة عين له ولأهل بيته ، وهم لا يشعرون أن هلاكهم بسببه ، في بيت فرعون يربي عدو فرعون اللدود ، ولا يجروء أحد على مسّه بأي أذى ، إذ أنه في نظر الحاشية والناس متبني الملك الذي يسعى الجميع لإرضائه وخدمة مزاجه .
(ولكن أكثرهم لا يعلمون)⁽¹⁾ " يعني أكثر آل فرعون لا يعلمون ، أي : كانوا في غفلة عن التقدير وسرّ القضاء " ⁽²⁾

1 - القصص (آية : 13)

2 - (القرطبي / أحكام القرآن) / (258/13)

امراة عمران ومريم ابنة عمران

﴿ مَهَيَّنَا ﴾

هي والدة مريم والدة المسيح عيسى - عليه السلام - ذكرها القرآن الكريم في موضع واحد من كتاب الله عز وجل في سورة آل عمران ثالث سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف .
قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (1)

يخبر القرآن الكريم عن نذر امرأة عمران جنيناً في أحشائها لله محرراً من كل ما عدا الله .
ثم يُخبر عن المرأة حين وضعها ، فقد وضعت الجنين أنثى : - (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَكِنَّ الذَّكَرَ كَأَنِّي كَأَنَّهُ نَبَأٌ حَسَنٌ وَإِنِّي أَعِدُّهَا بِكَ وَذَرِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (2)

ثم يجيب السياق القرآني على التساؤل الناشئ في ذهن القارئ ماذا حدث بعد أن وضعت النذيرة الأنثى ؟ خاصة وان جو النص يوحي بأن الغلمان هم المرغوب فيهم لمثل هذا النذر ،
قال تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ...) (3)

يأتي حديث القرآن عن امرأة عمران تمهيداً للحديث عن مريم ، ثم عن عيسى روح الله - عليه السلام - الذي ما زال الناس على أشد الخلاف في شأنه بل إن شان عيسى بن مريم يترتب عليه إيمان طائفة وكفر أخرى ، وضلال الفئة التي غلت فيه - عليه السلام - كما أن السمع في النص ومطالعة التفاسير يحمل إشارة إلى بعض الأشخاص والبيوتات التي اصطفاها الله عز وجل وأثرها ، ذلك أن لبعض أهل هذه البيوت باعاً طويلاً وقدماً راسخة في تقوى الله وفي الدعوة إلى دين الله سبحانه ، تلك البيوت ما كان اصطفاء الله لها إلا للتقوى والهداية ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

لقد فاقت مريم الكثيرين في تبطلها وزهدا وعبادتها ، فكانت نموذجاً ومثلاً طيباً وقودة حسنة في التطهر والعفاف وكريم الخلق واخلاص العبودية لله ، وحجب النفس عن مباحج الدنيا وزينة الحياة .

لقد انحدرت مريم - عليها السلام - من بيت اصطفاها الله وكرمه على العالمين ، كما ولدت لأم صالحه زاهدة ، راغبة فيما عند الله ، وكانت هي نفسها - عليها السلام - طوداً عظيماً

2 - آل عمران (آية : 36)

1 - آل عمران (آية : 35)

3 - آل عمران (آية : 37)

وحصناً عزيز الجانب في كل ما هو خير ، فكانت بحق خيار من خيار من خيار .

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)⁽¹⁾

اصطفاها الله من ذويها واصطفى ذويها من العالمين فكانت محل معجزة خارقة قد جعل الله فيها آية وعبرة للقاصي والداني .

المطلب الأول : " النذر والتقبل " : -

لقد بدأ شأن مريم - عليها السلام - حينما نذرت أمها ما في بطنها لله ، لخدمة بيت الله ، خالصاً من شؤون الدنيا ، محرراً من قيودها وروابطها ، بدأ شأنها منذ أن كانت جنيناً في أحشاء أمها " امرأة عمران " ، قال تعالى : -

(إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ)⁽²⁾

" أما امرأة عمران فهي أم مريم ابنة عمران أم عيسى بن مريم - عليه السلام - أما نذرها ، فان معناه : أني جعلت لك يارب نذيراً ، أن لك الذي في بطني محرراً لعبادتك ، تعني عتيقاً من خدمة كل شيء سواك ، تعني بذلك حبسته على خدمتك وخدمة قدسك ، مفرغاً لك خاصة ، (فتقبل مني) أي فتقبل مني ما نذرت لك يارب " إنك أنت السميع العليم " يعني إنك أنت يارب السميع لما أقول وادعو ، العليم بما أنوي في سرّي وأريد ، لا يخفى عليك سر أمري وعلانيته⁽³⁾ " وكان المحرّر عندهم إذا حرّر جعل في الكنيسة ، فيقوم عليها ، ويخدمها ولا يبرح مقيماً فيها حتى يبلغ الحلم ، ثم يختار فان أحب أقام فيها ، وان أحب ذهب حيث يشاء " ⁽⁴⁾ في قوله " إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ " ⁽⁵⁾ قولان : -

1 - أنها زائدة 2 - أنها اصل في الكلام ،

وفيها ثلاثة أقوال :

أ - أن المعنى : اذكر إذ قالت

ب - أن العامل في " إذ قالت " معنى الاصطفاء فيكون المعنى : (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)⁽⁶⁾

" فتقبل مني " " التقبل : أخذ الشيء على الرضا ، وأصله من المقابلة لأنه يُقبل بالجزاء⁽⁷⁾ قال تعالى : (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَكِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)⁽⁸⁾

1 - آل عمران (آية : 33) 2 - آل عمران (آية : 35)

3 - (الخازن /لباب التأويل في معاني التنزيل) (223/1) 4 - (الطبري /جامع البيان) (235/3)

5 - آل عمران (آية : 35) 6 - (ابن الجوزي /زاد المسير) (305/1)

7 - (الرازي /التفسير الكبير) (23/8) 8 - آل عمران (آية : 36)

(أي وُلدت النذيرة أنثى والله أعلم بما وضعت) فتأويل الكلام إذاً : والله أعلم من كل خلقه بما وضعت ، ثم رجع جلّ ذكره الى الخبر عن قولها ، وأنها قالت اعتذاراً الى ربّها مما كانت نذرت في حملها فحرّرتّه لخدمة ربّها (وليس الذكر كالأنثى) لأنّ الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها ، وإنّ الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس ، والقيام بخدمة الكنيسة لما يعترّيهما من الحيض والنّفاس ، وإنّما كانوا يحرّرون الغلمان " (1)

" قال الزمخشري : فإن قلت : فلم قالت اني وضعتها أنثى ؟ وما أردت الى هذا القول ؟ قلت : قالته تحسراً على ما رأيت من خيبة رجائها ، وعكس تقديرها فتحزنت الى ربّها لأنها كانت ترجوا وتقدر أن تلد ذكراً ، ولذلك نذرتّه محرّراً للسّدانة ، (والله أعلم بما وضعت) تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بقدر ما وهب لها منه ، ومعناه : والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظام الأمور " (2) (وليس الذكر كالأنثى) أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وضعت ، فان غاية ما أردت من كونه ذكراً ان يكون نذراً خادماً للكنيسة ، وأمر هذه الأنثى عظيم وشأنها فخم . وهذه الجملة اعتراضيه ، مبيّنة لما في الجملة الأولى من تعظيم الموضوع ورفع شأنه ، وعلو منزلته ، واللام في الذكر والأنثى للعهد " (3) (واني سميتها مريم) أردت بهذه التسمية التفاضل لها بالخير ، والتقرّب إلى الله تعالى ، والتضرّع إليه بان يكون فعلها مطابقاً لاسمها ، وإن تصدّق فيها ظنّها بها ، ألا ترى إلى إعادتها بالله ، واعادتها نريتها من الشيطان ؟ وخاطبت الله بهذا الكلام لترتب الاستعاذة عليه " (4)

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : - " ما من مولود يولد ، إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان . إلا ابن مريم وأمه " (1)
قال أبو هريرة : اقرؤا ان شئتم : (وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنِكَ وَنُرِّيئُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (2)
يعني بذلك جلّ ثناؤه " تقبل مريم من أمّها بتحريرها إيّاها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربّها بقبول حسن ، والقبول : مصدر من قبلها ربّها تقبلاً حسناً ، (وأنبتها نباتاً حسناً) " وأنبتها ربّها في غذائه ورزقه نباتاً حسناً حتى تمت ، فكمّلت امرأة بالغة تامة " (3)

1 - (الطبري /جامع البيان)/(235/3)

2 - (الزمخشري /الكشاف) (425/1)

3 - (الشوكاني /فتح القدير)/(335/1)

4 - (ابو حيان الاندلسي /البحر المحيط)/(118/3)

5 - (مسلم /الامام ابي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري /صحيح مسلم /رقم الحديث (2366) (كتاب الفضائل /باب فضائل عيسى)/تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي (دار احياء التراث /ط :2) (ج 4 /ص 1838)

6 - آل عمران (آية : 37)

7 - (الطبري /جامع البيان) (241/3)

(وكفلها زكريا) " أي جعله كافلاً لها ، ذلك أنها كانت يتيمة ، وإنما قدر الله كون زكريا كافلاً لها لسعادتها ، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً " (1)

(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً) " يعني بذلك جل ثناؤه : أن زكريا كلما

دخل عليها المحراب بعد إدخاله إياها المحراب ، وجد عندها رزقاً من الله لغذائها " (2)

(وكفلها زكرياً كلما دخل عليها زكرياً المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت

هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) (3) " من أين لك هذا الرزق الذي لا

يشبه أرزاق الدنيا ، وهو آت في غير حينه ، والأبواب مغلقة عليك ، ولا سبيل للداخل به إليك ،

قالت : هو من عند الله ، فلا تستبعد " (4)

هذه مريم - عليها السلام - في أول نشأتها ، تُسأل من كافلها عن أمر تشير الآيات ربما الى

أنه لم يأتيها به ، فتقول : هو من عند الله ، وإلا فلم يسأل زكريا - عليه السلام - عن شيء أحضره

بنفسه ؟

المطلب الثاني : الاصطفاء والبشارة : -

لأنها سليبة نسب طاهر ، وبيت مدعم الأركان ، وأم عيسى - عليه السلام - الذي ولد بلا أب ، فكان

ميلاده معجزة ، وكانت رسالته رسالة توحيد ، وإخلاص عبودية للمعبود بحق ، وقبل هذا وذاك

لأنه قدر الله ، ولأن الله يختص برحمته من يشاء لهذا كله ، اصطفى الله مريم على نساء

العالمين ، قال تعالى : - (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى

نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (5) قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ) : " إن شئت جعلت هذا الظرف نسقاً على

الظرف قبله ، وهو قوله : (إذ قالت امرأة عمران) ، وإن شئت جعلته منصوباً بمقدر " (6) إذ

أن المعنى لا يختلف بكلا الحالين .

" بينما مريم في المحراب إذ قالت الملائكة (يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك) من الفاحشة (

واصطفاك) يعني اختارك (على نساء العالمين) عالم أمتها (يا مريم اقتني لربك واسجدي

واركعي مع الراكعين) (7) يعني صلّي لربك يقول : اركدي لربك في الصلاة بطول القيام ،

فكانت تقوم حتى ورمت قدميها (واسجدي واركعي مع الراكعين) يعني مع المصلين ، مع قرآء

بيت المقدس " (8)

1 - (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) // (29/2-30) 2 - (الطبري / جامع البيان) // (245/3)

3 - آل عمران (آية : 37) 4 - (الزمخشري / الكشاف) // (427/6)

5 - آل عمران (آية : 42) 6 - (السمين الحلبي / الدر المنثور) // (91/2)

7 - آل عمران (آية : 43) 8 - (السيوطي / الدر المنثور) // (44/2)

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ " كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسيا امرأة فرعون . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " (1)

قال تعالى: (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) (2) " أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عنهم معاينة عما جرى بك ، أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترحوا في شأن مريم أيهم يكفلها ، وذلك لرغبتهم في الأجر " (2)

" أي ما كنت بحضرتهم إذ يلقون أقلامهم ، ونفي المشاهدة وإن كانت منتفية بالعلم لم تنتسف القراءة والتلقي من حفاظ الأنباء ، على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ، فتعين أن يكون علمه بذلك بوحي من الله تعالى إليه، ونظيره في قصة موسى - ﷺ - " وما كنت بجانب الغربي " (3) (وما كنت بجانب الطور) (4) (أيهم يكفل مريم) ، على الابتداء والخير ، وهو في موضع نصب أما على الحكاية بقول محذوف ، أي يقولون : أيهم يكفل مريم وإما بعلّة محذوفة ، أي ليعلموا أيهم يكفل مريم ، ودلّ على المحذوف (يلقون أقلامهم) " (5)

قال تعالى : " وما كنت لديهم إذ يختصمون " فالمعنى : وما كنت هناك إذ يتقارعون على التكفل بها ، وإذ يختصمون بسببها ، فيحتمل أن يكون المراد بهذا الاختصام ما كان قبل الإقراع ، ويحتمل أن يكون اختصاماً آخر حصل بعد الإقراع ، وبالجمله فالمقصود من الآية : شدة رغبتهم في التكفل بشأنها ، والقيام بإصلاح مهماتها ، وما ذاك إلا لدعاء أمها حيث قالت (فتقبل مني) وقالت (اني أعيذاها بك وذريتها) (6)

" وربما لأنها ابنة عمران " (7) أو لأنها من هذا البيت المصطفى ، كما أن هذا أيضاً قد يكون من تمام اصطفاء الله لها - عليها السلام - إذ أن المعهود بين الناس أن الاقتراع لا يكون إلا على الأمر الذي تكثر فيه الرغبة ويرجو الناس منه اليمن والبركة وكل ذلك فضل من الله وإحسان .
قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (8)

1 - (البخاري / صحيح البخاري) / (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم / باب : فضل عائشة - رضي الله عنها - ، (264/2) حديث رقم (3769)

2 - آل عمران (آية : 44) (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) / (35/2)

4 - القصص (آية : 44) (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) / (46)

6 - (ابوحيان الأندلسي / البحر المحيط) / (151/2) (الرازي / التفسير الكبير) / (46/8)

8 - (ابن كثير / البداية والنهاية) / (58/1) (آل عمران (آية : 45-46)

والتبشير في أربعة مواضع : -

الأول : في حال ولادة البنات (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) (1)
الثاني : لإبراهيم الخليل بإسحاق " وبشّرناه بإسحاق " (2) وبأولاد آخرين " فبشّرناه بغلام
حليم " (3) يعني إسماعيل ، " وبشّروه بغلامٍ عليم " (4) قالوا بشّرناك بالحق " (5)
الثالث : لزكريا بيهي : (أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا) (6)
الرابع : لمريم بعيسى : (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ) (7) " (8)
يقول ابن عطية : في قوله تعالى : " إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك ... " معنى الآية
: " أنت يا مريم مبشرة بأنك المخصوصة بولادة الإنسان الذي قد تكلم الله بأمره ، وأخبر به في
ماضي كتبه المنزلة على أنبيائه ، (واسمه) في هذا الموضع ، معناه تسمية ، وجاء الضمير
مذكراً من أجل المعنى ، إذ " الكلمة " عبارة عن ولد " (9)
" والمسيح اختلف فيه مم أخذ ؟ فقيل من المسح : لأنه مسح الأرض أي ذهب فيها ، فلم يستكن ،
وقيل انه كان لا يمسخ ذا عاهة إلا برئ فسمي مسيحاً " (10)
لم تعثر الباحثة على ترجيح لأحد هذا الوجوه على الآخر ، كما أن المعرفة المتواضعة باللغة
تجيز هذه الوجوه كلها ، فقد يكون مسيحاً لأنه كان - ~~الملك~~ يسبح في الأرض ، أو لأنه كان
يمسح نوي العاهات ، فقد كان يبرئ الأكمه والأبرص ، وربما لأمر أو أكثر من ذلك .
وجيهاً : " منصوب على الحال ، والوجيه الذي له المنزلة الرقيقة عند نوي القدر والمعرفة
، وقوله عز وجل (ويكلم الناس في المهد) (11) معطوف على وجيهاً ، المعنى : يبشرك به
وجيهاً ومكلماً الناس في المهد ، " وكهلاً " أي : يكلم الناس كهلاً ، أعلمها الله أن عيسى يبقى
الى حال الكهولة ، أو أنه ينزل من السماء لقتل الدجال وهو كهل " (12)
" قال ابن كثير : كان عمر عيسى يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة ، وقال مكث عيسى في قومه
أربعين عاماً " (13)

1 - النحل (آية : 58)

2 - الصافات (آية : 112)

3 - الصافات (آية : 101)

4 - الذريات (آية : 28)

5 - الحجر (آية : 55)

6 - آل عمران (آية : 39)

7 - آل عمران (آية : 45)

8 - (الفيروز آبادي / مجد الدين محمد بن يعقوب) // بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز // (المكتبة العلمية
ط:1) // (206/2) وسائير اليه عند وروده فيما بعد (الفيروز آبادي / بصائر نوي التمييز)

9 - (ابن عطية الأندلسي / المحرر الوجيز) // (435/1) 10 - (الشوكاني / فتح القدير) // (341/1)

11 - آل عمران (آية : 45)

12 - (الزجاج / معاني القرآن وإعرابه) // (412/1)

13 - (ابن كثير / البدلية والنهاية) // (95/2)

" ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو : شاب ، ثم هو كهل : الى أن يستوفي الستين " (1)

أما تحديد عمره - عليه السلام - فلم تعثر الباحثة على تأكيد لسن معين وإنما هي أقوال متعددة لا سبيل للجمع بينها أو ترجيح بعضها على بعض ، ثم انه لا يترتب على الترجيح أو الجمع عظيم فائدة ، وإنما خرّجها أهل العلم على الحالتين المذكورتين ، " أن يبقى إلى حالة الكهولة ، أو أن ينزل لقتل الدجال وهو كهل " (2)

المطلب الثالث : المعجزة ثم المواجهة :

لقد ثبتت البشري لمريم - عليها السلام - في عيسى - عليه السلام - إذن فقد بات الأمر حتماً مقضياً ، ولم يبق لها إلا أن تنتظر وعد الله ، ثم لتترك الأمر يسير كما أراد له وليه وخالقه ، فإنما هي أداة من أدوات التنفيذ ، وسبب من أسباب القضاء ، قال تعالى : (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرِيماً إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (3)

" يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وآله نبيه : وانكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحق مريم ابنة عمران حين اعتزلت من أهلها ، وانفردت عنهم وهو افتعل من النبذ ، والنبذ : الطرح ، وقوله : " مكاناً شرقياً " يقول فتحت واعتزلت من أهلها في موضع قبل مشرق الشمس دون مغربها " (4)

" وقال بعض الناس "الحجاب" هي اتخذته لتستتر عن الناس لعبادتها ، " قال بعض المفسرين : اتخذت المكان بشرقى المحراب ، " والروح" جبريل (5) او " انه عليه السلام " (6)

لكن سياق الآيات يشير الى أن المراد هو جبريل - عليه السلام - ، لأنه :

- 1 - تمثّل لها بشراً سوياً . 2 - ثم أنها استعادت بالله منه ، وأثارت فيه وازع التقوى .
- 3 - ثم حوارها معه . 4 - صريح العبارة: (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) (7)
- (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) (8) " أي لما تبدى لها الملك في صورة بشر ، وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب ، خافته وظننت انه يريد لها في نفسها ، فقالت : " إنني أعوذ بالرحمن ... " أي ان كنت تخاف الله تذكيراً له بالله ، وهذا هو المشروع في الدفع ، أن يكون الأسهل فالأسهل ، فخوفته أولاً بالله (عز وجل)

1 - (الثعالبي / أبو منصور) // (فقه اللغة وسر العربية) // (الطبعة الأخيرة 1972) // (ص 111)

2 - (الزجاج / معاني القرآن وإعرابه) // (412/1) 3 - مريم (آية : 16-17) 4 - (الطبري / جامع البيان) // (59/16)

5 - (ابن عطية الأندلسي / المحرر الوجيز) // (9/4) 6 - (ابن عطية الأندلسي / المحرر الوجيز) // (9/4)

7 - مريم (آية : 19) 8 - مريم (آية : 18)

(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) (1) " الناظر في مصلحتك والمالك لأمرك ، وهو الذي استعذت به وقوله لها ذلك تطمين لها وإني لست ممن تُظنُّ به ربيبة ، أرسلني إليك ليهب (لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا) والغلام : اسم الصبي أول ما يولد الى أن يخرج الى سن الكهولة . وفُسِّرَت الزكاة هنا : بالصلاح والنبوة " (2)

(قَالَ رَبِّ أَتَى بِكَ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (3)
 جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله تعالى: (أو لامستم النساء) (4)
 والزنى ليس كذلك ، إنما يقال فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك ، والبغى : الفاجرة التي تبغي الرجال (5)

قال تعالى : (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) (6)
 " قال الرسول : قال ربك كذلك ثم فسره بقوله (هو عليّ هين) أو المعنى مثل ذلك القول العجيب الذي سمعته ووعدتك قال ربك على إقحام الكاف ثم استأنف هو عليّ هين ، ولا بُدَّ من إضمار القول لأن المخاطب لها جبريل - عليه السلام - وقوله : (هو عليّ هين) كلام الحق تعالى شأنه حكاها لها " (7)

" ولنجعلهُ آيةً " تعليل معلله محذوف ، أي ولنجعلهُ آيةً للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمّر : أي لنبين به قدرتنا ولنجعلهُ آيةً ، (مقضياً) مقدراً مسطوراً في اللوح ، لا بد لك من جريه عليك : أو كان أمراً حقيقياً بأن يكون ويُقضى لكونه آيةً ورحمةً ، والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله ، وبالرحمة الشرائع والألطف ، وما كان سبباً في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جديرٌ بالتكوين " (8)

" فلما قال لها جبريل ما قال : استسلمت لقضاء الله ، فنفخ جبريل في درعها (الفتحة التي من أمام القميص) فدخلت النفخة في جوفها ، فحملته ، وحينئذ : اعتزلت بالذي حملت وهو عيسى - عليه السلام - مكاناً قاصياً عن الناس ، وإنما اتخذت المكان البعيد حياةً من قومها وهي من سلائل بيت النبوة ، ولأنها استشعرت منهم اتهامها بالربيبة ، فرأت أن لا تراهم ولا يروها " (9)
 قال تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا) (10)
 " المخاض : وجع الولادة : (الى جذع النخلة) وهو ساق النخلة ، قالت : يا لبيتني مت قبل هذا اليوم ،

2 - (ابوحيان الأندلسي/البحر المحيط) (249/7)

1 - (ابن كثير/تفسير القرآن العظيم) (195/5) 8 - مريم (آية : 19)

4 - المائدة (آية : 6)

3 - مريم (آية : 20)

6 - مريم (آية : 21)

5 - (الزمخشري/الكشاف) (505/2)

8 - (الزمخشري/الكشاف) (506/2)

7 - (الألوسي/روح المعاني) (79/16)

10 - مريم (آية : 23)

9 - (المراغي/تفسير المراغي) (44/16)

وفي سبب قولها هذا قولان : -

1 - أنها قالته : حياءً من الناس .

2 - أنها قالته : لئلا يأمثوا بقذفها ، (نسياً منسياً) شيئاً مطروحاً منسياً لا يؤبه له " (1)

وقول مريم - عليها السلام - ذلك يحتمل هذين السببين وغيرهما من الأسباب الكثيرة قال تعالى : (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَٰؤُلَاءِ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكَلِمَىٰ أَشْرَبِيَ وَقَرْبَىٰ عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) (2)

" هناك خلاف في المراد بقوله تعالى : "فناداها من تحتها" على قولين : -

1 - جبريل - عليه السلام - 2 - عيسى - عليه السلام (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) نهر أخرجه الله لها لتشرب منه ، (رطباً جنياً) أي طرياً . (إني نذرت للرحمن صوماً) أي صمتاً⁽³⁾

والثاني أقرب لوجوه : -

< الأول : ان قوله (فناداها من تحتها) بفتح الميم إنما يستعمل إذا كان قد علم قبل ذلك أن تحتها أحداً ، والذي علم كونه حاصلاً تحتها هو عيسى - عليه السلام - فوجب حمل اللفظ عليه .

< الثاني : أن ذلك موضع اللوث ، والنظر الى العورة ، وذلك لا يليق بالملائكة

< الثالث : أن قوله (فناداها) فعل ولا بد ان يكون فاعله تقدم ذكره ، ولقد تقدم قبل هذه الآية ذكر جبريل وذكر عيسى - عليه السلام - ، إلا ان ذكر عيسى أقرب لقوله تعالى : (فحملته فانتبذت به) والضمير ههنا عائدٌ إلى المسيح فكان حمله عليه أولى .

< والرابع : أن عيسى - عليه السلام - لو لم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق فما كانت تشير الى عيسى عليه السلام - بالكلام ، فأما من قال المنادي هو عيسى - عليه السلام - فالمعنى : أنه تعالى أنطقه لها حين وضعته تطيباً لقلبها ، وإزالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الأمر ما بشرها به جبريل - عليه السلام - من علو شأن ذلك الولد ومن قال : المنادي جبريل - عليه السلام - قال : انه أرسل إليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل إليها في أول الأمر ليكون ذلك تذكيراً لها بما تقدم من أصناف البشارات⁽³⁾ والباحثة كذلك تميل الى ما جاء به الرازي للأسباب التي ذكرها ولأن عيسى - عليه السلام - هو وليدها ، فمن الطبيعي ان يكون تحتها ، أما جبريل - عليه السلام - فاي وجه لكونه تحتها ؟ قال تعالى : (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) (4)

2 - (الشوكاني /فتح القدير) // (331/3)

1 - آل عمران (آية 24 - 26)

4 - مريم (آية : 27 - 29)

3 - (الرازي /التفسير الكبير) // (204/21)

انتهى دور مريم - عليها السلام - وراح ولدها عيسى - عليه السلام يواصل المهمة الجليلة التي أكرمه الله وأمه بها ، وجعله وإياها آية للناس . " أتت قومها محتملة ولدها ، قالوا : يا مريم لقد جئت بأمر عجيب ، وحدثت حدثاً عظيماً ، يا أخت هارون نسبةً منهم لها الى الصلاح ، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون ، وقيل : بل كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل شبهوها به ، فقالوا : يا شبيهة هارون في الصلاح ، ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش " وما كانت أمك بغياً " أي ما كانت أمك زانية " فأشارت إليه قالوا : كيف نكلم من كان في المهدي صبياً " (1) فلما قال لها قومها ذلك أشارت لهم الى عيسى أن كلموه ، قالوا : كيف نكلم من وجد في المهدي " (2) استحقت مريم - عليها السلام - بعد ذلك ، أن تكون مثلاً للذين آمنوا وان تعطف على امرأة فرعون - رضي الله عنها - وهذه خاصية جديدة ، وميزة أخرى تُضاف الى مزاياها وصفاتها الطيبة الكريمة .

قال تعالى : (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ) (3) " الفرج مخرج الولد ، والمعنى : منعتة مما لا يحل ، وانما وصفت بالعفاف لأنها قذفت بالزنى ، والفرج في اللغة كل فرجة بين شيئين ، وموضع جيب درع المرأة مشقوق فهو يسمى فرجاً ، وهذا أبلغ في الثناء عليها ، لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع " وصدقت بكلمات ربها " فيه قولان : أحدهما : إنها قول جبريل - عليه السلام

وثانيهما : أن الكلمات هي التي تضمنتها كتب الله المنزلة " (4) وقد صدقت بكل كلمات ربها ولولا ان ذلك كذلك ، لما أصبحت مثلاً للمؤمنين قال تعالى تعبيهاً على بني اسرائيل وتعداداً لذنوبهم وخطاياهم : (وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً) (5) لما نسبوا مريم الى الزنى لإنكارهم قدرة الله على خلق الولد من دون أب ، ومنكر قدرة الله على ذلك كافر لأنه يلزمه أن يقول : كل ولد ولد فهو مسبوق بوالد لا الى أول ، وذلك يوجب القول بقدم العالم والدهر ، والقدر في وجود الصانع المختار ، فالقوم لا شك أنهم :-

أولاً : - أنكروا قدرة الله على خلق الولد من غير أب ، ثانياً : نسبوا مريم الى الزنى هذا من جهة اليهود ، أما من جهة النصارى ، فكان الغلو في مريم وابنها - عليهما السلام - وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام (6)

1 - مريم (آية : 29) (الطبري / جامع البيان) (79/9)
 2 - التحريم (آية : 13) (ابن الجوزي / زاد المسير) (885/7)
 3 - النساء (آية : 156) (الرازي / التفسير الكبير) (98/11)
 4 - (الطبري / جامع البيان) (79/9)
 5 - (ابن الجوزي / زاد المسير) (885/7)
 6 - (الرازي / التفسير الكبير) (98/11)

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) (1)

" والمعنى : لا تفرطوا في أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ، ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته ، ولا تقولوا أن له شريكاً وولداً ، ولا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان ، ونزهوا الله تعالى عن ذلك ، ولما منعهم الله تعالى من الغلو في دينهم أرشدهم الى طريق الحق في أمر عيسى - عليه السلام فقال تعالى : " إنما المسيح عيسى ابن مريم ... " ليس له نسب غير هذا وأنه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك ، (وكلمته) هي قوله تعالى : " (كن فيكون) بشراً من غير أب ولا واسطة ، أوصلها الى مريم (وروح منه) يعني كسائر الأرواح التي خلقها الله تعالى ، وإنما أضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم " (2)

قال تعالى : (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَاتَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبِّينُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَّكُونَ) (3) " أي هو مقصور على الرسالة ، لا يجاوزها كما زعمتم وجملة (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول : أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله ، وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه إلهاً ، فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها ، (وأمه صديقة) أي صادقة فيما تقوله أو مصدقة لما جاء به ولدها من الرسالة وذلك لا يستلزم الإلهية لها ، بل هي كسائر من يتصف بهذا الوصف من النساء ، وقوله : (كان يأكلان الطعام) استئناف يتضمن التقرير لما أشير إليه من أنهما كسائر أفراد البشر ، أي من كان يأكل الطعام كسائر المخلوقين فليس برب ، بل هو عبد مريب وولدته النساء " (4)

" قال الملك للباقلاني : اخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم ، وما قيل فيها ؟ فقال هما اثنتان ، قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ، ومريم ابنة عمران ، فأما زوج نبينا : فلم تلد ، وأما مريم فجاءت بولدٍ حملته على كتفها ، وكل قد برأها الله مما رميت به . فانقطع الملك ولم يُجر جواباً " (5)

هذه مريم - عليها السلام - كما أخبرتنا عنها النصوص الكريمة من فوق سبع طباق ، ففيها لنا الزاد والمعنى ، وإذ ذلك لا ينبغي لنا تجاوزها الى غيرها لئلا يختلط الغث بالسمين والحق بالباطل - والله الأمر من قبل ومن بعد -

2 - (الخازن/لباب التأويل)// (419/2-420)

1 - النساء (آية : 171)

4 - (الشوكاني/فتح القدير)// (64/2)

3 - (المائدة (آية : 75)

5 - (الباقلاني /ابن بكر محمد بن الطيب)// اعجاز القرآن /تحقيق : احمد صقر (دار المعارف /ط: 1963) ص 32

المطلب الرابع : عبر من قصة مريم - ~~الطاهرة~~ - وأمها :-

هي موطن للعبر ، ما دامت مثلاً للذين آمنوا : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا) (1)

1 - العبرة الأولى : الاصطفاء للتقوى :-

إن العدالة الإلهية قد بينت وحدة الأصل ووحدة المصير وخصت أهل التقوى بالكرامة دون غيرهم ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (2)

نجد ذلك في الحديث عن آل عمران في سورة " آل عمران " حيث قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (3) " اصطفى " اختار ، " على العالمين " : على جميع الخلق كلهم الى يوم الصور ، وذلك أن هؤلاء رسل وأنبياء فهم صفوة الخلق " وآل عمران على العالمين " اصطفى له مريم بولادة عيسى من غير أب ، ولم يكن ذلك لأحد في العالم " (4)

2 - العبرة الثانية : إخلاص النوايا سبيل الصالحين : - لما نذرت امرأة عمران جنبينها لخدمة بيت الله محرراً من كل شأن دنيوي فوضعت الجنين أنثى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) (5)

" في الكلام تقديم وتأخير تقديره : وليس الذكر كالأنثى ، والمراد منه تفضيل الذكر على الأنثى ، لأن الذكر يصلح للخدمة ولا تصلح الأنثى ، هذا قول : وقول آخر : المراد منه تفضيل هذه الأنثى على الذكر لأنها قالت : كان الذكر مطلوباً لخدمة المسجد ، وهذه الأنثى هي موهوبة لله تعالى ، وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي هي موهبة لله تعالى " (6) تقدم ذلك والإعادة من باب التأكيد .

والأمر الذي يعني الباحثة هنا أن الله تعالى تقبل مريم - ~~الطاهرة~~ - مع أنها أنثى ، وإنها لا تقوى على الخدمة كالذكر ، إلا أن تقبل الله لها تفضل من الله على أمها واحسان إليها على تقواها ، وصدق نيتها .

3 - العبرة الثالثة : الكفالة من شأن الصالحين :-

هذا نبي الله زكريا ، هو الذي كفل مريم ابنة عمران وقام على أمرها وعمل على رعايتها " الفاعل هو الله تعالى ، وزكريا مفعول : أي جعله كافلاً لها وضامناً بمصالحها " (7) فالآيات الكريمة تحمل إشارة وتوجيهاً علوياً كريماً الى أهل الصلاح فتكل إليهم مهمة كريمة ، ألا وهي كفالة الصغار والقيام على شؤونهم ، إذ أنهم اجدر الناس بهذه المهمة.

1 - التحريم (آية : 11) 2 - الحجرات (آية : 13) 3 - آل عمران (آية 33)

4 - (القرطبي / أحكام القرآن) // (41/2-42) 5 - آل عمران (آية : 36)

6 - (الخازن / ليلاب التأويل) // (224/1) 7) (البيضاوي / أنوار التنزيل وأسرار التأويل) // (ص 72)

4 - العبرة الرابعة : ثبوت الكرامة للأولياء : -

قال تعالى : (كَلَّمَا نَحَلَّ عَلَيْنَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) (1)

" قال الرازي احتج أصحابنا على صحة القول بكرامة الأولياء بهذه الآية ، ووجه الاستدلال أنه تعالى أخبر ان زكريا كلما دخل عليها وجد عندها رزقاً " قال يا مريم أتى لك هذا " قالت هو من عند الله " ، فحصول هذا الرزق عندها هو أمرٌ خارقٌ للعادة " (2)

5 - العبرة الخامسة : التزام حد معين وتفويض الأمر الى الله : -

فطاقة البشر معلومة محدودة ، وانما الإيمان في التوكل ، قال تعالى : (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ

قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) (3)

لقد أشارت إليه بناءً على أمر رباني ، لقد أتت قومها تحمل وليدها مع أنها النذيرة لخدمة بيت الله ، ومع أنها الموصوفة بالطهر والزهد والعبادة ، فببقاها القوم يعيرونها ويؤنبوها ويعيبون عليها فعلتها الشنعاء ، ولكن المؤمن الواثق بما عند الله لا تزغعه العواصف ، ولا تتال منه الأحداث وانما الذهب يخلص من شوائبه كلما حرقتة النار فيبقى الجوهر لامعاً نظيفاً ، لقد تولى الوليد المهمة وقطع دابر القوم الظالمين .

" ولا نظن إلا أن هذا الصوت قد بهرهم ، وتلك الآية أخرست ألسنتهم وأن هذه الحكمة من طفل في مهده قد ذاع أمرها في القرية ، وانتشر خبرها في هذه المحلة ، وصار حديث الناس في دورهم ، ومجال القول في أنديةهم ، فأكبروا من شأن هذا الوليد ، وبدلوا بظنهم السيئ يقيناً ببراعتها ، وعلموا أن هذا الصبي ليس كصبيبة القرية ، بل سيكون له شأن خطير ، وخطب جليل " (4)

6 - العبرة السادسة : الأخذ بالأسباب صنو التوكل :

فلا منافاة بينهما ، بل أحدهما يكمل الآخر ، يظهر هذا في قصة مريم - عليها السلام - عند قوله تعالى : (وَهَزَيْ إِلَيْكَ بَجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا) (5) لم لا تُسَاقِطِ النخلة عليها رطبها الجنية دون ان تهزها وهي النفساء الضعيفة التي لا تقوى على أدنى عمل ولا تملك شيئاً من الطاقة ، ثم إن جذع النخلة بطبيعته يحتاج الى زمرة من الرجال الأشداء يهزونه ليساقط ثمره ، فكيف تقوى عليه أنثى ضعيفة وحيدة فريدة قد وضعت لتوها ؟ إنه المنهج التربوي التعليمي القرآني الكريم ، إنه الأخذ بالأسباب حتى في أخرج الأوقات ، وأضيق الظروف .

2 - (الرازي / التفسير الكبير) // (30/8)

1 - آل عمران (آية : 38)

3 - مريم (آية : 29)

4 - (المولى / ابو الفضل البجاوي شحاته / القصص القرآني) // (ط : 1 ص 216)

5 - مريم (آية 25)

7 - العبرة السابعة : مراقبة الله في كل الأحوال : -

لقد بلغ الحزن مداه في مريم - عليها السلام - إنها الآلام الجسدية والوخز النفسي يخترق العذراء البارة الطاهرة ، وتبلغ المعاناة مداها حين تقول : (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا) (1) ولكن مهلاً إنها عناية الله تلاحظها ، فلتتم إذن فان المخاوف كلها أمان

وإذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالخاوف كلهن أمان (2)

لقد أدركها فرج الله ، وأضاء لها نور الفجر بعد طول ظلمة (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) (3)

يقول صاحب الظلال : " ونحسبها قد دهشت طويلاً ، وبهتت طويلاً قبل أن تمد يدها إلى جذع النخلة تهزها ليساقط عليها رطباً جنيّاً ، ثم قامت فاطمأنت إلى أن الله لا يتركها والى أن حجتها معها .. هذا الطفل الذي ينطق في المهد فيكشف عن الخارقة التي جاءت به إليها " (4) لقد تعرّفت إلى الله في الرخاء فعرفها في الشدة .

8 - العبرة الثامنة : الصبر على الشدائد :

لقد صبرت مريم - عليها السلام - على ما كان من أمر حملها وعزّت نفسها بوعد الله لها ، كما صبرت على وخز الناس لها بكلامهم القارس وتعبيرهم الحاد ، وقبل ذلك لقد صبرت على مباغته الملك لها وهو على هيئة بشر (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (5) " ها هي في خلوتها ، مطمئنة الى انفرادها ، ولكن ها هي ذي تفاجأ مفاجأة عنيفة ، إنه رجل مكتمل سوي ، وها هي ذي تنتفض انتفاضة العذراء المذعورة يفجؤها رجل في خلوتها ، فتلجأ الى الله تستعيز به وتستجد وتستثير فيه مشاعر التقوى في نفس الرجل " (6)

9 - لعبرة التاسعة : جواز وقوع النذر لله : -

بل واتخاذه سبيلاً لمرضاة الله ، ورغبة في رحمته وفضله قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) (7) وقد تواتر العمل بالنذر لشرعيته وثبوته والتزام علماء الأمة به

1 - مريم (آية : 23)

2 - (الجارم امين مصطفى/علي مصطفى)/البلاغة الواضحة (البيان - المعاني- والبديع)/(الناشر : محمد امين نجم /ط

1: ص 79

3 - مريم (آية : 24)

4 - (قطب /الظلال)/(2307/4)

5 - آل عمران (آية 17)

6 - (قطب /الظلال)/(2305/4)

7 - آل عمران (آية : 35)

10 - العبرة العاشرة : الخضوع لله والتسليم بقضائه : -

فان مُراد امرأة عمران - كان مولوداً ذكراً ليكون نذيراً لله سبحانه لكنها وضعت أنثى ، فلم تبتئس لجنس المولود ، ولم تياس من روح الله ، بل رضيت وسلّمت مع أنّها أسفت لكون الأنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر .

" وفيه معنى التسليم لله والخضوع ، والتزويه له " (1) فان المؤمن مقياسه أخروي ، لا يُخضع كل ما حوله لحسّه وعقله وتدبيره ، فربما كره أمراً ، وكان ذلك الأمر خيراً ، وربما أحبّ أمراً وكان ذلك الأمر سوءاً .

قال تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (2)

11 - العبرة الحادية عشرة : تسمية المولود يوم يولد : -

(وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) (3) عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض ، وانما ذكرت ذلك لربّها تقرباً إليه ، وطلباً لأن يعصمها ويصلحها ، حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها ، وفيه دليل على أنّ الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة " (4)

الاسم : ما يُطلق على الشخص من ذكر لينادي به عليه

المسمى : العلم الذي وقعت عليه التسمية

التسمية : مصدر وهي تعني القيام بالفعل الذي هو التسمية .

الاسم : هو مريم - عليها السلام - ، والمسمى : ذات الشخص الذي أطلق عليه الاسم ،

التسمية : قيامها (الأم) بهذا الفعل الذي هو إطلاق الاسم " فيه دليل على جواز التسمية يوم

الولادة كما هو الظاهر من السياق ، لأنه شرع من قبلنا " (5)

1 - (الشوكاني /فتح القدير) (334/1)

2 - البقرة (آية : 216)

3 - آل عمران (آية 37)

4 - (البيضاوي /انوار التنزيل) (ص 72)

5 - (ابن كثير / تفسير القرآن الكريم) (359/1)

12 - العبرة الثانية عشرة : التوحيد هو التحرر : -

يقول صاحب الظلال تعقيماً على نذر امرأة : -

" ومن هنا يبدو أن التوحيد هو الصورة المثلى للتحرر، فما يتحرر إنسان وهو يدين لأحد غير الله بشيء ما في ذات نفسه، أو في مجريات حياته، أو في الأوضاع والقيم والقوانين والشرائع التي تصرف هذه الحياة، لا تحرر وفي قلب الإنسان تعلق أو تطلع أو عبودية لغير الله ، وفي حياته شريعة أو قيم أو موازين مستمدة من غير الله ، وحين جاء الإسلام بالتوحيد ، جاء بالصورة الوحيدة للتحرر في عالم الإنسان ، وهذا الدعاء الخاشع من امرأة عمران ، بأن يتقبل ربها منها نذرها ، - وهو فلذة كبدها - ينم عن ذلك الإسلام الخالص لله والتوجه إليه كلية ، والتحرر من كل قيد ، والتجرد إلا من ابتغاء قبوله ورضاه " (1)

وفي ذلك رسالة الى أدياء التحرر ، الذين يتقنون من الأحكام الشرعية ويبيحون المحرمات باسم الحرية ونبذ التقيد ، وما درى هؤلاء ان العبودية لله هي التي تحول دون العبودية للشهوات والرغبات والأوثان . فالإنسان مربوب بطبعه لأنه مخلوق ، لا يمكنه إلا أن يكون عبداً ، ان لم يكن عبداً لله فعبد لمن دون الله .

ولقد اتخذ بعض الناس لهم معبودات مضحكة بائسة ، فمنهم من عبد النار ، ومنهم من عبد الكوكب ، ومنهم من عبد حتى " الأبقار " وفي ذلك دليل على حاجة الإنسان إلى القوة الخالقة التي ترعاه وتحميه وتأخذ بيده ، ويفزع إليها عندما تلمّ به حادثة ، أما فكرة التكرار للذات الخالقة فقد كانت طارئة وشاذة على تاريخ البشرية وما لبثت ان تفوقعت وتبخرت وتلاشت كأنها لم تكن . أما غيرها من الأفكار من علمانية ووجودية وعقلانية وقومية فقد أعلنت هي الأخرى إفلاسها وتهافت دعواتها ودليل ذلك ما تحياه شعوبها من تشرد وضياح وجوع نفسي وفراغ روحي ، ولم يبق إلا الاحتكام لشرع الله حتى تستتب الحياة على ارض الله .

" إن ردّ الحاكمية لله ، أي التحاكم الى شريعة الله ، وعدم التحاكم الى أي شريعة اخرى غير شريعة الله ، فضلاً عن كونه من حق الله على عباده لأنه من الخصائص الخالصة للألوهية " ألا له الخلق والأمر " (2) فانه في الوقت ذاته هو الضمان الحقيقي لحرية البشر في الأرض ، وعدم تحويل بعضهم الى أرباب وأكثريتهم الى عبيد لأولئك الأرباب . الذي يلغي في التو وجود الأرباب ، ويحرر الناس في الأرض من عبادتهم .

1 - (قطب / الظلال) / (392/1)

2 - الأعراف (آية 54)

إن إخلاص العبودية لله وحده سواءً في إفراده بشعائر التعبد أو أفراده بالحاكمية هو فما دام الله وحده هو المعبود - سواءً بتقديم الشعائر له وحده أو بتنفيذ شريعته دون كل الشرائع فمن أين يوجد الأرباب الذين يتعبّدون العبيد ؟ !
كلا ! لا يتحرّر الناس الحرّية الحقيقية في الأرض إلّا حين يكون الله وحده هو المعبود ، والناس كلهم ، حكاماً ومحكومين عبيداً لله وحده دون شريك (1) .

1 - (قطب / محمد) // (مذاهب فكرية معاصرة) // (دار الشروق / ط: 1) ص 226

الفصل الثاني

المرأة الكافرة في القصص القرآني وفيه مبحثان

٥٨٧٧٦٩

المبحث الأول :

الشخصية الكافرة في القصص القرآني

المبحث الثاني :

زوجتي نوح ولوط - عليهما السلام

المرأة الكافرة في القصص القرآني

﴿ مَهَيِّدًا ﴾

كما خلق الله السعادة خلق الشقاء ، وكما خلق الخير خلق الشر ، وكما خلق الجنة خلق النار ، وكل لها أهلها بما قَدَّمت أيديهم .

الإيمان والكفر خطآن متوازنان لا لقاء بينهما ألبته ، فكلّ منهما في سبيل غير الآخر .

وكما أنّ الإيمان ثمرة الهداية والتفكير ، فالكفر أيضاً ثمرة الإعراض ونتاج التكبر .

ولا يعرف طعم الراحة إلاّ من أنهكه التعب ، كما لا يجد نفع الدواء إلاّ من أعياه الداء .

كذلك لن ينعم أهل الإيمان بإيمانهم إلاّ اذا استشعروا عظم هذه النعمة ، وإلاّ إذا تذوقوا مرارة البعد والحرمان تلك التي يعانيتها أهل الكفر والعصيان .

ولن يتمّ لهم تذوقها إلاّ إذا خاضوا غمار أهل الكفر واعملوا فكرهم في توجّهاتهم وطرائق

تفكيرهم ليخرجوا بصورة واضحة عما يجب ان يكون عليه المؤمن من تحصين لمداخل الشيطان

، ومن تثبيت للعقائد حتى لا تتزعزع قيد أنملة ، لئلا يبدأ بفقد توازنه ثم يتراجع شيئاً فشيئاً .

إنّ المؤمن إذا كان صاحب إيمان تقليديّ بحكم الوراثة أو بحكم الإنتماء فان شخصيته ستكون

ضعيفة وسيكون أمر تحوّلته عن دينه سهلاً ميسوراً ، ذلك أنّه لا يملك بنياناً يصمد في وجهه

العائيات ، ويردّ عنه الريح الهوجاء .

أما إذا كان متمكناً من دينه قانعاً بصدق رسالته ، عاملاً على نشر فكره فسيجتهد في الثبات

والرسوخ على عقيدته ، وسيستमित في الذب عن حرّماته .

لكل هذا كان لا بدّ من هذه الدراسة (المرأة الكافرة في القصص القرآني) لتلقي أضواء على

بعض سمات أهل الكفر تلك التي حملتهم على ما فعلوه فكان مصيرهم النار ، ليتجنبها المؤمنون

وليستنبطوا منها سبيلاً دعويّاً من باب الاعذار الى الله ، ولعل أولئك يهتدون .

المبحث الأول : شخصية المرأة الكافرة في القصص القرآني : -

المطلب الأول : العرض القرآني للشخصية الكافرة : -

كما تعرض القصص القرآني للشخصية المؤمنة ، تعرض كذلك للشخصية الكافرة ، ذلك أن العبرة لا تتم إلا بعرض النموذجين ولولا أن ذلك حق لاستغنى القرآن بعرض النموذج الإيماني عن غيره ، ولكن من تمام العظة أن يتدبر المرء بالحالتين كلاهما ، فان لم يكن من أهل السعادة فهو من أهل الشقاء . قال تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنَبَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) (1)

" يقول تعالى ذكره : (مثل الله مثلاً للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا ، وهما نوح ولوط - عليهما السلام - فخاتتاها) " (2)
 " ان المثل قد يراد به حالة غريبة يعرف بها حالة أخرى مماثلة لها في الغرابة : أي جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة ، وأنه لا يُغني أحد عن أحد " امرأة نوح وامرأة لوط) ، هذا هو المفعول الأول ، ومثلاً المفعول الثاني " (3)

ففي الآية تعريض بكفار مكة ، ومثل لهم ليتداركوا أنفسهم فلا يكون لهم نفس المصير .
 " إن كفار مكة استهزءوا وقالوا : إن محمداً صلى الله عليه وسلم يشفع لنا ، فبين الله تعالى أن شفاعته لا تنفع كفار مكة وان كانوا أقرباء ، كما لا تنفع شفاعة نوح لامرأته ولوط لامرأته ، مع قربيهما لهما لكفرهما " (4) وللمنتبغ لذكرزوج لوط في القصص القرآني أن يتساءل: ترى لماذا كثرت نسبتها الى الغابرين

قال تعالى : " إلا عجوزاً في الغابرين " (5) قال تعالى : " لننجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين " (6) " إلا امرأتك كانت من الغابرين " (7) " إلا امرأته قدرناها من الغابرين " (8) قال تعالى : " فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين " (9)

وللوقوف على سر نسبة امرأة لوط إلى "الغابرين" ينبغي لنا التوقف على مدلول هذه الكلمة في كتب المفردات ، فهي تفيد معنيين : -

الأول : " الغابر : أي الماضي " (10) والثاني : " بمعنى الماكث والباقي " (11)

- | | |
|--|--|
| 1 - التحريم (آية : 10) | 2 - (الطبري /جامع البيان) / (169/28) |
| 3 - (الشوكاني /فتح القدير) / (255/5) | 4 - (القرطبي /احكام القرآن) / (202/18) |
| 5 - الصافات (آية : 135) | 6 - العنكبوت (آية : 132) |
| 7 - العنكبوت (آية : 33) | 8 - النمل (آية : 55) |
| 9 - الأعراف (آية : 83) | 10 - (ابن المبارك / غريب القرآن) / (ص 147) |
| 11 - (الأصفهاني /المفردات) / (ص 601) | |

من هنا : " فلفظ الغابر من الأضداد " (1)

" وعلى هذا يكون قوله : " كانت من الغابرين " (2) تفسيراً وتوكيداً لما تضمنته الاستثناء من كونها لم ينجها الله تعالى : (إلا امرأته) اكتفى بها في أنها لم تتج ، ثم ابتداء وضعها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ولا الهلكة ، وهي أنها هلكت مع قومها " (3)

هكذا عرض القصص القرآني الشخصية الكافرة ، واختار بحكمة إلهية معجزة ، أن تكون هذه الشخصية زوج نبي كريم قد اصطفاه الله واختاره بالوحي والرسالة يبلغ بها الناس عن ربهم ما يصلح دينهم ودنياهم .

ذلك لتكون الحكمة أبلغ وأوفى ، ثم لتصرف عن الذهن سمة التبعية والوراثة في الدين ، ان تكون تبعية ووراثية تقليدية لا شيء منها سوى القشور ، أما اللباب فمعدومة لا وجود لها . إن العقيدة بناء داخلي متين ، فلا يدفع عن أهل الفسق والفجور إيمان قريب أو زوج ، أو صلاح ولد أو ولي ، كما لا يضر نبي أو صالح أن يكون وليه وقريبه فاجر فاسق معادٍ لدين الله .

1 - (القرطبي / أحكام القرآن) / (246/7)

2- الأعراف (آية : 83)

3 - (أبو حيان / البحر المحيط) / (102/5)

المطلب الثاني : سمات نسوة الكفر في القصص القرآني : -

كما لأهل الإيمان سمات ومزايا طيبة كريمة ، ينبغي تتبعها والإفادة منها ، كذلك لأهل الكفر سمات بغيضة ينبغي الاطلاع عليها لتجنبها والبعد عنها .

1 - سمة النفاق والخيانة : -

فقد كانت " زوجتي نوح ولوط " - عليهما السلام - منافقتين خائنتين معاديتين لدين الله ولأنبياء الله ، مع شدة قربهما ومع بالهدى والرشاد " خانتاهما " بالمظاهرة عليهما بالكفر والعصيان مع تمكنهما من الطاعة والإيمان " (1)

2 - سمة الإعراض والتولي : -

توخذ من كونهما من أزواج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والزوج مصاحبة ملازمة لزوجها ، وبينهما من المودة والرحمة الشيء الكثير ، والنبي احرص الناس على إيمان الناس فهو الداعية الأول والقوة المثلى ، فكيف بحرصه على إيمان زوجه ؟ كان الباحثة بالنبیین الكريمين - عليهما السلام - يعاودان النصح والإرشاد لزوجيهما مراراً وتكراراً ، في الليل والنهار ، في السر والعلانية في الرضا أو الغضب ، في المنشط وفي المكروه ، لكن دون نفع أو إجابة .

3 - سمة العداة المطلق : -

العداء الأعمى والأذن الصماء عن سماع كلمة الخير وبذل المال والنفس في الكيد لدين الله ، ومحاربة أوليائه ، لا لشيء سوى ولاية للشيطان وانتصاراً للنفس الأمارة بالسوء ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ) (2)

1 - (القاسمي / محاسن التأويل) // (229/9)

2 - الأنفال (آية : 36)

المبحث الثاني / زوج نوح وزوج لوط - عليهما السلام -

المطلب الأول : - المثلية في الكفر : -

قال تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) (1)

" يقول تعالى ذكره : مثل الله مثلاً للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا ، وهما نوح ولوط فخانتاهما ، وقوله : " فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً " يقول : لم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لَمَّا عاقبهما على خيانتهما أزواجهما شيئاً ، ولم ينفعهما ان كان أزواجهما أنبياء " (2)

" بين حالهم (أهل الكفر) بطريق التمثيل أنهم يُعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير انتقاء ولا محاباة ، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كانوا فيه من القرابة بينهم وبين نبيهم وإنكارهم للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله وإصرارهم عليه وقطع العلائق ، وجعل الأقارب من جملة الأجانب بل أبعد منهم ، قال الرازي : فما فائدة قول الله تعالى من عبادنا ؟ نقول : هو على وجهين : -

أحدهما : تعظيماً لهم ، والثاني : إظهار للعبد بأنه لا يترجح على الآخر نَدَه إلا بالصلاح " (3)
" لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله (وقيل) لهما عند موتها أو يوم القيامة (ادخلا النار مع) سائر (الداخلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء ، او مع داخلها من إخوانكما من قوم نوح ولوط ، وفي طي هذين التمثيلين تعريضاً بأمر المؤمنين المذكورتين في أول السورة ، وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه ، وتحذير لهما على أغلظ وجهٍ وأشدّه لما في التمثيل من ذكر الكفر " (4)

" يجوز ان يكون (امرأة نوح) بدلاً من قوله (مثلاً) على تقدير حذف المضاف أي : ضرب الله مثلاً امرأة نوح ، ويجوز ان يكونا مفعولين ، قوله (كانتا تحت عبدين) جملة مستأنفة كأنها مفسرة لـ " ضرب المثل " ولم يأت بضميرهما فيقال تحتها أي : تحت نوح ولوط ، لما قصد من تشريفهما بهذه الإضافة الشريفة ، وليصفهما بأجل الصفات ، وهو الصلاح " (5)

1 - التحريم (آية 10)

2 - الطبري / جامع البيان // (169/28)

4 - (الزمخشري / الكشاف // (131/4)

3 - (الرازي / التفسير الكبير // (50-49/30)

5 - (الحنبلي / الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل النمشقي / اللباب في علوم الكتاب // (دار الكتب العالمية /

ط : 1) // (ج 19 / ص 215) وسأشير إليه عند وروده (الحنبلي / اللباب في علوم الكتاب)

(هذه الآية تقطع طمع من ركب المعصية ، ورجا ان ينفعه صلاح غيره) (1)
 هناك أمرٌ جديرٌ بالملاحظة وهو أن ضرب المثل بنموذج أو عينة يختلف عن أي مثل عابر
 منها . فقول القائل : عمر مضرب الأمثال في العدل يعطي معنىً أكبر وأجل من أن يقول :
 عمر أمام عادل ، وهكذا حال هاتين المرأتين ، فانهما لم تكونا كافرتين ككثير من الأمم وإنما
 هما مضرب الأمثال في الكفر (2) - والعياذ بالله - وقد تظاهرت أقوال المفسرين على أن رسالة
 هذه الآية الكريمة من سورة التحريم تنبئ أن الرابطة العقائدية هي ذات الشأن والاعتبار في
 ميزان الله سبحانه ، وأن غيرها من الروابط منبوذة لا يؤبه له
 قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ
 شَيْئًا) (3)

وهذا رسول الله ﷺ ينادي عشيرته الأقربين فيقول فيما يرويه عنه أبو هريرة -
 رضي الله عنه-: " قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : (وانذر عشيرتک الاقربین) (4)
 قال : " يا معشر قريش - او كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم ، لا اغني عنكم من الله شيئاً ،
 يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله
 شيئاً . يا صفية عمّة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئاً . يا فاطمة بنت محمد سليني ما
 شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئاً " (5)

1 - (ابن الجوزي / زاد المسير) // (84/7)

2 - (انظر كتاب الصابوني /فتح الرحمن)

3 - (لقمان (آية : 33))

4 - (الشعراء (آية : 214))

5 - (البخاري / صحيح البخاري) / كتاب : الوصايا / باب : هل يدخل النساء والولد في الأقارب // (251/2) حديث رقم

(2753)

المطلب الثاني : ما نوع تلك الخيانة : -

قال تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) (1)
كلمة الخيانة ثقيلة على السمع ، بغیضة الى القلب ، تمجها الأذن وتعافها النفس ، وتتفر منها الطباع السليمة ، وقد وصف القرآن بها زوجتين لنبيين كريمين ، وصفاً واضحاً ، فما هي تلك الخيانة ؟ وكيف تمت في بيت رسولين كريمين ؟ وكيف يتسق هذا مع حفظ الله لأتباعه وأوليائه وتكريمه لهم وتفضيلهم بالوحي والرسالة ؟

صال أهل العلم وجالوا في رحاب هذه الكلمة ، وافردوا لها صفحات عديدة في أمات الكتب ، خاصة تلك التي عُنيت بتفسير كتاب الله واستخراج كنوزه ، وخرجوا بثمرة طيبة قد أزلت عن العيون غشاوتها ، ونفضت عن بعض العقول ما اعتراها من غبار الريبة فظهر الحق ناصعاً بيتاً قال الطبري " كانت خيانتهمَا أنّهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على قوم نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبارة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها " (2)
" ما كانت خيانتهمَا ؟ نقول : نفاقهما وإخفاءهما الكفر ، وتظاهرهما على الرسولين ، فامرأة نوح قالت لقومه إنه مجنون ، وامرأة لوط كانت تدل على نزول ضيف إبراهيم ، ولا يجوز ان تكون خيانتهمَا " (3)

" ما بغت امرأة نبي قط ، إنما كانت خيانتهمَا في الدين ، أو خيانتهمَا كفرهما ، أو نميمتهما ، أو : نفاقهما " (4) " كانتا مشركتين " (5)
" قال الزمخشري : ولا يجوز ان يُراد بالخيانة الفجور ، لأنه سمح في الطباع ، ونقيصة عند كل أحد ، بخلاف الكفر ، فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقاً " (6)
(فخانتاهما) : " أي في الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ، ولا صدقاهما في الرسالة " (7)
وبذلك قال الشوكاني (8)

إن : فماهية تلك الخيانة كانت محل خلاف بين أهل العلم من جهة ومحل اجماع بينهم من جهة أخرى .

- | | |
|---|---|
| 1 - التحريم (آية : 10) | 2 - (الطبري / جامع البيان) (169/28-170) |
| 3 - (الرازي / التفسير الكبير) (50/30) | 4 - (ابن الجوزي / زاد المسير) (84/7) |
| 5 - (ابوحيان الاندلسي / البحر المحيط) (102/5) | 6 - (الزمخشري / الكشاف) (131/4) |
| 7 - (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) (192/8) | 8 - (الشوكاني / فتح القدير) (255 / 5) |

أما الخلف فكان على وجوه عدة : -

- 1 - ان المراد بالخيانة ان زوج نوح - ~~الطاهر~~ - كانت تقول إنه مجنون وان زوج لوط كانت تخبر بأضيافه ، إذا حلّوا به ليعتدي عليهم قومه
 - 2 - ان المراد بخيانتها إشراكها 3 - ان المقصود كفرهما
 - 4 - انه الخيانة في الدين 5 - ان المقصود هو النفاق 6 - التكذيب . الخ
- وكل هذه الوجوه تصبّ في إناء واحد ، وتخرج من مشكاة واحدة
- أما الإجماع الذي عليه سلف الأمة وخلفها فهو نفي وقوع الفجور والفاحشة من أزواج الأنبياء أو من بعضهن .

" ما بغت امرأة نبي قط ، ولا ابتلي الأنبياء في نسائهم بهذا " (1) " المراد بالخيانة هنا ، الخيانة في العرض ، او ارتكاب فاحشة الزنا ، ولم يطق فرأش النبي أو امرأته أحد غيره ، ففرأش الأنبياء طاهر لم تلوثه امرأة أحدهم بالزنا . قد تكفر امرأة النبي ، أما ان تزني فلا ! " (2)

والعلة في سلامة عرض أزواج الأنبياء واضحة ، لا يتكذب عنها الآ مارق ، ولا يتنكر لها إلا خاسراً هالك ، فإن شرف الزوج من شرف زوجها ، ما دامت طاهرة نظيفة فهو كذلك طاهر نظيف وما دامت حرّة منيعة فهو في حل من ان يتلوث بيته او شرفه بشيء من الفجور والفسق ، نعم إن الشرك رأس الكفر ، والنفاق جريمة عظيمة وخسران مبین ، ولكن إثم مرتكبة لا يتعداه الى غيره ، ولا يؤدي أحداً سواه وسوى من تسبّب به أو دلّ عليه .

أما أمر العرض فالأذى لا شك لاحق بالزوج واهله وبنيه ، كما أنه مثلثة وخزي عظيم لا يتفق بحال من الأحوال مع عصمة النبوة ، ومع وقار الدعوة وهيبة الدعاة ، كما أن الزنا جرم قبيح لا يقدم عليه الحرّ حتى وان كان كافراً .

هذه هند بنت عتبة زوج أبي سفيان تستنكر وتستقبح الزنا من الحرّة عندما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخذ العهد عليها وعلى بعض نسوة قريش (3)

1 - (ابن عطية الاندلسي / المحرر الوجيز)

2 - (الخالدي / القصص القرآني) / (181/1)

3 - (ابن كثير / ابي الفداء اسماعيل) / (السيرة النبوية) / (دار الفكر / ط : 1) / (603/3)

المطلب الثالث : الجزاء من جنس العمل : -

لما ان كان الله - سبحانه - حكماً عدلاً قد حرّم الظلم على نفسه وجعل بين عباده محرماً ، كان لا بُدَّ من ان ينال كل مكلف جزاء عمله ان خيراً فخير وان شراً فشر ، وإلا لم يكن لمفهوم العدل أي بعد او أي معنى ، ولما وجد أهل الصلاح ما يحفزهم على مداومة صلاحهم وتقواهم ، ولما وجد أهل البغي ما يردعهم عن بغيهم وظلمهم .
قال تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا اخْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (1)

تتحدث الآيات الكريمة عن سفينة نوح - عليه السلام - تلك التي صنعها بوحى من الله ، طاعة لأمر الله ، وأخذاً بالأسباب ، وتعليماً للأجيال المؤمنة المتعاقبة على هذه الأرض ان الطريق الى الله وعرة طويلة ملأى بالشوك والعثرات ، وان لا راحة للداعية ولا استقرار ولا طيب عيش وانما كدّ وعمل ، وجهاد ورباط ، وسعي حثيث دون كلالٍ او نكوص ، فإنما هي دعوة الله ، وانما هذه المرحلة او تلك لها ربّ واحد قدّر لها ان تكون ، لحكمة عظيمة وشأن جليل ، لقد أوحى الله الى عبده - نوح عليه السلام - ان يحمل معه في سفينته من كل زوجين اثنين وأهله (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) ومن آمن معه على قلة عددهم ونقص سوادهم .
قال القرطبي : " هو ابنه وامرأته كانا كافرين " (2)

قوله : (اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) (3) " أي واجمل فيها أهلك وهم أهل بيته وقرابته إلا من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله فكان منهم ابنه ، وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله " (4) وبذلك قال الشوكاني : " المراد بهم ولده وامرأته " (5) وامرأة لوط لم تكن افضل مصيراً قال تعالى : (قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) (6)

" امرأته من الباقيين في العذاب ، (ولفظ الغابرين) مشترك بين الماضي والباقي ، أو من الباقيين في القرية التي سينزل بها العذاب ، فتعذب من جملتهم ولا تتجو مع من نجا " (7)
لما أخبرت الملائكة لوطاً - عليه السلام - بنجاته هو وأهله المؤمنين ، استثنوا امرأته الكافرة ، لأنها ستكون مع القوم المعذبين ، قالوا للوط - عليه السلام - : (ولا يلتفت منكم

1 - هود (آية : 40)
2 - (القرطبي / احكام القرآن) / (25/9) / ط: 5
3 - هود (آية : 40)
4 - (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) / (445/2)
5 - (الشوكاني / فتح القدير) / (498/2)
6 - العنكبوت (آية : 32)
7 - (الشوكاني / فتح القدير) / (201/4)

أخذَ إلا امرأتك إنه مصيبتها ما أصابهم (1) وقالوا له : (إنا منجوك واهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين) (2)

" لقد اختارت امرأة لوط - ~~السليمة~~ - الكفر بالله - عز وجل ولم تتأثر بإيمان ونبوة زوجها ولم تدخل في دينه ، وآثرت ان تكون على دين قومها الكافرين الشاذين ، وامرأة لوط عجوز في الغابرين ، لأنها تخلفت مع القوم الهالكين ، ولم تسر مع أهل لوط المؤمنين الناجين ، لقد قعد بها كفرها ، ولم تملك إيماناً ينهض بها لتسير مع الذين نهض بهم إيمانهم من أهل لوط - عليه السلام - " (3)

لقد جاءت آيات متعددة في وصف ما حل بقوم لوط ومنهم " امرأته " تحمل غرضاً واحداً ، ولكنها مع ذلك جاءت بتعابير مختلفة : (إنه مصيبتها ما أصابهم) (إلا امرأتك كانت من الغابرين) .. الخ لنواح عدة منها : -

- 1 - تأكيد على ما كان عليه حال تلك المرأة من الخيانة والشرك
- 2 - نم وتقبيح لحال تلك المرأة
- 3 - تحذير للذين كفروا عامة وللنساء خاصة من اتباع هوى الأنفس لئلا يكون لهم نفس المصير

1 - هود (آية : 81)

2 - العنكبوت (آية : 33)

3 - (الخالدي / القصص القرآني) / (512-514)

المطلب الرابع : عبرة وعظات من الشخصيتين الكافرتين : -

1 - العبرة الأولى : من قصر به عمله لم ينفعه عمل عامل وإن كان من أهله وذويه .

" يتضمن مثل الكفار أن الكافر يعاقب على كفره وعداوته لله ورسوله وأوليائه ، ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمن من لحمة النسب أو صلة الصهر ، أو سبب من أسباب الاتصال ، فان الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده على أيدي رسله ، فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان لنفعت الوصلة التي كانت بين نوح ولوط وامرأتهما " (1)

فالمحسن من احسن لنفسه أولاً ، ثم يتعداه ذلك الإحسان الى غيره ، أما من ظلم نفسه وتولى الشيطان وحزبه واتبع الباطل فلا يستحق الإحسان والفضل ، لأنه بظلمه قد حرّم نفسه منها .
عن ابي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كل أمّتي يدخلون الجنة ، إلا من أبى " قالوا : يا رسول الله ومن أبى ؟ قال : " من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى " (2)

2 - العبرة الثانية : " ان الرجل وان كان في غاية الصلاح ، فلا يأمن المرأة ، ولا يأمن نفسه ، كالصنادير من امرأتي نوح ولوط " (3)

فنوح ولوط - عليهما السلام - نبيان كريمان اصطفاهما الله بالنبوة والبلاغ ، ولكن زوجتيهما كافرتين منافقتين ، لذا لا ينبغي ان يأمن الداعية أحداً خارج نطاق دعوته او حتى بعض من يحمل هذه الدعوة ، وانما ينبغي للداعية ان يكل أمره الى الله فصلاحه لا يؤمنه غيره ولا حتى نفسه .

3 - العبرة الثالثة : شأن النساء عظيم فليتقين الله : -

ان في ضرب المثل لأهل الكفر بالنساء دون الرجال لعبرة ، فقيادة سفينة الحياة للرجل لا للمرأة ، فلم لا يكون هو المثل ؟ ولماذا يضرب المثل بها له ؟ قد يقال ان سياق السورة يتحدث عن أزواج النبي ﷺ ، فكان ضرب المثل بالنساء أقرب الى الواقع القرآني والحياتي للمسلمين ، وأكثر تلاؤماً مع طبيعة الظرف الذي مرّ به البيت النبوي ، وهذا قول حق من جهة ولكن المثل للرجال والنساء على السواء ، للمجتمع المسلم بكل شرائحه ومكوناته ، ان دل ذلك على شيء فانما يدل على حساسية موقع المرأة ، وعلى خطورة الدور تضلع به ، كما أنه ، الذي مدعاة لتقوى الله وحفظ حرّامات المسلمين وإنشاء للأجيال الإسلامية على هدى وبصيرة ، كما أنها دعوة لغير المسلمات لورود منهل الإسلام وتبني فكره .

1 - (ابن القيم /التفسير القيم)/(ص 496)

2 - (البخاري /صحيح البخاري)/ كتاب :الاعتصام بالكتاب /باب : قول الرسول صلى الله عليه وسلم (بعثت بجوامع

الكلم (177/8) حديث رقم (7280) 3 - (الرازي /التفسير الكبير)/(51/30)

4 - العبرة الرابعة : التحريض على طاعة الله وفعل الخير : -

نزلت هذه السورة تسليية لقلب رسول الله ﷺ وتثبيتاً له ، وتنظيماً لشؤون المجتمع المسلم الناشئ ، واجتثاثاً لبقايا الجاهلية ان كانت موجودة في بعض النفوس ، وكذلك تقويتاً على وسوسة الشيطان لئلا يوقع بين المسلمين وينال من أخوتهم .

" ذكر هنا أن النفوس إن لم تكن مستعدة لقبول الإيمان وفي جوهرها صفاء ونقاء ، فلا تجدي فيها العظة والعبرة ، ولا مخالطة المؤمنين المتقين ، وضرب لذلك المثل بامرأة نوح وامرأة لوط " (1) لكن المؤمن يجتهد في ان يفعل الخير دائماً وإن كانت عوامل الإحباط والتثبيط من حوله متكاثرة .

5 - العبرة الخامسة : الخيانة في الدين ، كبرى الخيانات : -

إن استقراء أقوال المفسرين وأهل العلم عامه ، يوصل الى حقيقة الخيانة التي كانت من زوجتي نوح ولوط - عليهما السلام - وهي خصلة زميمة ، ولؤم في الطباع ، وسوء مستحکم ، وحقد معشش في ثنايا القلب .

6 - العبرة السادسة : - منهج تعليمي ايماني في وجوب اختيار الزوجة الصالحة : -

تحدثنا الآيات الكريمة عما كان من شأن بعض أنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليهم - مع أزواجهم ومنهم نوح ولوط - عليهما السلام - فقد ألمهما ما كان يجدان من زوجيهما ، من ممانئة أصحاب الباطل ومن حرب الله ورسوله ، مع ان الوضع الطبيعي المعتاد ان تكون زوج النبي من صفوة الناس ومن أولهم أيماناً وفي طبيعتهم تصديقاً بالبعث ، وذلك لما تلقاه من حسن العشرة وكرم المعاملة التي يحكمها الإيمان القوي والوازع الداخلي لدى نبي كريم ، ولو كانت كذلك لكانت سنداً وعضداً ، ولكان جزاؤها نعيم الجنة وكرامة الدنيا

يقول صاحب الظلال : -

" هذا أمرٌ ينبغي أن يدركه الدعاة إلى الإسلام وأن يدركوه جيداً ، إن أول الجهد ينبغي أن يوجه الى البيت ، إلى الزوجة ، إلى الأم ، ثم إلى الأولاد ، وإلى الأهل بعامة لمن يريد بناء بيت مسلم ان يبحث له أولاً عن الزوجة المسلمة . وإلا فيستأخر طويلاً بناء الجماعة الإسلامية . وسيظل البنيان متخاذلاً كثير الثغرات " (2)

1 - (المراغي / تفسير المراغي) / (167/28-168)

2 - (قطب / الظلال) / (3619/6)

7 - العبرة السابعة : الجهاد هو أدب المسلم الدائم : -

في ذكر هذه القصة دليل قرآني على وجوب مجاهدة اهل الظلم والبغي والتمسك بسنام الإسلام (الجهاد) مع كل كافر يروم النيل من هذا الدين وأهله ، حتى وان كان من المقربين " يشير في سياق السورة الى أن أدب المسلم الجهاد الدائم ، وذلك تقتضي منه عدم الرّضوخ لأي معنى يصرفه عن هذا الجهاد ، سواء كان مانعاً اسرياً أو غيره ، كما أن مجيء هذا الأمر في هذا السياق يشير الى أن كل من تحقق بصفة الكفر أو النفاق فقد وجبت مجاهدته ، كائناً من كان ، قريباً أو بعيداً " (1)

8 - العبرة الثامنة : الإيمان دعوة ربانية : -

إنّ المنهج السماوي الربّاني خالصٌ لله ، ميزانه إلهي بحت ، يأخذ بيد المؤمن الى صراط الله المستقيم ، لذلك فان حكمة الله - جلّت حكمته - من وراء كفر أزواج بعض الأنبياء وبعض ذوي قرباهم واضحة بيّنة ، لئلا يظنّ ظانٌ أنّ الأنبياء وأصحاب الدّعوات قد استعانوا بأهملهم أو بصحبهم على نشر دعوتهم ، ولئلا تُصبغ دعوة الإيمان بأية صبغة أرضية وضعية .

يتحدّث د . عماد الدين خليل عن ظرفٍ مرّ به الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل رحلة الإسراء والمعراج ، يكشف عن طبيعة هذه الدعوة فيقول : -

" كانت الأحداث تتلاحق ، والاضطهاد الوثني يزداد عنفاً وشراسة ، ويزيده فتكاً وإيلاماً ، وفاة سندي الرسول العاطفي والاجتماعي : -

العمّ والزوجة ، وفشل رحلته الى الطائف ، وكأنّ إرادة الله كانت تعد ، من وراء الظلام الذي ازداد عتمة وكثافة ، للفجر القادم الذي لا ريب فيه " (2)

كثيرة هي الدعوات التي ظهرت على مسرح الحياة قديماً وحديثاً ، وكثيرة هي الجهات التي تبنت تلك الدعوات ، فصُيغ بعضها بصبغة سياسية أو اقتصادية أو عائلية وكان ارتباط الناس بها والتفافهم حولها حسب مصالحهم الحيوية وحاجاتهم المتعدّدة ، لذا كان الظلم في هذه الأوساط بلاءً محققاً لا مفرّ منه ، ذلك ان تلك المناهج صنيعة فكرٍ وضعي أرضي لا يابه بتقوى الله ، ولا يقيم وزناً لكرامة دنيا أو عذاب آخره .

من الجوانب التي تخدم هذه العبرة من رحلة - الإسراء والمعراج - وما سبقها من أحداث أَلَمّت بخير الرسل صلى الله عليه وسلم تجليه لحقيقة دعوته ، ودعوة إخوانه الأنبياء من قبله ، وهي الحنيفة السّمحة والعقيدة النقية .

1 - (حوى / الأساس في التفسير) (6016/10)

2 - (خليل / د. عماد الدين) (دراسة في السيرة) (مؤسسة الرسالة / ط : 1) (ص 110)

الفصل الثالث

نساء قلّ ذكرهنّ في القصص القرآني

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : زوج إبراهيم - عليه السلام -

المبحث الثاني : زوج أيوب - عليه السلام -

المبحث الثالث : أخت موسى - عليه السلام -

المبحث الرابع : ابنتا الرجل الصالح

المبحث الخامس : امرأة العزيز ونسوة امرأة العزيز

نساء قل ذكرهن في القصص القرآني

حوى القصص القرآني أشارت إلى شخصيات من النساء اللواتي جاء ذكرهن قليلاً بالمقارنة مع غيرهن ، فكان لهن دور وان كان كبيراً حيناً ، وعابراً حيناً آخر ، حيث أسهم ذكرهن في إعطاء صور شتى للحياة ، وللسنوات المتلاحقة من عمر البشرية ، وبالتالي كان في عرض قصصهن عبر لا ينبغي تفويتها وإنما الوقوف عليها وتمحيصها .

المبحث الأول :

" سارة " زوج إبراهيم - عليه السلام

مُهَيِّتاً:

من هذا الصنف من النساء زوج إبراهيم - خليل الله - صلوات الله وسلامه عليه . ذكرت مرتين في كتاب الله ، كلتاهما عند تبشير ملائكة الله - عز وجل - لإبراهيم - عليه السلام - بالسلام ، مع انه كان شيخاً فانياً ، ومع أنها (زوجته) كانت عجوزاً عقيماً . كما ذكرت في حديث رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - وتناقله عنه أهل العلم ، وهو ينبي عن كرامة اختص الله بها هذه الزوج المؤمنة ، التي صدقت النبي الكريم ، إبراهيم فنصرته وآزرته ، وهاجرت معه فراراً بدينهما واختياراً لعبادة الله على عبادة غيره من الأوثان والمعبودات بغير حق .

لقد تمكن الإيمان من قلبها ، ولألمس شغاف روحها ، فاطمأنت به نفسها ، واحتسبت ما تلاقيه من محن في سبيل الله ، فجزاها الله خير الجزاء ، وأعطاهما جزيلاً العطاء ، بأن كتب لها الحسنى في سجل المتقين الأخيار ، وخلد ذكرها في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم من الله عليها بنعمة الإنجاب وحقق لها حلم الأمومة في سن الشيخوخة ذلك الحلم الذي كانت شغفة به في شبابها الغض ، وهذه كرامة أخرى لها ، وعناية إلهية فانقصة بها ، وبزوجها النبي الكريم - عليه السلام - ، وللآخرة خير وأبقى .

زاد طيب مبارك يستطيع المؤمن تحصيله من هذا القصص ، أحداث تتسارع وتتقلب على مسرح الحياة ، والأدوار هي ذات الأدوار ، فان تبدلت الوجوه والهيئات ، فان الجوهر هو ذاته لم يتغير ولم يتحول .

وزوج إبراهيم - النبي الكريم - عليه السلام - نموذج نفتقر إليه الأمة ، ويعز وجوده في بيوتها إلا من عصم الله .

فعل دراسة هذا النموذج ، تكون خطوة وحافزاً للتكثير منه وإنتهاج نهجه .

المطلب الأول : الهجرة فراراً بدين الله : -

هو ذا شأن الأنبياء والدعاة ، يأتون أقوامهم هداة ، ويحملون مشاعل النور فلا يلقون إلا الأذى والظلم والاضطهاد من المكذبين الجاحدين ، حتى يضطّروهم ذلك الى الفرار بدينهم لئلا يفتنهم أقوامهم فيعودوا كفّاراً بعد إذ كانوا مؤمنين .

قال تعالى : (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) (1)

إن فقد أخذوا قرار الاعتزال ، اعتزال المعبودات من دون الله ومن دون الناس (أولئك الناس الذين لا يعبدون الله) ، يعتزلون الى جوف كهف مظلم ، ولا ضير في ذلك فسينشر لهم ربهم من رحمته ، ثم هم يتواصلون فيما بينهم على كتمان الأمر والسرية التامة خوفاً من العذاب او الفتنة ، أو منهما معاً : -

(إِنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا) (2)

وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جاءه الوحي ، وبشّره بذلك (ورقة بن نوفل) أحد الموحدين القلائل قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : -

" هذا الناموس الذي نزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أو مخرجي هم " قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ " (3)

وهكذا كان إبراهيم ابو الأنبياء - عليه السلام - وزوجه - رضي الله عنها - " فقد رحل إبراهيم الى مصر ، تصحبه زوجه ، وهبط أرضها حيث كان القابض على زمامها أحد ملوك العرب العماليق ، الذين استبدوا بالملك آونةً من الدهر ، وكانت زوجه ذات جمال باهر ، فوشى بها أحد بطانة السوء الى الملك ، وأغراه بجمالها وزين له حسنّها ، وحبب إليه الاستحواذ عليها ، فصادت هذه المقالة رغبةً في نفسه ، وهوىً في فؤاده ، فدعا إبراهيم إليه ، وسأله عما يربطهما من سبب ، وما يصل بينهما من قرابة ، ففطن إبراهيم الى مآربه ، وعرف مقصده ، وخاف ان اخبره أنها زوجته ان يبيت له الشرّ ، ويعمل على الإيقاع به ، لتخلص له من دونه ، ويستأثر بها من بعده ، فقال له : هي أختي ، والأخت كما تكون في النسب ، تكون في الدين واللغة والإنسانية " (4) ترى ، لم يفعل ذلك الجبابة؟ ألا يجدون من ذواتهم وازعاً ومانعاً عن مثل هذا الفعل الذي تشمئز منه النفوس؟

1 - الكهف (آية : 16)

2 - الكهف (آية : 20)

3 - (البخاري / صحيح البخاري) // ومعه فتح الباري / كتاب : بدء الوحي / باب : 3/ (26/1) حديث رقم (3)

4 - (المولى / قصص القرآن) / ص 46 .

إن هذا شأن الأشرار الذين يحجزهم بغيبهم وظلمهم عن كل ما هو خير ، يريدون أن يستأثروا بكل ما هو فريد ، قلوبهم خاوية لا يتحدثون لأنفسهم أرباباً أو غاية ، فإن رأوا حسناً قالوا : هو حسن مرغوب ، وأثنوا عليه وبنلوا أقصى طاقتهم لتملكه ، فإن وقعت أعينهم على ما يفوقه حسناً ، (ولو بشيء يسير) زهدوا فيما كانوا قد تولعوا فيه من قبل واستماتوا في الحصول عليه ، ولو كان لأمثال هؤلاء رادع يهذب نزواتهم ويكبح جماح شهواتهم لقتعت نفوسهم بالقليل (على أن يكون ذلك القليل مباحاً مشروعاً) ولاحتسبوا كل ما لا يستطيعونه لوجه الله فإن في جنته أضعافاً مضاعفة لا ينظر لها ، مما تشتهيهِ الأنفس وتستلذ به الأنظار والعقول ، فعند الله نعيمٌ لا يزول .

إنن فقد أخبر إبراهيم - عليه السلام - عن زوجه أنها أخته ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : " لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : بينما إبراهيم مر بجبارٍ ومعه سارة فنذكر الحديث ، فأعطاهما هاجر فقالت : كف الله يد الكافر واخذ مني آجر ، قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بني ماء السماء " (1)

إن سارة ترد الفضل إلى الله فتقول : كف الله يد الكافر ، وهكذا المسلم دائماً يرد الفضل إلى الله ويستحي أن ينسب إلى الله إلا ما هو خير ، تأدباً مع الله .

أما قولها كف دون ترك أو رد أو أذهب (2) ، فربما لتعطي انطباعاً ينقل القارئ إلى ذلك الجو ، حيث كف الله يد الفاجر كفاً فأبعدها ولم يعد له عليها من سبيل ، ثم أن الله - سبحانه - هو من كف يد الفاجر ، أي : كان في أمر الكف قهرٌ له وردٌ لكيده ، قسراً وجبراً ، ففوة الله كانت ولا زالت فوق قوى الجبابرة ، فهو القاهر فوق عباده .

يعقب د . صلاح الخالدي على هذا الجانب من قصة سيدنا إبراهيم خليل الله - عليه السلام - وزوجه مع ذلك الجبار فيقول : " كيف قال إبراهيم عن زوجه سارة أنها أخته ؟ ثم يقول : كلامه هنا لا يخرج عن المعاريض " قال عن سارة أنها أخته واران اخوة إيمانية ، وان كانا زوجين ، كيف رضي إبراهيم أن يسلم امرأته إلى الملك الفاجر ؟ ان إبراهيم عليه السلام - نبي ، وان الله هو الذي يوحى إليه ويوجهه ، فأنه هو الذي أمره بإرسالها وتسليمها ، وعليه أن يطمئن ولا يقلق ، فستكون عند الملك في رعاية الله وحفظه ولن ينال الملك منها شيئاً (3) كانت هذه هي المحنة الكبرى، وكان الخلاص منها مع كرامة ربانية جليلة

1 - (البخاري /صحيح البخاري) /حديث رقم : (5084)/كتاب : النكاح/باب : اتخاذ السراري ،ومن اعتق جارية ثم تزوجها)/(147/3-148)

2 - (العسكري /أبو هلال)/(الفروق في اللغة) /تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة / منشورات : دار الآفاق الجديدة) / ط 1 /ص 105 .

3 - (الخالدي /قصص القرآن) / (146/1)

المطلب الثاني : التبشير بالغلام :-

أما الغلام فكان كرامة أخرى ، ليعلم الناس أن الله محسن إلى عباده ، رحيم بهم ، لطيف جواد كريم ، يداه مبسوطتان بالعطاء ، قال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) (1) قال تعالى : (وَكَفَدَ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (2)

تصوير معجز للمشهد ، فلقد دخل الرسل وحيوا ابراهيم - عليه السلام - فردّ تحيتهم وانثنى ليكرمهم ، وامرأته قائمة ، لماذا كانت واقفة ؟ فهي عجوز وبعلاها شيخ أليس الجلوس أولى بها ؟ " (امرأته) سارة : كانت قائمة من وراء الستر تستمع كلام الرسل ، وكلام إبراهيم - عليه السلام - أو كانت قائمة تخدم الرسل " (3) فهي مع كونها عجوزاً إلا أنها قائمة تخدم الأضياف ، وتؤدي حقهم فكلا الوجهين جائز الوقوع ، ولا ينفي أحدهما الآخر .

فالمشهد المعجز تمثل فيه أمران :

أما أحدهما ، فهو : حلول العذاب بالمكذابين الضالين من قوم لوط .
وأما الآخر : فهو معجزة للنبي وكرامة لزوجته ، وهو بشرى بغلام على كبر السن وهشاشة العظم ، فالمشهد ذات المشهد ، والرسل هم الرسل ولكنهم يحملون غضب الله ونقمته إلى قوم ، كما يحملون نصر الله وتمكينه إلى قوم آخرين .
ولكن لماذا ضحكت ؟ في حدث كهذا الأضياف لا يأكلون ، والنبي الكريم - عليه السلام - أوجس منهم خيفة ، والعذاب واقع ببعض القوم فما المضحك في الأمر ؟
ذكر المفسرون وجوهاً متعددة في الجواب على الضحك :-

- 1 - " ضحكت من تأمينهم لإبراهيم بقولهم (لا تخف) وقيل : 2 - ضحكت هزواً من قوم لوط أن يكونوا على غفلة ، وقد نفذ من امر الله تعالى فيهم ما نفذ 3 - ضحكت من البشارة بإسحاق وهذا مقدم بمعنى التأخير " (4)
- 4 - " ضحكت لما رأت بزوجها من الروع " (5)

2 - هود (آية : 69 - 73)

1 - يونس (آية : 26)

4 - (ابن عطية الأندلسي / المحرر الوجيز) (188/3)

3 - (الطبري / جامع البيان) (71/12)

5 - (الطبري / جامع البيان) (74/12)

كل هذه الوجوه التي ذكرها أهل التفسير لا تتناقض بعضها بعضاً ، فربما كان الضحك من أجلها جميعاً ، وربما كان لامر آخر لا يعلمه إلا الله ، ولكن الباحثة تميل " دون جزم " إلى أن الضحك كان سروراً بسبب التبشير بالغلام ، لامرين : -

1 - لقوله تعالى : (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) (1)

الآية الكريمة تتحدث عن المشهد نفسه ، ولكن في موضع آخر من كتاب الله ، فالاستتكار والصك كان هنا للتبشير بالغلام .

2 - لأن المشهد يتحدث عن أمور عدة ، منها التبشير بالغلام ، والأمور العديدة هذه مع أنها تعني زوج إبراهيم كلها ، لكونها مسلمة تحب الإسلام وأهله ، إلا أن الباحثة (وبحدس المرأة) ترى ان أكثر ما كان يعني زوج إبراهيم وأكثر ما كان يشغلها شأنه هو التبشير بالغلام ، وترى أيضاً أن لها عذرها في ذلك ، فتلك هي فطرة الناس التي فطرهم الله عليها ، والله أعلم بالصواب .

" فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها ... "

" لم يكن هذا الإقبال من مكان الى مكان ، وإنما هو كقولك (اقبل يمشي) ، والمعنى أنها أقبلت في صيحة ، أو في ضجة " (2) " فصكت " : أي لطمت " وجهها " ، أي تعجباً ، على عادة النساء في كل غريب عندهن " (3) .
" قالوا كذلك قال ربك " (4)

" انك ستلدن غلاماً ، والمعنى : إنما نخبرك عن الله - عز وجل - وهو حكيم عليم ، يقدر أن يجعل العقيم ولوداً " (5)

تمت البشري بالغلام ، " والجمهور على انه إسحاق - ~~عليه السلام~~ " (6) وزوج إبراهيم - ~~عليه السلام~~ - هل ضحكت ام ضربت وجهها ؟

ففي هود ضحكت ، وفي الذاريات أقبلت بصرة وصكت وجهها ، وفي الموضعين أشارت الى عقمها مرة بالتصريح ، ومرة بذكر عجزها وشيخوخة بعلمها ، فما الذي فعلته إذا ؟ كلا النصين يرسمان مشهداً واحداً ، وهو وقت وقوع البشري أما الضحك والضرب فلا تتأفي بينهما ، إذ أن مردّهما التعجب والدهشة جميعاً .

1 - الذاريات (آية : 29)

2 - (الشوكاني /فتح القدير)/(88/5)

3 - (القاسمي /محاسن التأويل)/(199/15)

4 - الذاريات (آية : 30)

5 - (الجوزي /زاد المسير)/(255/7)

6 - (الشوكاني /فتح القدير) / (88/5)

فالمستغرب لحدوث أمر ، المستبعد لوقوعه ، قد يضحك ، وقد يضرب وجهه ، وقد يفعل الاثنين معاً (1) . وهذا اختيار الباحثة - وبالله التوفيق -

ولكن ما الذي يدفع المرء لأن يضرب نفسه ، إذا ما عجب من شيء ؟
قد يكون الضرب تنبيهاً للنفس لأن تصحو فلا تسترسل في الآمال ، ولا تكثر من الأمانى ، وقد يكون اتهاماً للنفس بأن فهمها ربما كان خاطئاً .

وربما أرادت زوج إبراهيم - عليه السلام - أن تسكت نفسها فلعل ما تسمعه من الملائكة من قبيل ما حدثت به نفسها حيناً من الدهر ، وقد تتهمها بالخلط والقصور عن إدراك الأمور ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - ارحم بها من نفسها ، فلم يكلها الى هواجسها طرفة عين بل تداركها بلطفه ، فقالت الملائكة : " أتعجبين من أمر الله " ؟ و " كذلك قال ربك " ليستحکم يقينها ، وتزداد إيماناً وتصديقاً بوعده الله .

1 - (العيسوي /الدكتور : عبدالرحمن)//سيكولوجية الاعاقة الجسمية والعقلية مع سبل العلاج والتأهيل موسوعة كتب : علم النفس الحديث // (دار الراتب الجامعية ط 11 / ص 105)

المطلب الثالث : عبر من قصة ساره زوج إبراهيم - (العليه السلام) - :

لما كان السعيد من اتعظ بغيره ، والشقي من اتعظ بنفسه ، كان لا بد للمرء من ان يسعى كي يكون من أهل السعادة ، والسعي عبر يستخلصها ، وفوائد يستنتجها عندما يُعمل فكره فيقرأ ويتدبر : -

1 - العبرة الأولى : قدرة الله مطلقة ، لا تتقيد بالضوابط والمألوف : -

لئن كانت إرادة الله - عزّ وجل - ان تجعل للناس شؤوناً مألوفة ، وأحداثاً مضبوطةً محدّدة ، يقف عندها العقل ، ولا تتعداها الأفهام ، ذلك أنّ الطبائع قد جُبلت عليها قسراً واجباراً ، فقد مضت سنة الله في خلقه أن للحمل والإنجاب وقتاً معلوماً وعمراً محدداً ، عندما تصله المرأة ينقطع ولدها فلا تتجب ولا تحمل ولا ترضع ، فإن زوج إبراهيم - خليل الله (العليه السلام) كان لها شأن مختلف ، وميزة عن عامّة النساء ، ألا وهي الإنجاب في سن العجز والهرم ، يقول صاحب الظلال : -

" كل شيء يكون إذا قيل له كن ، وقد قال الله ، فماذا بعد قوله ؟ إن الألفة والعادة تقيدان الإدراك البشري وتحدان من تصوّراته ، فيدهش إذا يرى ما يخالف المألوف له ، ويعجب كيف يكون ، وقد يتبجح فينكر أن يكون ! والمشينة المطلقة ماضية في طريقها لا تتقيد بمألوف البشر الصغير المحدود تبدع ما تشاء ، بغير ما حدود ولا قيود " (1)

2 - العبرة الثانية : إثبات الكرامة للولي :-

إنّ الله سبحانه يكرم عباده الصالحين (2) ، ويخصّهم بفضائل كثيرة ، اظهاراً لفضلهم ، وتمنناً عليهم ورحمةً بهم وترغيباً في متابعتهم على ما هم عليه من الدين الصحيح لتحصل للناس بهم الهداية ، لقد كان الإنجاب في هذه السن المتأخرة من باب الكرامة لزوج إبراهيم - عليه السلام - . كما كانت لها كرامة أخرى وهي انجاؤها من عدوّ الله الطاغية الذي أراد بها سوءاً .

يقول صاحب المنار : - " يكفي في خرق العادة أن يكون من قبلها هي ولذلك أنكروا عليها (قالوا: أتعجبين من أمر الله) ؟ هذا استفهام إنكار لاستفهامها التعجبي ، أي لا ينبغي لك أن تعجبي من شيء ، وإنما يصح العجب من وقوع ما يخالف سننه تعالى في خلقه ، إذا لم يكن واضح السنن ونظام الأسباب هو الذي أراد أن يستثني منها واقعةً يجعلها من آياته ، لحكمة من حكمه في عباده " (3).

1 - (قطب /الظلال) / (3383/6)

2 - (عباس /سنة فضل) / اعجاز القرآن الكريم (ط 1 / ص 22)

3 - (رضا / المنار) / (130/129/12)

3 - العبرة الثالثة : الله - سبحانه - قاصم الجبارين : -

لقد كان ذلك الملك الذي وفد الى بلده - ابراهيم وزوجه - قوياً مستكبراً متسلطاً ، لديه من الأعوان والأجناد ما يهيء له ما يريد وقد كان ابراهيم ضعيفاً وحيداً فريداً فسلب منه ذلك الجبار زوجه . " فهل ترى محنةً اشد ، وفتنةً أعظم من ذلك ! رجل غريب يفد الى بلد ، فتسلب منه زوجه ، ويفرق بينه وبين أهله !! " (1)

" لقد قدم الله لذلك الفاجر الجبار آية على قوة الله وقدرته ، وعلى عجز ذلك الجبار " (2)
لقد كان في كرامة سارة - رضي الله عنها - قهر لجبروت الطاغية ، وتحجيم لبغيه وظلمه ، وقبل ذلك مدعاة له ولأمثاله ليسلكوا طريق الجادة ، فان من عادى الله قصمه .

4 - العبرة الرابعة : استخدام المعاريض : -

ففي المعاريض مندوحة عن ان يقع المؤمن في الكذب ، والحكمة الحقة هي تحقيق أكبر المكاسب الممكنة بأقل الخسائر الممكنة .

فابراهيم - عليه السلام - أخبر ذلك الطاغية عن سارة انها أخته وهي زوجه ، ولكنها أخت له في العقيدة قبل ان تكون له زوجاً " والزواج عرض دنيوي زائل " (3) ، أما أخوة الدين فهي باقية الى ان يصل أهل الإيمان جنّة ربهم ، وقد كان - عليه السلام - يبغى بذلك تجنب ظلم الطاغية وبغيه وسوءه .

5 - العبرة الخامسة : الصبر على الابتلاء عاقبته النجاة والفوز : -

إن الله - يختار عباده له يصطفيهم ويكرمهم بأنواع المحن وأصناف البلاء ، وما ذلك إلا لخير لهم ، فهم أمّا شاكرين وإمّا صابرين وكل أمرهم لهم خير ، لقد ابتليت سارة - رضي الله عنها - بالعقم ، وبالطاغية ، فأكرمها الله بالذرية الطيبة في غير أوانها ، وانجاها مما أراد بها الجبار وأثابها خيراً على حسن صبرها واحتسابها .

6 - العبرة السادسة : شكر الله على نعمه هو ديدن المؤمن العام : -

" رحمة الله وبركاته عليكم آل البيت " (4) تنزل رحمة الله وبركاته على آل البيت الذين يتقون الله فيأتمرون بما أمر ، وينتهون عما نهى، ويحرصون على طاعة الله ، ويحذرون غضب الله قال الرازي : " لما صدقت أرشدهم إلى القيام بشكر نعم الله ، وذكرهم بنعمته بقوله حميد ، فإن الحميد هو الذي يتحقق منه الأفعال الحسنة ، وقوله (مجيد) إشارة الى أن الفائق العالي الهمة ، لا يحمده لفعله الجميل ، وإنما يحمده ويستبحه لنفسه " (5)

1- (المولى / قصص القرآن) / (ص 47)

2 - (الخالدي / قصص القرآن) / (380/1)

3 - (الغزالي / زينب) / أيام من حياتي / (ط : 1 / ص 78)

4 - هود (آية : 73)

5 - (الرازي / التفسير الكبير) / (215/28)

7 - العبرة السابعة : المؤمن لا يقنط من رحمة الله : -

لا يتسلل اليأس إلى قلب المؤمن ، فهو يعلم أنه إنما خلق لغاية محدّدة ، وهدف معلوم ، وأن الله رآه إليه ، وأن كل ما هو حاصل إلى قيام الساعة قد سبق في علم الله ، فهو راضٍ دائماً ، مطمئن إلى جنب الله ومثل هذه الخصال الحميدة أولى الناس بها أنبياء الله الكرام وذووهم الأقربون ، وتعجّب زوج إبراهيم لم يكن يأساً وإنما دهشةً واستغراباً ذلك ان محنة الجبار وغيرها من المحن التي وجدتها بمصاحبة النبي الكريم - ﷺ - جعلتها من أهل الرجاء ، فلا يليق بمثلها اليأس .

8 - العبرة الثامنة : البركة والرحمة تحلان بآل البيت الواحد ان كانوا مؤمنين : -

إنما حصل لهم هذا الخير وتلك البركة ، لأنهم مؤمنون بالله مصدّقون برسالاته ، ولو كانوا غير ذلك لما نفعهم أنهم آل بيت خليل الله وأبو أنبيائه - ﷺ -
قال الرازي : " وقوله : " رحمة الله وبركاته عليكم " كلام مستأنف عللّ به إنكار التعجب ، كأنه قيل : إياك والتعجب ، فان أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم . " (1)

المبحث الثاني : زوج أيوب - ﷺ -

لا يُذكر نبي الله أيوب - ﷺ - إلا ويذكر معه الصبر ، فهو مضرب الأمثال في حسن الصبر ، وتقبل أمر الله - تعالى - مهما كان هذا الأمر إذ أنه خير في كل الأحوال مادام قدر الله .

المطلب الأول : صلاح وصبر : -

سمي الزوج زوجاً من المشابهة ، إذ أن الأزواج متشابهين في أغلب الأحيان ، وسميت صاحبة لطول مصاحبته وملازمتها زوجها ، قال تعالى : (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ)⁽¹⁾

" كل شئيين مقترنين ، فهما زوجان " ⁽²⁾

وامرأة أيوب - ﷺ - هي إحدى النساء اللواتي وحدثها وزوجها مرارة العيش ، ونصب الحياة ، فكان لها شأن وأي شأن ، قال تعالى : " وانكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد شراب " ⁽³⁾

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ " (واذكر) أيضاً يا محمد (عبدنا أيوب إذ نادى ربه) مستغيثاً به فيما نزل به من البلاء يا رب ، اني مسني الشيطان بنصب وعذاب⁽⁴⁾

" هذا مغتسل بارد وشراب " ⁽⁵⁾ " أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهره ، وتتقلب ما بك (رحمة منا وذكرى) ⁽⁶⁾ مفعول لهما ، والمعنى أن الهبة كانت للرحمة والتذكير " ⁽⁷⁾

كل هذا النصب والعذاب ، والصبر بمعية الزوج الصالحة وبمساندة منها ، وتسليم واحتساب

1 - عيس (آية : 34 - 36)

2 - (ابن منظور / لسان العرب) / (مادة زوج) / (292/2)

3 - ص (آية : 41 - 42)

4 - (الطبري / جامع البيان) / (165/23)

5 - ص (آية : 42)

6 - ص (آية : 43)

7 - (الزمخشري / الكشاف) / (377/3)

المطلب الثاني : لمة تتسلل الى الزوج الصالحة :-

يبدو أن زوج أيوب - عليه السلام - قد كانت أقل منه شيئاً يسيراً في حسن الصبر ، بل لعله من الطبيعي أن يمتاز أنبياء الله عن بقية عباده الصالحين في الخصال الكريمة ، والسمات الحسنة يستدل على ما كان من أمر الزوج الكريمة من قول الله تبارك وتعالى في خطابه لنبيه أيوب - عليه السلام - .

(وَخَذُ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِيَّاهُ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (1)

" الضغت : الحزمة من الحشيش أو الريحان أو ما أشبه ذلك " (2)

" خذ بيدك ضغناً ، معطوف على اركض ، او على وهبنا ، أو التقدير وقلنا له : خذ بيدك ضغناً " (3)

لماذا يأخذ بيده ضغناً ؟

قال الرازي : " أما قوله تعالى : (وخذ بيدك ضغناً) فاعلم أن هذا يدل على تقدّم يمين منه ، وفي الخبر أنه حلف على أهله ، ثم اختلفوا في السبب الذي لأجله حلف عليها ، ويبعد ما قيل أنها رغبتة في طاعة الشيطان ، ويبعد أيضاً ما روي أنها قطعت الذوائب عن رأسها لتطعمه ، لأن المضطر يباح له ذلك ، بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات ، وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برئ ، ولما كانت حسنة الخدمة له لا جرم حلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها " (4)

المفهوم من كلام الرازي - رحمة الله - تضعيفه للقول الذي يفهم منه تسرب شيء من

وساوس الشيطان الى زوج أيوب - عليه السلام - مع توارده أقوال كثير من المفسرين على ذلك :

قال الشوكاني : " أن الشيطان أغواها على ان تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقرباً إلى الشيطان " (5) ومثل هذا القول مردوداً دون أدنى شك .

وجاء كذلك : " لو تقربت إلى الشيطان فذبحت له عناقاً ، قال ولا كفأ من تراب " (6)

" كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برئ ، فحلل الله يمينه " (7)

1 - ص (آية : 44)

2 - (الزجاج / معاني القرآن) / (335/4)

3 - (الشوكاني / فتح القدير) / (436/4)

4 - (الرازي / التفسير الكبير) / (215/26)

5 - (الشوكاني / فتح القدير) / (437/4)

6 - (الزجاج / معاني القرآن) / (335/4)

7 - (النسفي / تفسير النسفي) / (43/3)

مع أن ترجيح الرازي أنه حلف عليها لتقصيرها وتأخرها عنه في بعض المهمات ، إلا أن الباحثة ترى ان اشارة زوج أيوب - عليه السلام - بمهادنة الشيطان (ولو بشيء يسير) هي الأقرب للسياق ، الى جانب تقدير الباحثة لجهود الرازي وغيره من أئمة التفسير الأفاض واعترافها لهم بالسبق والفضل ، إلا أنها تدلي بدلوها على قلة بضاعتها مقارنة مع أهل العلم والفضل ، فتحفظ لنفسها بحق الاجتهاد دون جزم وربما في قولها الصواب وربما في غيره .
ولكن ما الذي تعنيه الباحثة بقولها عن زوج أيوب : إنها إشارة على نبي الله الكريم بمهادنة الشيطان ؟ أليس في ذلك شرك بالله ؟ كيف يليق بها ذلك وهي صاحبة نبي هو مضرب الأمثال في الصبر وتقبل أمر الله ؟

والحق أن الشرك بالله شيء ، أما اللمم والضعف فشيء آخر فلا يستلزم من لمة حلت بعيد صالح وقوع الشرك منه وتلبسه بالمعصية والبعد عن أمر الله .
قال تعالى في سياق المديح لعباده الصالحين : (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)⁽¹⁾ هذا في المقام الأول وفي المقام الثاني قد يسأل سائل : ما الذي حمل الباحثة على ترجيح هذا القول دون غيره ؟ هل من جانب واحد أم اكثر ؟

نعم هناك جوانب لذلك الترجيح : -

أولها : أن اليمين لا يكون على أمرٍ عارض ، وإنما على أمر له قيمته ويستحق أن يحلف من أجله ، واعلم الناس بذلك أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم .
وثانيها : أن من سمات المؤمن أن يغضب لله ولحرماته ، وأن يكون سمحاً كريم النفس ان انتهكت حرمة ، فكيف بنبي كريم ؟ أتى له ان يغضب لتقصير زوجه عنه في مهمة عاجلة ، فيحلف أن يضربها مائة ضربة مع طول خدمتها له واحسانها إليه ؟

لئن اتفق اكثر الناس على أن أيوب - عليه السلام - قد حلف ليضربن زوجته ، واختلفوا في سبب ذلك ، فان أقرب الأقوال الى الصواب وأجدرها بالاعتبار هو ان شيئاً من الضعف قد ألمّ بالزوج الكريمة ، إلا أنه لم يفت في عضدها ، ولم يترك أثراً في إيمانها ، وفي الرخصة التي أنعم الله بها على نبيه الكريم وزوجه ، دليل على تكريم الله لها وعفوه عنها والله وحده أعلم بالصواب .

1 - النجم (آية : 32)

المطلب الثالث : عبر من الإشارة إلى زوج أيوب - عليه السلام : -

العبرة الأولى : الصبر على الابتلاء شأن الصالحين : -

" المهم في معرض هذا القصص تصوير رحمة الله وفضله على عباده الذين يبتلونهم فيصبرون على بلائه ، وترضى نفوسهم بقضائه فأما قسمه ليضربن زوجته ، فرحمة الله به وبزوجه التي قامت على رعايته ، وصبرت على بلائه وبلائها به ، هذا التيسر وهذا الأنعام ، كانا جزاءً على ما علمه الله من عبده أيوب من الصبر على البلاء وحسن الطاعة والالتجاء" (1)

العبرة الثانية : الرخص من منن الله سبحانه : -

أخذ الرخص سنة سنها رسول الله ﷺ ، وجدها كفر ، والمتهاون فيها ان كان يبغى التقصير فهو آثم ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يكره ان تؤتى معصيته) (2) والرخصة التي سنها الله لأيوب - عليه السلام - وزوجه باقية في أمة محمد ﷺ ، فعن سعيد بن سعد بن عباد (3) قال :-

كان بين أبياتنا إنسان مخدج ضعيف ، لم يرع أهل الدار إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها ، وكان مسلماً ، فرفع شأنه سعد الى رسول الله ﷺ فقال : " اضربوه حدّه ، قالوا : يا رسول الله إنه أضعف من ذلك ، ان ضربناه مائة قتلناه ، قال فخذوا له عتكالاً فيه مائة شمراخ ، فاضربوه ضربة واحدة ، وخذوا سبيله " (4)

العبرة الثالثة : الشيطان عدو مضل مبين : -

ينبغي الاحتراز منه ، والمبالغة في الاحتياط من وساوسه ، فوظيفته الازلال والغواية ، ولقد أقسم منذ بدء الحياة على هذه الأرض ، أن يغوي عباد الله ، ويزين لهم الآثام والشور ، قال تعالى على لسان ابليس : " فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبداً منك منهم المخلصين" (5) فكان أيوب - عليه السلام - وزوجه كذلك من عباد الله المخلصين ببركة إيمانها و إخلاصهما ، وصبرهما على البلاء .

1 - (قطب / الظلال) / (3021/5 - 3022)

2 - (ابن حنبل / مسند احمد) / (108/2)

3 - (سعيد بن سعد بن عباد : صحابي صغير ، وقد ولي بعض ائمن لعلي) / (ابن حجر / تقريب التهذيب) ص 176

4 - (ابن حنبل / مسند احمد) / (222/5)

5 - ص (آية : 82 - 83)

العبرة الرابعة : حق الزوج عظيم ، وخدمته وحياطته فضيلة كبرى : -

هذا ان كان قوياً صحيح الجسم ليس بذئ علة ، كما أن في خدمة المريض وملاطفته والرفق به أجراً عظيماً ورحمة كبيرة أياً كان ذلك المريض ، فإذا اجتمعت فيه الصفتان ، المرض المقعد عن خدمة النفس وأداء حقها ، مع الزوجية ، كان لمؤدية هذا الحق ما لا يعلمه إلا الله من الجزاء الحسن .

أورد السيوطي : " كانت امرأته تسعى إليه مع ما بها من جهد وفاقة " (1) هذا النص وغيره من النصوص التفسيرية ، يدل على ما كانت عليه زوج أيوب - عليه السلام - من الإخلاص والتفاني في خدمة الزوج والإحسان إليه ، والشفقة عليه ، والرفقة به .

المطلب الثالث : أخت موسى - ﷺ -

مُهَيَّبَاتُ

هي أخت النبي الكريم موسى بن عمران - ﷺ - وابنة المرأة التي أوحى الله إليها أن ترضع ولدها وتلقيه في الماء ، وأخت نبي الله هارون - ﷺ - أيضاً ، فهي تنحدر من بيت نبويّ عريق .

وقد ذكرها القرآن الكريم مرتين ، كلتاها في معرض إظهار منة الله سبحانه على عبده موسى - ﷺ - مرة في سورة القصص يقول تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ (1) ومرة أخرى في سورة طه يقول الله تعالى مخاطباً عبده موسى - ﷺ - : ﴿ إِذِ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ (2)

يأتي ذكرها عرضاً ، من خلال قصة موسى - ﷺ - تلك القصة التي شغلت حيزاً من كتاب الله - عزّ وجل - تذكر تلك الأخت بموقف المعاضد المساند ، الذي يؤدي دوراً ويحمل أمانة ويسد لبنة في البناء الإيماني ، بل إنها كانت حيناً من الدهر ربان السفينة التي كتب الله لها النجاة في بحر الكفر والطاغوت الهائج ، وسط أمواجه المتلاطمة وصخوره الصّماء .

إن من سمات القصص القرآني اعتماد الإجمال وترك التفاصيل ، والإقلال من ذكر الأحداث خاصة الصّغائر منها ، كأن يترك للقارئ والمتدبر دوراً في صياغة الأحداث وترتيب الوقائع . وترك العنان للخيال الإنساني ليرسم ويحدّد ويتعظ ويستنتج ، فذكر أخت موسى - ﷺ - إذن كان ولا زال أمرّ له قيمته ، إذ لو لم يكن كذلك ، لترك ذكره ككثير من الأمور التي لا تعنى في البناء العقائدي شيئاً ، ولا تسدّ خلةً ولا تحدث نقصاً .

1 - القصص (آية : 11 - 12)

2 - طه (آية : 40)

المطلب الأول : الترقب والتتبع : -

بعد أن اتبعت أم موسى وحي الله سبحانه بإلقاء وليدها وتفويض أمرها إلى الله وبعد أن أصبح فؤادها فارغاً ، اضطلعت الأخت بدورها فخرجت تقصّ أثر أخيها حياً لاستطلاع شأنه وتهدئةً لخاطر أمه ورغبةً في الاطمئنان عليه .

قال تعالى : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ (1)

"إذ تمشي أختك" ظرف لألقيت ، أو لتصنع ، ويجوز ان يكون بدلاً من إذ أوحينا وذلك أنها خرجت متعرفة لخبره ، فوجدت فرعون وامرأته آسية يطلبان له مرضعة " (2) تُرى ، كيف اطمأنت الأم الى قدرة ابنتها على مثل هذا العمل العظيم ؟ أليست صغيرة غريرة قد تنقلت منها بضع كلمات تؤدي بالأمور الى المزلق الخطير الذي طالما حذرت منه ؟ وكيف رضيت الصغيرة بهذه المهمة؟ ألم تضطرب وتتعثر؟ ألم يرهبها جنود الطاغية وأعوانه ؟

كان الباحثة بالأم والبنيت فلقتان برغم اتصالهما بالله ، وتصديقهما بوعدده ، إلا أن للبشر طبائعهم الأصلية بحكم جبلتهم ، تتراءى في الخيال صوراً شتى للفتاة الصغيرة تخرج متحسنة متمسكة متخفية ، حذرة تحتال حتى لا ينتبه إليها أحد ، يختلج فؤادها الصغير كلما تقدمت خطوة واحدة ، فهي في طريق وعر شائك تجتهد لمواضع أقدامها لئلا تدميها الأشواك فتؤخرها عن إنجاز المهمة .

﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (3) " قولها (قصيته) : اتبعني أثره " (4)

" فبصرت به عن جنب" : أي عن بعد تبصر ولا توهم أنها تراه ، يُقال : بصرت به عن جنب أي عن بُعد ، وعن جنبه إذا نظرت إليه عن بعد " (5)

إذن فقد أحبكت الخطة وتم تقسيم الأدوار ، وخطبت الأخت بنصيب وافر منها ، فراحت تتبع وتترقب وتبحث وتستقصي .

تحققت بالنسبة لها الغاية ، وقضت حاجة الأم بقص الأثر ومعرفة الحال . وبذلك أنجزت المرحلة الأولى من المهمة .

"لقد كانت تراقب سير التابوت بطريقة خفية ، والتابوت يسير على وجه الماء ، وهي تسير على شاطئ اليم ، ولا تنظر الى الجانب الآخر ، فلو رآها أحد الراصدين لما شك فيها ، ولما ربط بين سيرها وبين سير التابوت ، ولظن أنها فتاة تسير في طريقها الى أمر ما (6)

2 - (الشوكاني / فتح القدير) // (365/3)

1 - طه (آية : 39 - 41)

4 - (ابن المبارك / غريب القرآن) // (ص 289)

3 - القصص (آية : 11)

6 - (الخالدي / القصص القرآني) // (290/2)

5 - (الزجاج / معاني القرآن) // (134/4)

المطلب الثاني : عرض المساعدة واكنان الغرض : -

لم تعد الفتاة الى ذويها بخبر أخيها الوليد وإنما تقدمت فتفحصت الموقف وعالجته من جميع جوانبه ، فرأته يحتمل مزيداً من التدخل من يدري ؟ لعلها تحقق مكسباً جديداً .
ثم ان الوصول الى موقع ما ، لدى شخصٍ أو جماعةٍ لا بد فيه من بذل نفع ، حتى يلقى الطالب أذاناً صاغية وقبولاً لدى المطلوبين ، لقد أحسنت أخت موسى صنفاً حين أدلت بدلوها ، وظهرت بمظهر الناصح الذي يبغى مد يد العون .

قال تعالى على لسان أخت موسى - عليها السلام - : ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ (1) ؟

أسلوب تشويقي يحمل بشرى لأولئك القوم الذين أعياهم البحث عن ظئر للوليد المحبوب ، ثم انه أسلوب الواثق مما عنده فهي لم تشر إليهم إشارة عابرة ولم تتحدث إليهم مجرد حديث ، وإنما تبدي استعدادها لأن تدلهم على أهل ذلك البيت ، الذين لن يرضعوه فحسب ، وإنما سيكفلونه ، أي سيحرصون عليه ويقومون بأمره ، وهم له ناصحون في كل خير .
قال صاحب الظلال : -

" وذهبت أخته تقص خبره في الطرق والأسواق ، فإذا بها تعرف أين ساقته القدرة التي ترعاه ، وتبصر به عن بعد في أيدي خدم فرعون يبحثون له عن ثدي للرضاع ، ان القدرة التي ترعاه تدير أمره وتكيد به لفرعون وآله ، فتجعلهم يلتقطونه وتجعلهم يحبونه ، وتجعلهم يبحثون له عن ظئر ترضعه ، وتحرم عليه المراضع لتدعهم يحارون ، وهو يرفض الثدي كلما عرض عليه ، وهم يخشون عليه الموت أو الذبول ! حتى تبصر به أخته فتعرفه ، وتتيح لها القدرة فرصة لهفتهم على مرضع فنقول : " هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون " ؟
فيتلقون كلماتها وهم يستبشرون ، يودون لو تصدق فينجو الطفل الصغير المحبوب " (2)
" لقد رجع الى أمه بما لطف الله تعالى له من هذا التدبير " (3)

لقد أدت مهمتها وكان مآل الأمور قرّة عين لها ولأمها ومذهباً لحزنهما على فراق الوليد

1 - القصص (آية : 12)

2 - (قطب / الظلال) / (2679/5 - 2680)

3 - (الرازي / التفسير الكبير) / (54/22)

المطلب الثالث : عبر من ذكر أخت موسى - ﷺ - : -

1- العبرة الأولى : ضرورة الانضمام الى المركب الإيماني : -

فأخت موسى - ﷺ - يبدو من خلال العرض القرآني للقصة أنها كانت حديثة السن ، أي من ذلك الجيل الذي توكل إليه ، أمثال تلك المهمات ، فلو كانت كبيرة لخشيت أمها عليها ، من كيد الكائدين ، أو لخشيت من لفت الأنظار إليها ، لذا بعثت بها ، ولم تذهب الأم بنفسها ، ل يبدو الأمر عفواً لا تخطيط له ، ولا ترتيب وراءه ، لقد انخرطت في الكتيبة الإيمانية ، فكانت جندياً موفقاً معطاءً ، أحس أداء مهمته ، وعرف كيف يؤدي دوره ، مع حداثة السن وقلة التجربة .

" تتبّعها وترقبها عن بعد ، ومن ثم إدلاؤها بما عندها ، دليل على حرصها على إتقان فعلها ، والوصول بالأمور الى غاياتها " (1)

2- العبرة الثانية : الدقة والذكاء : -

" كانت أخت موسى اللبيرة الذكية تراقب كل شيء بفضة ووعي ، وكانت مع المجتمعين حول أخيها ، وشاهدت امتناعه عن جميع المراضع ، فتدخلت باللحظة المناسبة ، وعرضت عليهم خدماتها ، لإنقاذ ابن فرعون بالتبني " (2) لقد مرت مهمتها الحرجة في مرحلتين إحداهما الترقب وأخراهما : التدخل ولو لم تكن على درجة عالية من الحصافة والذكاء ، لما نجحت كل هذا النجاح .

3- العبرة الثالثة : السرية والكتمان : -

فالركيزة الأولى هي السرية التامة ، والكتمان البالغ ، والإيجاز في قضاء المهمات . ولو لم تكن أخت موسى - ﷺ - كاتمة للأمر جادة في سرّيته لانكشف أمرها وأمر نويها ، ولسهل على الأعوان والعيون الكثيرة المبنوثة في كل ركن وزاوية إفساد الخطة برمتها . هذه عجالة لسيرة قرآنية لبعض جند الله سبحانه " وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر " (3)

1 - (حوى / الاساس في التفسير) / (4063/7)

2 - (الخالدي / القصص القرآني) / (304/2)

3 - المدثر (آية : 31)

ابنتا الرجل الصالح

مهيندا :

هما المرأتان اللتان سقى لهما موسى - عليه السلام - عندما فرّ من فرعون وزبانيته تلقاء مدين ، وقد ذكرتا في كتاب الله في سورة القصص

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَكَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمُ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصَنِّطُونَ ﴿ (1) .

نساءً كثيرات صاحبن مولد موسى - عليه السلام - وإلقاءه في اليم وارضاعه ، نشأته وتربيته ، ثم نجاته من أيدي الظالمين ، بعد فراره منهم ، ثم زواجه - عليه السلام - ثم عودته الى فرعون هادياً ونذيراً .

وقد كان لابنتي الرجل الصالح ولاحدهما بالتحديد دوراً في حياة هذا الداعية العظيم ، الذي بعثه الله الى أمة اشتهرت بالعوج والضللال ، وتفننت بالمعاصي والآثام ، وانقلت كاهل أنبيائها صلوات الله وسلامه عليهم وسامت البشرية سوء العذاب ، فتركت أثراً مريراً ، فكان أبناؤها أئمة في البغي والضللال بدلاً من أن يكونوا أئمة هدى وحق وارشاد .

المطلب الاول : بين العفة ومزاحمة الرجال : -

إن للمرأة مكاناً اعتيادياً طبيعياً ألا وهو البيت ، المملكة التي هي مصنع الرجال ومنبت العزّ والفخار ، حيث يتخرّج الأفراد أصحاء الجسوم أسوياء العقول والقلوب . هذا اذا كانت اركان ذلك البيت قائمة على ما يُرضي الله من قولٍ وعمل .

ولكن ، قد تضطر المرأة لأن تغادر مملكتها ، الى حيث مواطن العمل واجتلاب الرزق مع انها متحرّجة يشق عليها ذلك الأمر ، ولكن لا بُد مما ليس منه بدّ .

وهذا ما كان من أمر ابنتي الرجل الصالح فقد خرجتا الى عملٍ حرج فرضته طبيعة الحياة وقسوة الظروف ، من خلال هذا العمل الذي طالما ضاقتا به ، وتمنّتا من يكفيهما شأنه ، كان لقاؤهما بنبيّ الله الكريم موسى - عليه السلام - وربّما كان ذلك اللقاء المبارك ببركة ما كان منهما من مجاهدة واحتمال لذلك العمل .

(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) (1)

" هو الماء الذي يستقون منه ، وجد فوق شفيره (أمة) : جماعة كثيرة العدد (من الناس) من أناسٍ مختلفين (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تزودان) والذود : الدفع والطرْد قوله : تزودان : أي تحبسان (على أقوال) : -

القول الأول : تحبسان اغنامهما ، واختلفوا في علّة ذلك الحبس على وجوه أحدها : لأنّ على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي

ثانيها : كانتا تكرهان المزاحمة على الماء

ثالثها : لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم

رابعها : لئلا تختلط بالرجال " (2)

القول الثاني : " كانتا تزودان عن وجوهما نظر الناظر لئلا يراها .

القول الثالث : تزودان الناس عن غنمهما .

القول الرابع : تحبسانها (الأغنام) عن أن تتفرّق وتتسرّب " (3)

جوهر الأقوال متقارب ، ولا تضادّ بينها فالذود قائم (بالنص) أما أسبابه فقد تكون

للحبس وقد تكون خشية الاختلاط بأغنام الغير ، وغير ذلك كثير ، والصّور تبين بجلاء فتاتين

والأقرب الى السياق أنهما في عمر الشّباب ، ذلك العمر الحرج بطبيعته بالنسبة الى الفتاة ،

فكيف إذا انضمّ الى حرج العمر حرج العمل ؟

1 - القصص (آية : 23)

2 - (الزجاج /معاني القرآن)/(139/4)

3 - (الفراء /معاني القرآن)/(305/2)

يدور في خلد الباحثة خيال تلك الفتاتين ، انهما مضطربتان ، يخفق قلبيهما ، يعلو وجهيهما حمرة الحياء الفطري ، تبغيان إنجاز المهمة بالسرعة الممكنة وبأقل قدر من الاختلاط والاحتكاك فمالهما ولهذا الجمع الذي ما أخرجهما إليه إلا ضرورة العمل لتحصيل الكسب ؟ هنا أمرٌ يستدعي الانتباه بالنسبة لموسى - عليه السلام - فقد جاء في تلك اللحيظات الثقيلة ورأى ما رأى ، قوم يستقون على الماء ومن دونهما امرأتان تزودان ، أحسن بحاجتهما الى مروءته فأقبل يسألهما من تلقاء نفسه (ما خطبكما) ، والخطب للشأن العظيم ، كأنه يقول : أي خطب أخرجكما الى ما أرى .

قال الرازي : " ما خطبكما أي ما شأنكما ، وحقيقته ما مخطوبكما ، أي مطلوبكما من الزيادة فسمي المخطوب خطباً كما يسمي المشؤون شأناً " (1)

سؤال موجز محدد ، وكذلك اجابة موجزة محددة ، فهذا شأن الفطر السليمة والنوايا النقية ، فالفتاتان تحادثان رجلاً أجنبياً لا عهد لهما به وكذلك النبي الكريم يحدث فتاتين أجنبيتين لا ينبغي له ان يحدثهما وانما حملة على ذلك ما رآه من حالهما ، فلم يرض ايمانه ولم تحتمل مروءته ما رأى من أمرهما ، فسألها ليحمل عنهما حرج ذلك الوقف ، " قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاة وأبونا شيخ كبير " (2) " امرأتان لا تستطيع ان نزاحم الرجال ، وأبونا لا يقدر ان يحسن ذلك من نفسه ، ولا يسقي ماشيته ، فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا اسقينا ثم انصرفنا " (3) أجابتا عن التساؤل المباشر ، ثم عادتا الى اصل السؤال ، فهما تبغيان السقيا ، إلا أنهما تنتظران فراغ القوم فان كانتا قد خرجتا الى العمل ، فهما تحرصان على تحجيم الاختلاط قدر استطاعتهما من باب : (فاتقوا الله ما استطعتم) (4) ثم توضحان القدر الذي دفعهما الى الخروج برمته ، فالوالد شيخ كبير لا طاقة له بهذا العمل ، فلم يبق لهما إلا القيام به بنفسيهما . (فسقى لهما) كفاهما مؤنة السقي والمزاحمة ، فترك في نفسيهما أثراً طيباً كان له شأنه قال تعالى : " فجاءته إحداهما تمشي على استحياء " (5)

وكما حرصتا على الإجابة الموجزة الشافية ، حرصتا كذلك على تبليغ أبيهما بما فعله ذلك الرجل معهما من خير ومعروف ، وهكذا المؤمن دائماً يعرف لأهله الفضل فضلهم ويحرص على رد الإحسان الى المحسنين .

2 - القصص (آية : 23)

1 - (الرازي / التفسير الكبير) // (239/24)

4 - التغابن (آية : 16)

3 - (الطبري / جامع البيان) // (57/20)

5 - القصص (آية : 25)

" في الكلام حذف ، والتقدير : فذهبنا الى أبيهما من غير إبطاء في السقي ، وقصنا عليه أمر الذي سقى لهما ، فأمر إحداهما أن تدعوه له (على استحياء) : في موضع الحال : أي مستحبة متحفزة " (1)

لم يعين النص القرآني هوية أي من المرأتين ولكونها الكبرى او الصغرى ، إنما هي إحدى ابنتي الرجل الصالح ، جاءت الى موسى - عليه السلام - تحمل رسالة له من أبيها ، وقد حفلت كتب التفسير (القديم منها خاصة) بذكر تفاصيل عن هوية المرأة واسمها (2) الى غير ذلك مما لا ورود له ولا إشارة إليه من نص الكتاب " قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا " (3)

وهنا أيضاً وضوح وإبانة ، فالذي يدعوه اليه هو الوالد ، أما سبب الدعوة فهو ليجزيه أجر ما سقى لابنتيه ، فهي لم تنتظره أن يسألها ما الذي جاء بك ؟ وإنما بادرتة والقت إليه برسالة أبيها ، وأوضحت سبب الدعوة لتختصر الحديث بينه وبينها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، فهي مع حيايتها واضحة لا تتلجلج ولا ترتجف أوصالها ، فالمؤمن واثق بربه ، واثق بنفسه باطنة كظاهرة ، صادق مع ذاته ، لا يبخر الأمور حقها ولا يحملها فوق ما تحتمل ، إنما الإيمان هو عقيدة التوازن وجاء كذلك في بعض التفاسير كلام كثير عن مشي موسى - عليه السلام - خلف المرأة التي جاءتته ثم طلبه إليها ان تسير خلفه لئلا ينكشف شيء من جسدها فينظره (4) هذا كله أيضاً لم يثبت في كتاب الله او صحيح السنة وإنما هو ضرب من المدسوس السقيم الذي لا نفع يرجى منه ، ولا يليق بالقصص القرآني الذي جاء يحمل هدفاً سامياً وغاية كريمة .

1 - (ابو حيان الاندلسي / البحر المحيط) / (298/8)

2 - (السبوطي / الدر المنثور) / (240/5)

3 - القصص (آية : 25)

4 - (الطبري / جامع البيان) / (61/20)

المطلب الثاني : رغبة في الاستقرار يعقبها نكاح ميمون : -

لقد عادت المرأة الى ابيها بالرجل غريب الدار والأهل ، كريم الخلق ، طاهر القلب ، وقد جاء ملبياً دعوة الرجل الصالح راغباً في التعرف الى شخصه الطيب ، فلعلّ عنده بعض الهدوء والدعة ، وربما لديه شيء من الطمأنينة بعد السقر المضني وطول التشرّد والأرق وقيل هذا كلّه فانّ لأهل الصلاح والتقوى أريحية خاصّة ونكهة مميزة يكرمهم بها الله فيما بينهم ، فأرواحهم متألّفة ، وقلوبهم تستشعر تلك الرابطة النديّة الوشيحة (رابطة الإيمان) فهم مقاربون متحابّون متعاضدون ، وإن كانت أنسابهم متباعدة.

قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (1)

لقد أخبر موسى - عليه السلام - الرجل الصالح بخبره فطمأنه وبشّره بالنجاة من القوم الظالمين ، هنا رأت إحدى المرأتين لها ولأختها مخرجاً مما تعانياه من مشقة العمل ومزاحمة الرجال وخرج الرعي ، ثم فرصة لهذا الغريب الطريد ، طيب الخلق كريم الطباع ، ثم مدعاة لطمأنينة أبيها (الشيخ الكبير) على أمواله وعلى ابنتيه ، فلم تتردّد في ان تنكّي بما عندها لأبيها فقالت : " يا أبت استأجره " (2) : (أي : استأجره ليرعى لنا الغنم ، وجملته) (ان خير من استأجرت القوي الأمين) (3) تعليل لما وقع منها من الإرشاد لأبيها الى استئجار موسى ، أي أنه حقيق باستئجارك له لكونه جامعاً بين خصلتي القوة والأمانة " (4) " وقولها : (إن خير من استأجرت القوي الأمين) كلامٌ حكيمٌ جامع لا يُزاد عليه ، لانه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان ، أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك ، فقد فرغ بالك وتمّ مرادك ، وقد استعنت برسالة هذا الكلام الذي سياقته في المثل والحكمة أن تقول : استأجره لقوته وأمانته " (5)

هنا برز دور الوالد ، ليعطي درساً تربوياً للأولياء في كيفية اختيار الأصهار لأنفسهم ، والأزواج الأكفاء لبناتهم وأخواتهم ، لقد رضي الرجل الصالح ، بدين موسى - عليه السلام - وخلقته وأمانته ومروءته ، فقد سقى لابنتيه ، وقد فرّ بدينه من الطواغيت المتألّهين . وقد قصّ عليه القصص ، وكذلك لثناء ابنته عليه ، ولربما يكون الوالد قد استشعر من ابنته

1 - القصص (آية : 25)

2 - القصص (آية : 26)

3 - القصص (آية : 26)

4 - (الشوكاني /فتح القدير) / (169/4)

5 - (الزمخشري /الكشاف) / (171-172 / 3)

رغبةً في الزواج من ذلك الرجل الغريب الطريد فلم لا يعرض عليه المصاهرة ؟ فيكون قد اختار لابنته ولذلك الرجل خيرى الدنيا والآخرة ، وغرس بذرة طيبة أصيلة في كرم المجتمع الإيماني الرباني ، وأقام عمود خيمة تظل أسرة صالحة تتجب أبناء صالحين يرثون الدعوة ويحملون اللواء قال أبو حيان عن الرجل الصالح :-

" رغب في مصاهرته (أي موسى - ﷺ) لما وصفته به (أي ابنة ذلك الرجل) لما رأى فيه من عزوفه عن الدنيا وتعلقه بالله ، وفراره من الكفرة ، [إحدى ابنتي] (مبهم) وهذا عرض لا عقد " (1) ثم يهون عليه في عرضه ، فهو أمام رجل غريب فقير لا يملك من متاع الدنيا شيئاً ، فيطلب صداقاً لابنته عملاً يؤديه إليه ذلك الرجل القوي الأمين ، وهذا الشق الآخر للمنهج التربوي في اختيار الأصهار . يخبر السياق بعد ذلك عن قبول موسى - عليه السلام - لعرض الرجل الصالح وعن إتمامه للأجل (أجل الإجارة) ثم مسيره بأهله بعد انقضاء المدّة ،

قال تعالى: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) (2)

" وكان موسى قد اشتاق الى بلاده وأهله ، فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه ، فتحمل بأهله ، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة ، فنزل منزلاً فبينما هو كذلك رأى ناراً تضيء على بعد فقال امكثوا اني آنست ناراً ، حتى أذهب إليها أو آتاكم بقطعة منها لعالم تستدفئون بها من البرد " (3)

فقد رافقت - ابنة الرجل الصالح - زوجها موسى - ﷺ - في طريق عودته الى موطنه وتوقفت معه عندما أراد ان يذهب ليأتي بخبر أو جذوة من النار للاستدفاء .

أما دليل عودتها معه فهو من نص القرآن الكريم في سورة النمل واقصص من القرآن الكريم قال تعالى : (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) (4)

وأهل الرجل في اللغة زوجه (5) أمّا خطابه - ﷺ - بصيغة الجمع (امكثوا) (سآتاكم) فلامكانية وجود أحدٍ معهما كالتابع أو الولد الى غير ذلك ، والله وحده أعلم بالصواب .

1 - (ابوحيان الاندلسي / البحر المحيط) (299/8-300)

2 - القصص (آية : 29)

4 - النمل (آية : 7)

3 - (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) (210/6)

5 - (ابن منظور / لسان العرب) باب اللام / فصل الهمزة (30/11)

المطلب الثالث : عظات وعبر من ذكر شأن المرأتين : -

1 - العبرة الأولى : البعد عن مواضع الشبهات ، واجتناب الريب : -

فقد كانتا (المرأتان) في موضع غير موضع القوم تذودان ولم يكون عجزهما عن مزاحمة الرجال هو الدافع وحده لتأخرهما ، وإنما رغبتهما في النأي عن الرجال ، حيث تكثر العيون وتظهر الفتن ، ويستبد السقهاء وتعلو وساوس الشيطان وأعوانه .
كذلك عند طلب إحداهما لأبيها أن يستأجر موسى - عليه السلام - دلالة أخرى على الرغبة في اجتناب تلك المواضع والبعد عنها .

2 - العبرة الثانية : الحياء والعفاف من علامات الإيمان ، ومن شيم الكرام الصالحين : -

وهو كذلك من نتاج الفطرة السليمة ، ومن إichاءات التكوين السوي ، والمرأة أجدر بالحياء من غيرها ، ذلك بحكم تركيبها الفسيولوجية ، وبنائها الداخلي والخارجي ، الروحي والجسدي منه معاً ، على ان يكون ذلك حياءً قد أفرزته التربية الإيمانية القويمة ، والنشأة الطيبة السليمة ، لا ان يكون حياءً مصطنعاً أظهر لتحقيق عرض او دفع مضرة ، لا يلبث ان يزول ليحل محله السفور والجرأة اللامحودة ، انما هو حياءً حقيقي ، وخوف من الله عظيم ، عظمة البناء الإيماني في تلك النفس الحية العفيفة ، فمردّه الوازع الداخلي ، وسلطانه على الجوارح كبير .

يقول صاحب الظلال : - " لقد جاءته " تمشي على استحياء " مشية الفتاة الطاهرة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال ، " على استحياء " في غير ما تبجح ولا تبدل ولا تبرج ولا إغواء ، جاءته لتنتهي اليه دعوة في أقصر لفظ وأخصر وأدله ، يحكيه القرآن بقوله : " ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا " فمع الحياء الدقة والابانة والوضوح ، لا التلجج والتعثر والريكة . فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال ، ولكنها لتفتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب ، الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج ، وانما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد " (1)

فان للحياء موقعه وحجمه ، فان انحرف عن موضعه ، او تجاوز حجمه انقلب الى النقيض ، وصار باباً واسعاً لوسوسة الشيطان ، ومطمعاً لذوي النفوس المريضة ، الذين ابتلى الله بهم عباده الصالحين ، ليمحص ايمانهم وليضع قوة احتمالهم على المحاك (وهو اعلم بهم) لتكون الحجة (بقضاء الله وقدره) لهم أو عليهم يوم يُبعثون .

قال تعالى : " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب عظيم " (2)

1 - (قطب / الظلال) / (2687/2686/5)

2 - النور (آية 63)

3 - العبرة الثالثة : الفراسة ودقة النظر : -

هي فضل يؤتيه الله من يشاء من عباده ، ومنةً يتفضل بها على بعض خلصائه .
يؤخذ هذا من قول احدى المرأتين: " يا أبت استأجره إن غير من استأجرت القوي الأمين (1)
فقد رأت نبيّ الله موسى - عليه السلام - لفترة يسيرة وجيزه ، ومع ذلك فقد استنتجت من تلك
الرؤية أخصّ خصلتين يُعنى بهما والدها الشيخ الكبير حيث أشارت عليه باستجاره .
قال عبدا لله بن مسعود - رضي الله عنه " أفرس الناس ثلاثة : ابوبكر حين تفرّس في
عمر ، وصاحب يوسف حين قال : (أكرمي مثواه) ، وصاحبة موسى حين قالت : (يا أبت
استأجره إن خير من استأجرت القويّ الأمين) (2)

1 - القصص (آية : 26)

2 - (النيسابوري / الامام الحافظ ابي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم / المستدرك على الصحيحين / تفسير سورة يوسف / تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا / (دار الكتب / ط : 1) (ج 2 / ص 376)

امرأة العزيز ونسوة امرأة العزيز

مَهَيِّنَا

قصة يوسف عليه السلام لها ميزة واضحة عن بقية القصص القرآني فقد عُرِضَتْ بِتَمَامِهَا بكافة مراحلها في سورة واحدة من كتاب الله شغلتها كلها ، وتسمت باسم ذلك النبي الكريم ، منذ رويها في صغره وما أعقب ذلك من ابتلاءات متلاحقة حتى اجتمع شمله بذويه وتأويل رويها التي جعلها ربه حقاً .

ولقد كانت احدى محطات ابتلاءته المتلاحقة - عليه السلام - ولعلها الأشد عليه ما كان من شأن امرأة العزيز معه ، وما كان من شأن بطانتها من نسوة المدينة ، ومن كيدهن به عليه السلام لقد أكثر أهل التفسير والقصص الخوض في هذا الشأن وتشعبت الآراء في طبيعة ما كان من يوسف عليه السلام ، ومن زوج العزيز ، ثم من ورائها بطانتها (نسوتها)

قال تعالى : (وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)⁽¹⁾ الى قوله تعالى : (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَأَوْنَهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ)⁽²⁾ ثم عاد السياق الى ذكرها ونسوتها على لسان يوسف عليه السلام : (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)⁽³⁾ الى قوله تعالى على لسان امرأة العزيز : (أَنَا نَحْصَنُ الْحَقَّ أَنَا رَأَوْنَهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)⁽⁴⁾

كان قصة يوسف - عليه السلام - ومنها ذكر امرأة العزيز ونسوتها كل متكامل لا يقبل التجزئة ، بل هكذا اراد له الله عز وجل ، أن يكون عرضه في موضع واحد من الكتاب الكريم ، ربما لتكون عظاته وفوائده منسقة متسلسلة على نسق واحد عظيم جليل .

كما أن لهذه الجزئية من حياة النبي الكريم ميزة أخرى عن بقية القصص ، ألا وهي التعرض لحال هذا الداعية في شأن من أخص شؤون الحياة ، وفي موقف حرج على شفا هاوية لا يعصم من الانزلاق فيها إلا رحمة الله ولطفه وتدبيره .

قال تعالى : (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)⁽⁵⁾ لقد أحسن - عليه السلام - الى نفسه والى من حوله ومنهم امرأة العزيز نفسها ، فأحسن الله اليه وأكرمه وعصمه وأيده .

3 - يوسف (آية : 50)

2 - يوسف (آية : 32)

1 - يوسف (آية : 23)

5 - يوسف (آية : 56)

4 - يوسف (آية : 51)

المطلب الاول : المرادة وتغليق الأبواب والاستعصام من جانب يوسف - **عليه السلام** -

قال تعالى : (وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (1)

" المعنى أنها راودته عما أرادته مما تريد النساء من الرجال ، فَعَلِمَ بتركه ذكر الفاحشة نفسها ما راودته عليه ، مفعول راودته محذوف ، ولكن المقام يُفيد أنها راودته على ارتكاب الفاحشة " (2)

" لما بلغ أشده راودته التي هو في بيتها عن نفسه (امرأة العزيز) ، أي أحبته وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف لما أرادت منه ، وراودته عليه ، باباً بعد باب " (3)

" وانما قال (التي هو في بيتها) ولم يقل امرأة العزيز ، قصداً الى زيادة التقرير مع استهجان التصريح باسم المرأة المحافظة على الستر عليها (وغلقت الأبواب) في هذه الصيغة ما يدل على التكثير ، فيقال غلقت الأبواب ، ولا يُقال (غلقت الباب) بل يقال أغلق الباب " (4)

(وغلقت الأبواب " السبب أن ذلك العمل لا يؤتى به إلا في المواضع المستورة ، لا سيما إذا كان حراماً ومع قيام الخوف الشديد " (5) " أو الحرص الشديد على عدم فراره منها وقالت (هيت لك) أي هلم وأقبل وهي كلمة حث وإقبال على الشيء " (6) وقيل (هيت لك) تهيات لك " (7)

كلا المعنيين يسد الخلة ، إذ أن روح السياق ، تشير الى طلب امرأة العزيز من يوسف - عليه السلام - ما أرادت منه ، والطلب هنا فيه حرص على تحقيق المطلوب وبذل لكثير من المغريات في سبيل تحصيل ذلك الشيء : (قال معاذ الله أنه ربي أحسن مثواي أنه لا يفلح الظالمون) (8)

" أي اعوذ بالله معاذاً مما تدعيني اليه وهذا اجتناب منه على أتم الوجوه ، وإشارة الى التعليل بأنه منكر هائل يجب أن يُعاذ بالله تعالى للخلاص منه " (9)

(إنه ربي أحسن مثواي) الضمير في أنه الأصح أنه يعود على الله تعالى أي: ان الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب ، وأقامتي في أحسن مقام ، واما ان يكون ضمير الشأن

1 - يوسف (آية : 23)

2 - (الزجاج /معاني القرآن و اعرابه) // (99/3)

4 - (الشوكاني /فتح القدير) // (16/3)

3 (الطبري /جامع البيان) // (178/12)

6 - (الخازن / تفسير الخازن) // (12/3)

5 - (الرازي /التفسير الكبير) // (112/18)

8 - يوسف (آية : 23)

7 - (الزحيلي / التفسير المنير) // (239/12)

9 - (ابي السعود / تفسير ابي السعود) // (127/3)

وعَنَى بَرَبِهِ سَيِّدَهُ الْعَزِيزِ (فلا يصلح لي أن أخونه) وقد أكرم مثنوي واتممتني ، إذ لا يُطلق نبي كريم على مخلوق أنه ربه ولا بمعنى السيد لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكاً له ، (أنه لا يفلح الظالمون) أي المجاوزون الإحسان بالسوء ، استعاذ أولاً بالله الذي بيده العصمة وملكوت كل شيء ، ثم نبّه على أن إحسان الله أو إحسان العزيز الذي سبق منه لا يُناسب أن يُجازى بالإساءة ثم نفى الفلاح عن الظالمين " (1)

(قال معاذ الله) " مصدر يُقال : عاذ معاذاً ومعاذةً وعياداً . (إنّه ربّي) في موضع نصب على البذل من الهاء ، وقد يكون رفعاً على الخبر . (أنه لا يفلح الظالمون) الهاء كناية عن الحديث ، والجملة خبر " (2)

إذن فقد أقرت كتب التفسير إعراب القرآن الكريم جواز الوحيين من كون الضمير في قوله يوسف - ~~السليمان~~ - وكذلك في معنى كلمة (ربي) الله عزّ وجل أو عزيز مصر ، إلا أن النفس أكثر ارتياحاً إلى أن المراد بالمعنى هنا الله عزّ وجل للأسباب التي ذكرها أبو حيان الأندلسي ، ولأن أصل الفضل والإحسان كلّه بيد الله عزّ وجل ومنه إحسان الخلق إلى بعضهم بعضاً ، فإنّ هذا لا يتم إلا بإرادة الله وعونه ، مع أن في قول يوسف - ~~السليمان~~ - إشارة إلى إحسان عزيز مصر له وإكرامه إياه بقوله (انه لا يفلح الظالمون) إذ أنه بقبول عرض امرأة العزيز يكون ظالماً غير واضع للأمر في محلّه ، ذلك أن زوجها كفله وضمّه وأحسن إليه فلا يليق به الخيانة مع آل بيته .

قال تعالى : (وَتَقَدَّرَ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (3)

كثرت الأقوال وتشعبت في هذه الآية ، منها ما لا يليق بمقام الأنبياء وعصمتهم ، ومرّد هذه الأقوال الإسرائيلية والأخبار المكذوبة ، يقول الطبري : " وأولى الأقوال بالصواب أن يُقال إن الله جلّ ثناؤه أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من آيات الله ، زجرته عن ما هم به من الفاحشة ، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب ، وجائز أن تكون صورة الملك ، وجائز أن تكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ، ولا حجة للعنق قاطعة بأي ذلك من أيّ ، والصواب أن يُقال في ذلك ، ما قاله الله تعالى ، والإيمان به ، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه " (4)

1 - (ابو حيان الأندلسي / البحر المحيط) / (257/6)

2 - (النحاس / أبي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل / اعراب القرآن / ط : 2 / تحقيق : د. زهير غازي زاهر)

(ج 2 / ص 323) / (عالم الكتب مكتبة النهضة العربية / ط : 1)

3 - يوسف (آية : 24)

4 - (الطبري / جامع البيان) / (191/12)

أما ابن كثير فمع عرضه لقول ابن جرير إلا أن يورد أقوالاً أخرى فيقول :
 " المراد بهمّ بها خطرات حديث النفس ، وقيل : هم بضربها ، وقيل تمنّاهما زوجة .
 (وقيل همّ بها لولا أن رأى برهان ربّه) " (1) أي فلم يهّمّ بها " (2)

عن ابي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : " إن الله تجاوز لي عن أمتي ما
 وسوست به صدورهما ما لم تعمل أو تكلم " (3)

(لولا ان رأى) " لولا حرف يمتنع له الشيء لوجود غيره ، و (أن رأى) في موضع رفع
 لانه مبتدأ ، ولا يجوز إظهار خبره بعد (لولا) لطول الكلام بجوابها ، وقد حذف خبر المبتدأ
 هنا والجواب معاً (وهم بها) جواب لولا ، لان جواب لولا لا يتقدم عليه (4) ولقد بسط
 الرازي مساحةً جيدة لهذه الجزئية فأورد مسائل فيها واستعرض الأقوال التي وردت بشأنها
 واستقصاها ، وخرج بثمرة طيبة ، وأجاب إجابة شافية قاطعة جامعة مانعة - جزاه الله خيراً -
 فقال : - " اعلم ان الدلائل على وجوب عصمة الأنبياء - ﷺ - كثيرة ، ولقد استقصيناها
 في سورة البقرة في قصة - آدم عليه السلام - فلا نعيدها ، إلا أننا نزيد هنا وجوهاً : منها :
 أن الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض الأمانة أيضاً من منكرات الذنوب ، وأيضاً
 مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضاً من منكرات الذنوب
 ، وأيضاً الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقي مكفي المؤنة مصون العرض من أول صباه الى
 زمان شبابه وكمال قوته فأقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة الى ذلك المنعم
 المعظم من منكرات الأعمال ، إذا ثبت هذا فنقول : إن هذه المعصية التي نسبها الى يوسف -
 ﷺ - كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ، ومثل هذه المعصية لو نسبت الى أفسق
 خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه ، فكيف يجوز اسنادها الى النبي ﷺ
 انه تعالى قال في غير هذه الواقعة (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) (5) ولا شك ان
 الفاحشة التي نسبها اليه اعظم انواع وافحش اقسام الفاحشة فكيف يليق برب العالمين ان يشهد
 في عين هذه الواقعة تكون بريئاً من السوء مع انه أتى بأنواع السوء والفحشاء ؟

1 - يوسف (آية : 24) 2 - بن كثير / تفسير القرآن العظيم // (327/4)

3 - (البخاري / صحيح البخاري / كتاب العتق باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق ونحوه / حديث رقم (2528)
 [163/2]

4 - (ابن الجوزي / زاد المسير) // (157/4 - 158) 5 - يوسف (آية : 24)

واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة ، يوسف - عليه السلام - وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين شهد براءته عن الذنب وإذا كان الأمر كذلك فحينئذ لم يبق توقف في هذا الباب ، فثبت بهذه الدلائل أن يوسف - عليه السلام - بريء مما يقوله هؤلاء الجهال (1)

كما أن المتدبر للآيات الكريمة يستنتج ان الاستعاذة بالله واستبعاد ارتكاب الفاحشة من قبل يوسف - عليه السلام - قد تقدم على الهم ، فيوسف - عليه السلام - قد كان طاهراً بريئاً منذ اللحظة الأولى ولم يكن وحاشاه عن ذلك - متخاذلاً - أو مائلاً لشيء من المعصية أبداً ، فمن خلال الآيات الأولى يستخلص المسلم صاحب الحسن السليم والفهم الإيماني السديد براءة يوسف - عليه السلام - وبعده عن المعصية ومع مطالعة شهادة الشهود وإصرار يوسف على ظهور البراءة - من مجرد الهم أو حديث النفس - قبل الخروج من السجن . يزداد الذين آمنوا إيماناً ، ويحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، أما ماهية ذلك البرهان ، فقد كفانا - إمام المفسرين الطبري - رحمه الله تعالى - شأنه فقال " ان ذلك البرهان جائز ان يكون صورة يعقوب عليه السلام أو غيرها ، إذ لا تحديد لماهية ذلك البرهان ما دام الدليل لم يقم على تحديد" (2)

1 - (الرازي / التفسير الكبير) / (115 / 18 - 117)

2 - (الطبري / جامع البيان) / (191 / 12)

المطلب الثاني / إفك جريء ، وادعاءً كاذباً : -

أسقط في يد امرأة العزيز ، لم ينفع مع يوسف - عليه السلام - بذل الجمال وابرار الحسن ، لقد استعاذ بالله واستعصم بحبله فلم يتحقق لها ما تريد ، وضبطت متلبسة بالجرم فضاعفت من بغيها وأضافت ظلماً الى ظلم .

قال تعالى : (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (1)

" هذا من اختصار القرآن المعجز الذي يجتمع فيه المعاني ، وذلك أنه هرب منها فتعاديا ، فأدركته قبل ان يخرج (وقدت قميصه من دبر) (أي من خلفه ، قبضت في اعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه ، ونزل التخريق الى اسفل القميص " (2)

" والفيها سيدها لدى الباب " ، (ألفيا) " وجدا " (3) (سيدها) : " أي زوجها وهو فيعمل من ساد يسود ، وشاع اطلاقه على المالك وعلى الرئيس ، وكانت المرأة إذ ذاك تقول لزوجها: سيدي ، ولذا لم يقل سيدهما (لدى الباب) أي عند الباب وجدها يريد أن يدخل " (4) (قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءاً) (5) " وفي الكلام حذف تقديره : فراهه أمرها وقال ما لكما ؟ فلما سأل وقد خافت لومه ، أو سبق يوسف بالقول ، بادرت أن جاءت بحيلة تبين فيها تبرئة ساحتها من الريبة ، وغضبها على يوسف ، ولم تصرح باسم يوسف ، بل أنت بلفظ عام وهو قولها : ما جزاء من أراد وهو أبلغ في التخويف . وما نافية (على الظاهر) ويجوز أن تكون استفهامية أي : أي شيء جزاؤه إلا السجن ؟ وبدأت بالسجن ابقاءً على محبوبها ، ثم ترقّت الى العذاب الأليم " (6)

رأت زوج العزيز ما رأت من عصمة الله ليوسف - عليه السلام - ، ومن اكرام الله له ومن أنعمه الكثيرة عليه ومنها العفة والتقوى والإحصان ، فلم تقصر ، ولم تستدرك نفسها فنفيء الى امر الله ، بل بالغت في عتوها وبغيها ، وراحت تقلب الحقائق ، وتشوه الصورة الناصعة النقية ، وتدعي زوراً وبهتاناً لنفسها العفة والرغبة في الطهارة ، وتتهم الطاهر المطهر بما هو فيها ، بل وتشفي به وتقرّر سجنه وتعذيبه لا شيء ، إلا لأنه سمح النفس كريم الطباع عالي الهمة من بيت نبوة ، سليل نسب قد اصطفاه الله على العالمين ، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (7)

1 - يوسف (آية : 25) (القرطبي / الجامع لاحكام القرآن) // (170/9)

3 - (ابن المبارك اليزيدي / غريب القرآن وتفسيره / ص 182)

4 - (الأوسي / روح المعاني) // (218/12)

6 - (ابوحيان / البحر المحيط) // (260/6)

المطلب الثالث : شهادة حق اكراماً ليوسف - ﷺ - :

قال تعالى : " قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين " (1)

" يقول تعالى ذكره : قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز بم قذفته من ارادته الفاحشة منها مكذباً لها فيما قذفته به " (2) وعن الشاهد يقول القرطبي : (وشهد شاهد من أهلها) " لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك الى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب ، فشهد شاهد من أهلها ، أي حكم حاكم من أهلها ، لأنه حكم منه وليس بشهادة ، والشاهد رجل حكيم ذو عقل كان الوزير يستشيره في أموره ، وكان من جملة أهل المرأة ، وكان مع زوجها ، فقال : قد سمعت الاستبداد والجلبة من وراء الباب ، وشق القميص ، فلا يدري أيكما كان قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة ، وان كان من خلفه فهو صادق ، فنظروا الى القميص فإذا هو مشقوق من خلف " (3)

هناك قول آخر في شأن الشاهد : " أنه كان صبياً ، وانه ذكر من تكلم في المهدي ، فذكر ان أحدهم صاحب يوسف " (4)

وقد روى هذا الحديث في سند أحمد (5) وأشار الى ضعفه وكذلك ذكر ابن حجر في الشأن نفسه : " على انه اختلف في شاهد يوسف ، فقيل كان صغير ، وهذا أخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وسنده ضعيف ، وبه قال الحسن وسعيد بن جبير " (6)

ثم يستدرك القرطبي فيقول : " ولو كان طفلاً لكانت شهادته ليوسف ﷺ تغني عن أن يأتي بدليل في العادة ، لأن كلام الطفل أية معجزة ، فكانت أوضح من الاستدلال بالعادة " (7)

وشهادة الحق هذه ليوسف - ﷺ - ، هي بذاتها شهادة خزي وتكذيب لامرأة العزيز من جانب آخر لأمرين : -

أحدهما : أن الشاهد استدل بقريظة واضحة لا سبيل الى اخفائها أو التلاعب فيها ، وهي قد القميص ، وجاء التعقيب مباشراً تقريراً لجرم المرأة (إنه من كيدكن)

ثانيهما: أن الشاهد من أهلها، فهو أبلغ في الملامة وأظهر لشناعة الفعل، فذووا المرء هم أحرص الناس على حمايته والذب عنه فكيف إذا كانوا هم من أقاموا عليه الشرط واطهروا حرج موقفه ؟

1 - يوسف (آية : 26-27)

2 - (الطبري /جامع البيان)/(12/194)

3 - (القرطبي /احكام القرآن)/(9/114)

4 - (الطبري /جامع البيان)/(12/196)

5 - (ابن حنبل /سند احمد)/(1/310)

6 - (ابن حجر /فتح الباري)/(6/480)

7 - (القرطبي / احكام القرآن)/(9/114)

قال تعالى : (يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ) (1)
 " قال ليوسف اعرض عن هذا واكتمه قيل ان هذا قول العزيز او من قول الشاهد ، ومعناه
 اعرض عن ذكر هذه الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ، ولا يحصل العار العظيم بسببها ، وكما
 امر يوسف بكتمان هذه الواقعة أمر المرأة بالاستغفار فقال (واستغفري لذنبك) وظاهر ذلك
 طلب المغفرة " (2)

وسواء كان الناصح ليوسف بالإعراض ، ولامرأة العزيز بالاستغفار هو العزيز نفسه ،
 أو ذلك الشاهد الذي شهد من أهلها ، فان هذا ليس بذئ قيمة في حقّه - عليه السلام - ، وفي
 حق المرأة الخاطئة ، وانما الأمر الذي له قيمته هو براءة يوسف - عليه السلام - وتحقق العزيز من
 ذلك بالمعينة والمشاهدة ، واتضح جرم المرأة وبغيها وظلمها ومراودتها ليوسف عن نفسه .
 أما قول من قال (استغفري) لامرأة العزيز فأى شيء أراد ؟ ومن أي نوع سيكون هذا
 الاستغفار ؟ هل كان هؤلاء القوم مؤمنون ؟ وهل أراد القائل من الاستغفار الاعتذار الى الله
 وطلب عفوه ورحمته ؟

هذا ما لم تقف الباحثة عليه ، فلم تستطع القطع بايمان القوم أو كفرهم ، كما أن هذا هو
 الدافع الذي جعل الباحثة تصنف امرأة العزيز ونسوتها تحت عنوان " النساء اللواتي قلّ ذكرهن
 في القصص القرآني وليس مع النساء المؤمنات أو الكافرات .

لكن الباحثة مع ذلك لا تعدم (بانذ الله مخرجاً) فالقوم اما مؤمنون واما كافرون بلا ريب ،
 فان كانوا مؤمنين فالأمر بالاستغفار انما يأمر بذلك أعدارا الى الله وخوفاً على المرأة من
 غضبه وسخطه وان كان غير ذلك فهو يدعوها الى استغفار معبودها (وان كان معبوداً من
 دون الله) ذلك أن ما همت به المرأة مما تنكره الأديان الوثنية والوضعية لأنه أمر سوء
 محض وفعل خبيث ، وقد تكون دعوة الاستغفار لزوجها أو لذويها أو لحاشيتها أو لبطانتها أو
 لمركزها الاجتماعي ، والله وحده أعلم بالصواب .

وللدكتور صلاح الخالدي تعقيب على هذا الجانب من القصة بعد ان اختار ان الناصح
 بالإعراض والأمر بالاستغفار هو العزيز نفسه ، يصف فيه العزيز بأنه .
 " ديوث ، وان كلامه لها بارد ، لكن العزيز المسؤول الأول في مصر ، الذي يمثل ما يسمونه

1 - يوسف (آية : 29)

2 - (الرازي / التفسير الكبير) / (123/18 - 124)

بالطبقة الراقية الحاكمة تعامل مع الموضوع بأعصاب متجمدة ، ودم بارد ، فلا قيمة عنده للشرف والعرض ولهذا لم يزد على أن قال لامرأته (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) (1) هذه الجملة الباردة ، الصادرة عن إنسان بارد ديوث ، يتأكد من وجود الفاحشة في زوجته ، فيمنحها ما يشبه الوسام ، ويقدم لها الثناء ، ويشهد لها بأنها امرأة فاتنة ماكرة تقدر على الفتنة والإغواء والكيد والتآمر (2)

لكن قائلاً قد يقول : لماذا نحكم على عزيز مصر بأنه ديوث وبارد ، لماذا لا نصفه بالحكمة والتعقل ؟ ألم يسعى إلى التثبت من الأمر ثم لما تبين لديه ما تبين نصح بالكتمان رعاية لمكانته الاجتماعية ؟

لئن كانت الباحثة لا تتفق مع الدكتور الخالدي في قوله : " ان العزيز منح امرأته وساماً " بقوله : " [إنه من كيدكن] ، فان هذا اقراراً منه بجرمها لإطلاعه على ما كان من حالها وليس وساماً يزين هامتها ، فإنها لا تجد بداً من أن توافقه (د. الخالدي) على وصفه للعزيز بأنه ديوث ، فقد رأى بأمر عينه من امرأته ما رأى بل وشهد عليها شاهد من أهلها ومع ذلك فقد تركها حرة طليقة تدعو النسوة وتجاهر بالمعصية على الملأ ، وتسعى إليهن ليعذرنها خاصة عندما تعرض عليهن جمال يوسف - ~~عليه السلام~~ - وهيبته ، ثم يسجن يوسف ~~عليه السلام~~ - الطاهر البريء حفظاً للأمر وكتماناً للفعلة الشائنة ، ولو لم يكن ديوثاً لقام على زوجته يؤدبها ويقيد حريتها ويمنع عنها مخالطة الناس حتى تنفيء الى نفسها وتدع ما هي عليه ، أما ما كان من طلب الشاهد ومن تتبّع الأمر فهذا لا يُعدّ فضيلة للعزيز ، فان أي إمرىء كائننا من كان يرغب في نظافة بيته وسلامة عرضه حتى لو لم يكن أهلاً لذلك كما ان الخائن لا يجب ان يخونه أحد ، وكما ان السارق لا يجب ان يسرقه أحد .

هذا جانب للأمر ، والجانب الآخر فيه هو أن هذا التثبيت والتحقق من قبل العزيز لم يأت بأية ثمرة واقعية للأمر ، فالبريء المسكين أودع السجن ، والمرأة الباغية الظالمة حرة تفعل ما تشاء دون ضابط أو قيود .

1 - يوسف (آية : 28)

2 - (الخالدي / القصص القرآني) / (127/2)

المطلب الرابع : بطانة السوء تتولى نشر الواقعة : -

قال تعالى حكاية عن نسوة المدينة : (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)⁽¹⁾

وقع ما كان يحذر منه آل العزيز ، وراحت القصة تتناقلها الألسن وتمضغها الأفواه .
 " وهذا الكلام متضمن لوجوه من المنكر ، أحدها . قولهن (امرأة العزيز) تراود فتاها ، ولم يسموها باسمها ، بل ذكروها بالوصف الذي يُنادى عليها بقبیح فعلها بكونها ذات بعل ، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدوها ممن لا زوج لها ، الثاني : أن زوجها عزيز مصر . ورئيسها وكبيرها ، وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها ، الثالث : ان الذي تراوده مملوك لا حر ، وذلك ابلغ في القبح ، الرابع : أنه فتاها الذي هو في بيتها وتحت كنفها فحكمة حكم أهل البيت . بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد ، والخامس : أنها هي المرادة الطالبة ، السادس : أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ ، حتى وصل حبه الى شغاف قلبها ، السابع : ان في ضمن هذا : أنه اعفَ منها وأبرَ وأوفى ، وهذا غاية التزم لها ، الثامن : أنهم أتين بفعل المرادة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالاً واستقبالاً ، التاسع قولهن (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أي انا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقبح ، فنسين الاستقبح اليهن ، ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضاً على الهوى ، ولا يكدن يرين ذلك قبيحاً ، فحيث استقبحن منها ذلك كان هذا دليلاً على انه من أقبح الأمور ، ولا يحسن معاونتها عليه ، العاشر : أنهم جمعن لها هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط ، فلم تقتصر في حبها ولا في طلبها⁽²⁾

" أما العشق فقولهن (قد شغفها حباً) أي بلغ حبه الى شغاف قلبها ، وفي الشغاف ثلاثة اقوال : الشغاف : غلاف القلب ، أو هو داء يكون في الجوف ، أو شغفها : أي ذهب بها كل مذهب مشتق من شغفات الجبال : أي رؤوس الجبال ، فإذا قلت فلان مشغوف بكذا ، فمعناه : انه قد ذهب به الحب أقصى المذاهب " ⁽³⁾

بعد ان اصبح الخير يُتحدث به ، وراحت النسوة (بطانة امرأة العزيز) يعذلنها ويلمنها وينعتنها بالضلال والغواية ، أما كيفية انتشار هذه الواقعة ، فهي ميسرة ، إذ سرعان ما تسري مثل هذه الأحداث سريان النار في الهشيم ، فتبلغ القاصي والداني خاصة في بيت كهذا يكثر فيه الخدم والحشم والأعوان .

1 - يوسف (آية : 30)

2 - (ابن القيم /التفسير القيم)/(314-315)

3 - (الزجاج /معاني القرآن)/(105/3)

أمام هذا السيل الدافق من الحديث على هذا الأمر ، لم تتراجع امرأة العزيز ولم تتب ولم تتدارك الأمر ، بل أنها أصرت وجاهرت دون وجل أو حياء .
 قال تعالى : (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) (1)

وقد اكثر أهل التفسير في نوع هذا الطعام ، فأثرت الباحثة عدم الخوض في هذا الجانب ، ذلك انه لا دليل على نوعية ذلك الطعام ، ولا قيمة لمعرفة ذلك ، أما القرينة التي استدلت بها على تقديم امرأة العزيز للطعام لتلك النسوة ، فهي سياق الآيات وما يُعهد من تقاليد الضيافة (خاصة عند النساء) وكذلك ذكر السكين ثم تقطيع الأيدي ، فلم آتتهن السكين ان لم يكن لتقطيع الطعام ؟ ولم قطعن أيديهن ان لم يستخدمن السكين لهذا الغرض ؟

بعد أن تم تهيئة الجو كما تريد امرأة العزيز طلبت الى يوسف - عليه السلام - أن يخرج عليهن ، " وقالت اخراج عليهن " (2)

" أي : ابرز لهن ، لم يكن عقيب ترتيب أمورهن ليتم عرضها من استغفالهن (فلما رأينه) عطف على مقتر يستدعيه الأمر بالخروج وينسب عليه الكلام ، أي فخرج عليهن فرأينه ، وإنما حذف تحقيقاً لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن ، وفيه إيذان بسرعة امتثاله - عليه السلام - بأمرها فيما لا يُشاهد مضرته من الأفاعيل " (3)

" أكبرنه عظمه وهبن حسنه الفائق ، (وقطعن أيديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقطن حاشا لله) تنزيهاً لله من صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله (ما هذا بشراً) لأن هذا الجمال غير معهود للبشر (إن هذا إلا ملك كريم) فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة ، من خواص الملائكة ، أو لأن جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه إلا الملك " (4)

1 - يوسف (آية : 31)

2 - يوسف (آية : 31)

3 - (لبوالسعود / تفسير أبي السعود) // (137/3)

4 - (البيضاوي / تفسير البيضاوي) // (ص 313-314)

المطلب الخامس : إصرار أعمى ، ومرادوة على الملاء ، ومحنة أخرى للنبي الكريم

انتهزت امرأة العزيز إعجاب النسوة بيوسف - ~~العليلة~~ - ، فأدلت بدلها ، وافصحت عن عذرها ، بل اتخذت إبانة العذر سبيلاً الى إعلان رغبتها من جديد ، مع صيغة تهديد ووعد وإنذار ، قال تعالى على لسان امرأة العزيز : (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ) (1)

" أي هذا الذي قطعتن أيديكن بسببه هو الذي جعلتني ضالّة في هواه ، ثم أفرت امرأة العزيز للنسوة بالمرادوة ، واستنامت إليهنّ في ذلك إذ قد علمت أنهنّ قد عذرنها (واستعصم) في طلب العصمة وتمسك بها وعصاني ، ثم جعلت تتوعده وهو يسمع لقولها (ولئن لم يفعل ...) واللام في قوله (ليسجنن) لام القسم ، واللام الأولى هي المؤذنة بمجيء القسم ، والنون هي الثقيلة والوقف عليها بشدّها ، (وليكوناً) نونه هي النون الخفيفة ، والوقف عليه بالألف وهي مثل قوله (لنسفعاً) (2) والساغرين ، الأذلاء الذين لحقهم الصغاراً " (3)

(قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) (4)

" لما توعده امرأة العزيز قال له النسوة : أطع مولاتك ، وافعل ما أمرتك به ، فلذلك قال : (مما يدعونني إليه) ، ووزن يدعون في هذه الآية " يفعلن " (5)

" السّجن جميعاً بكسر السين وفتحها " (6) " فمن فتح فعلى المصدر ، المعنى أن أسجنّ أحبّ إليّ ، ومن كسر فعل اسم المكان فيكون المعنى : نزول السّجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه ، أي من ركوب المعصية " (7)

" وإلا تصرف عني كيدهن (أي : إلا تعصمني) (أصب إليهن) أي : أمل إليهن . يقال صبا الى اللهو يصبو صببوا وصببوا وصباء : إذا مال ، ومعنى هذا الكلام : اللهم اصرف عني كيدهن ، ولذلك قال (فاستجاب له ربه) (8) (9)

قال تعالى : (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) (10)

1 - يوسف (آية : 32)

2 - العلق (آية : 15)

3 - (ابن عطية الأندلسي / المحرر الوجيز) / (241/3)

4 - يوسف (آية : 33)

5 - (ابن عطية الأندلسي / المحرر الوجيز) / (241/3)

6 - (الجزري / محمد بن محمد بن علي بن يوسف / تحبير التيسير في قراءات الأئمة المشرة) (دار الكتب العلمية) ط : 1 / 128

7 - (الزجاج / معاني القرآن واعرابه) / (108/3)

8 - يوسف (آية : 34)

9 - (ابن الجوزي / زاد المسير) / (169/4)

10 - يوسف (آية : 35)

حين عادت فراودته على مرأى ومسمع من بطانتها - عليه السلام - ولقيت منهم عوناً وسنداً كانت تأمل منه الإجابة فلم تجد منه غير صدأ واستعصام وتشبث بالعفة وأعراضٍ أيما أعراضٍ مع ظهور الآيات ووضوح البراهين التي تدين امرأة العزيز والنسوة اللواتي عدلنها من قبل ، كان لا بدّ من تدبيرٍ لإسكات الألسن ، أو للتقليل من تداول الحديث في أفواه الناس فكان السجن ، ربما لإبعاد النبي الكريم عن الساحة ، وربما ليتناسى الناس الحدث حتى يشغلهم غيره ، وربما لهذا كلّه معاً

" انّ زوج المرأة لما ظهر له براءة ساحة يوسف - عليه السلام - فلا جرم لم يتعرّض له ، فاحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل حتى تحمل يوسف على موافقتها على مرادها ، فلم يلتفت اليها ، فلما أيست منه احتالت في طريق آخر وقالت لزوجها : إنّ هذا العبد العبراني فضحني في الناس يقول لهم : اني راودته عن نفسه ، وأنا لا أقدر على اظهار عذري ، فامّا أن تأذن لي فأخرج واعتذر ، وأما أن تحبسه ، فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان ألا صلح حبسه حتى يسقط عن ألسنة الناس ذكر هذا الحديث ، وحتى تقل الفضيحة " (1)

"ليسجنّته حتى حين" (2) " هذه اللام في اليمين وفي كل من ضارع القول ، ألا ترى الى قوله : (وظنوا ما لهم من محيص) (3) (ولقد علموا لمن اشتراه) (4) دخلت هذه اللام و (ما) مع الظنّ (والعلم) لأنهما في معنى القول واليمين " (5)

1 - (الرازي / التفسير الكبير) / (132/18)

2 - يوسف (آية : 35)

3 - فصلت (آية : 48)

4 - البقرة (آية : 102)

5 - (الفراء / معاني القرآن) / (44/2)

المطلب السادس : اعتراف بالذنب ، وبراعة ليوسف - عليه السلام - : -

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) (1) فليقر الذين آمنوا عيناً ، وليهنأ المتقون فقد كفاهم الله القتال ، فان حبيج من عاداهم الله ، ولن يفلح قوم استعدوا أولياء الله .

" لما دنا فرَجَ يوسف رأى ملك مصر - الريان بن الوليد - رؤيا عجيبة هالته ، رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف ، فابتلعت العجاف السمان ، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها ، وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يُحسن عبارتها فقالوا : إنها منامات باطلة لا علم لنا بها (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) من القتل من صاحبي السجن انا أخبركم به عن عنده علم فابعثوني إليه لأسأله فأرسلوه الى يوسف فأناه" (2) (بعد أمة) بعد حين ، أي بعد نسيان " (3)

عبر لهم يوسف - عليه السلام - الرؤيا فطلبه اليه ليستخلصه لنفسه ، قال تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي يكدهنّ عليم) (4)

" لما رجع الساقى الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنته الملك وعرف ان الذي قاله كائن لا محالة ، فقال : ائتوني به حتى ابصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة ، فرجع الساقى الى يوسف وقال له : أحب الملك فذلك قوله تعالى " فلما جاءه الرسول " فأبى ان يخرج حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال) يعني يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعني الى سيدك وهو الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدباً واحتراماً " (5)

(قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه) (6) " قال : استئناف مبني على السؤال ، قال الملك إثر ما بلغه الرسول الخبر وأحضرهن (ما خطبكن) أي شأنكن ، واصله الامر العظيم الذي يحق لعظمته أن يُكثر فيه التخاطب ويخطب له (إذ راودتن يوسف) وخادعتته (عن نفسه) ورغبتته في طاعة امرأة العزيز هل وجدتن فيه ميلاً إليكن ؟ (قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) (7)

1 - الحج (آية : 38) - 2 - (النسفي / مدارك التنزيل وحقائق التأويل) // (223/2-224)

3 - (ابن المبارك البيهقي / غريب القرآن) // (ص 184) - 4 - يوسف (آية 50)

5 - (الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل) // (23/3) - 6 - يوسف (آية 51)

7 - يوسف (آية 51)

تتزيها وتعجباً من نزاهته - عليه السلام - وعفته ، بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتكثير وزيادته (من) وجوابهن عليه ينطبق لتعجبهن عن نزاهته بسبب التعجب من قدرة الله تعالى على خلق عفيف مثله ، ليكون التعجب منه على سبيل الكناية فيكون أبلغ وأبلغ ، ثم نفسيهن العلم مطلقاً وطرفاً أي طرف وهم من سوء أي سوء فضلاً عن شهود الميل معهن ، وهو من الحسن بمكان " (1)

" قالت امرأة العزيز: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين " (2)

" حصحص الحق : أي برز وتبين ، واشتقاقه في اللغة من الحصّة، أي بانث حصّة الحق ، وجهته من جهة الباطل " (3)

" ظهر الحق بعد خفائه ، وانحسرت رغبة الباطل عن محضه ، فهي تقول : ان الحق في هذه القضية كان في رأي الذين بلغهم موزع التبعة بيننا معشر النسوة وبين يوسف ، لكل منا حصّة بقدر ما عرض فيها من شبهة ، والآن : قد ظهر الحق في جانب واحد لا خفاء فيه ولا شبهة عليه ، فان كان عواذلي شهن بنفي السوء عنه وهي شهادة نقي ، فشهادتي على نفسي شهادة إثبات ، أنا راودته عن نفسه ، وهو لم يراودني بل استعصم وأعرض عني ، وانه لمن الصادقين فيما اتهمني به من قبل ، وحمله أدبه الأعلى ، ووفائه الأسمى لمن أكرم مثواه وأحسن إليه على السكوت عنه الى الآن ، ونحن جزيناها بالسيئة على الإحسان ، وقد أقرّ الخصم وارتفع النزاع " (4)

قال تعالى : (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) (6)

اختلف اهل التفسير فيمن قيلت على لسانه هذه الآية ، فاختر الطبري أنها قيلت على لسان يوسف - عليه السلام - " (7) واختار الزمخشري كذلك أيضاً " كفى بالمعنى دليلاً فائداً الى ان يجعل الآية على لسان يوسف - عليه السلام - (8) ونحوه قوله : (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) (9) أما ابن عطية فاختر انه من كلام المرأة :

2 - (الأوسي / روح المعاني) (259/12)

3 - يوسف (آية : 51)

4 - (الزجاج / معاني القرآن) (115/3)

5 - (رضا / المنار) (322-323/12)

6 - يوسف (آية : 52)

7 - (الطبري / جامع البيان) (238/12)

8 - (الزمخشري / الكشاف) (328/2)

9 - الشعراء (آية : 35)

" هذه الآية من قول المرأة وكلامها متصل ، أي : قولي هذا وإقرارى ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى غيبته بأن اكذب عليه أو ارميه بذنب هو برىء منه ، والتقدير : على هذا التأويل وإقرارى ليعلم أنى لم أخنه وان الله لا يهذى " (1)

بعد اطلاع الباحثة على أقوال أهل التفسير فى ذلك الأمر رأت ان هذا القول قد يكون منسوباً ليوسف - عليه السلام - أو للمرأة ، وأن هناك حرجاً فى تقديم أحدهما على الآخر وإنما المقام هنا مقام استئناس .

والاستئناس يميل نحو نسبة هذا الكلام الى المرأة لا الى نبي الله الكريم عليه السلام الأمرين : أحدهما : ان هذا الحوار والتخاطب كان فى مجلس مساعلة عقده الملك للنسوة ، ولم يكن يوسف - عليه السلام - إذ ذاك معهن ، بدليل قول الملك بعد ذلك (انتونى به) (2)

ثانيهما : (ان المتهمه هى المرأة والمقام مقام دفاع عن النفس والمتهم هو الذى يدفع عن نفسه ، اما البرىء أصلاً فهو ليس محل تهمة خاصة بعدما تكشف ما كان خافياً لأعوام طويلة ، فلماذا يدفع عن نفسه ؟ وما حاجته الى ذلك ؟ انما المرأة هى من تدفع عن نفسها وتتنفى وقوع الخيانة منها ، والله وحده اعلم بالصواب .

1 - (ابن عطية / المحرر الوجيز) / (254/3)

2 - يوسف (آية : 55)

المطلب السابع : عبر من شخصية امرأة العزيز ونسوة المدينة : -

هي ثمار يانعة مباركة طيبة تحملها أشجار الصلاح والفضل والتقوى ، في بستان النبوة ، تربتها العصمة ، وسقاؤها الطهارة ، ونسيمها نفحات من جنان الخلد التي وعد الله بها عباده الأخيار المخلصين ، عظات جمّة وعبر قيّمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

1 - العبرة الأولى : البعد عن دين الله يجعل المرء عبداً لشهوته ولذاته يشقى فيهلك نفسه وتستعيده ذاته فتريده في الهاوية بدلاً من أن يسيرها في سبيل الله فتسير هادئة مطمئنة إلى جنب الله فينجو بها إلى شاطئ الأمن والهداية والمغفرة .

2 - العبرة الثانية : الكذب مآله إلى الإندثار -

مهما بلغ سلطان الكاذب ومهما علا جبروته ، فسيأتيه الله من حيث لم يحتسب ويقذف في قلبه الرعب ، ويظهر زيفه وكذبه ، قال تعالى : (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) (1) .
" الدرس المستفاد لا يتغير ، أن العاقبة الحميدة للأمانة ، والعاقبة الذليلة للخيانة " (2)

وهكذا يتجلى العنصر الانساني في القصة ، التي لم تسق لمجرد الفن إنما سيقّت للعبرة والعظة ، وسيقت لتعالج قضية العقيدة والدعوة ، ويرسم التعبير الفني فيها خفقات المشاعر ، وانتفاضات الوجدان رسماً رشيقاً رفيعاً شفيفاً ، في واقعة كاملة تتناسق فيها جميع المؤثرات وجميع الواقعيات في مثل هذه النفوس ، في ظل بيئتها ، ومؤثرات هذه البيئة كذلك " (3)

3 - العبرة الثالثة : الأراجيف تنخر أساس المجتمع : -

وتهدم أركانه ، فبطانة امرأة العزيز من نسوة المدينة ، لم تلجأ إلى النصح ، ولم تعمل على رأب الصدع وإصلاح الخلل ، وإنما مكرن واشعن أولاً ، ثم راودن يوسف عليه السلام - وكن عوناً لامرأة العزيز عليه ، مع أنه قد سبق في علمهن سوء قصدتها وبراءة ساحته .

"وهكذا شاع الخبر وانتشر ، وذلك دأب ما يجري في القصور والصالونات - عندما لا يوجد تدبير عندهم - أن رائحة الفضائح لا تزال عابقةً فيها " (4)

1 - يوسف (آية : 52)

2 - (حوى / الأساس في التفسير) / (2666/5)

3 - (قطب / الظلال) / (1996/4)

4 - (رضا / المنار) / (2648/12)

4 - العبرة الرابعة : في الآيات الكريمة دليل على القياس والاعتبار ، وذلك في قول الله تعالى على لسان الشاهد من أهل امرأة العزيز : (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (1)

ومن هنا قالوا : " إن ذلك من باب اعتبار الأمانة ، ولذلك احتج بالآية من يرى الحكم من العلماء بالأمارات والعلامات فيما لا تحضره البيّنات كاللقطة ، والسرقه والوديعه . ومعاهد الحيطان . والسقوف وغير ذلك " (2)

5 - العبرة الخامسة : العصمة والعفاف فضل يؤتاه الله من يشاء من عباده ، فقد أعرض يوسف - عليه السلام - عن الفاحشة خوفاً من الله ، وحفظاً لجنب عزيز مصر ، الذي آواه وأكرمه ، فأبدله الله إحساناً ، وصرف عنه السوء والفحشاء ، وجعله من عباده المخلصين ، عن ابي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله : إمام عدل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ، ففاضت عيناه " (3)

6 - العبرة السادسة : المجاهرة بالمعصية ، وإصرار على الفاحشة مرض قاتل ، وهذا ما كان من امرأة العزيز حين دعت أولئك النسوة واعتدت لهن متكئا وأتتهن السكاكين ، وطلبت إليه - عليه السلام - أن يخرج عليهن فلما خرج عليهن أكبرنه لجماله وهيئته ، وأثنين على حسنه البالغ ، قالت حينها " فذلكن الذي لمتنني فيه " (4) تقول هذا معتذرة إليهن بأن هذا حقيق أن يحب لجماله وكماله ، ولا يُلام من يحب مثله ، وهذا منطقها ، وهو منطق من لا يحجزها دين ولا عقل (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) (5) أي بالغ في الامتناع والتحفظ ، ولا يزال مستزيداً منهما ، ثم قالت تتوعدة : " ولئن لم يفعل ما أمره " (5) من أعطاني مرادي منه (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) (6) أي من المذللين المهانين مع السراق والأفك والأباق في السجن ، كما سرق قلبي وابق مني وسفك دمي بالفراق ، فلا يهنأ له ثم طعام أو شراب أو نوم ، كما منعني هنا كل ذلك ومن لم يرض

1 - يوسف (آية : 27)

2 - (الأوسى / روح المعاني) / (223/12)

3 - (البخاري / صحيح البخاري) / (كتاب الزكاة / باب الصدقة باليمين / حديث رقم : 1423) (ج 1 / 142-143)

4 - يوسف (آية : 32)

6 - يوسف (آية : 32)

5 - يوسف (آية : 32)

بمثلي على السرير أميراً فليكن في السجن على الحصار حسيراً⁽¹⁾ هنا لا يسع المرء إلا أن يسجد شكراً لله أن هداه لهذا الدين ، وما كان ليهدني لو لا أن هداه الله ، هذا الدين: دين العفة ، دين الكرامة والاعتدال ، والاحتساب والتوكل ، والتعلق بما عند الله ، فما عند الله خير للأبرار ، هذا اليقين الذي يملأ على المؤمن قلبه وجوانحه فلا يشغله عنه عرض دنيوي مهما بلغ حسنه وعظمت هيئته ، فماله ولهذه الخرق البالية فكل ما فوق التراب تراب إنه يجد من نفسه صداً لوساوس الشيطان ، ودفعاً لدخائله ، وتثبيتاً للفؤاد ، وتحصيناً لجهاز المناعة الرباني الكريم

وهكذا يُسدل الستار على قصة امرأة العزيز ، وبطانتها من نسوة المدينة مع نبي الله

يوسف - ~~السنبل~~ -

الفصل الرابع

الإسرائيليات في قصص النساء

المبحث الأول : دوافع دس الإسرائيليات .

المبحث الثاني : الإسرائيليات وكيفية دخولها .

المبحث الثالث : كيفية التعامل مع الإسرائيليات .

المبحث الرابع : نماذج من الإسرائيليات والردود عليها .

المبحث الخامس : دروس وعبر من وجود الإسرائيليات

الإسرائيليات في قصص النساء

إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (1) قد سمّي أولئك القوم بني إسرائيل نسبة إلى ذلك النبي الكريم ، وقد سميت الإسرائيليات بهذا الاسم نسبة إليهم أي كأنها مختصة بهم ملتصقة فيهم ، والإسرائيليات في كتب التفسير بالمأثور كثيرة ، لا يكاد يسلم منها جزء ولو يسير من هذه الكتب . يقول الذهبي : " ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهر فيه ، إلا أنا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل ، فنريد به ما كان يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير ، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية " (2) .

المبحث الأول : دوافع دس الإسرائيليات :-

تشغل الإسرائيليات حيزا كبيرا من تراث أئمتنا التفسيري فمطالعة كتاب ابن جرير الطبري (جامع البيان) أو (الدر المنثور) للسيوطي أو (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي أو (المحرر الوجيز) لابن عطية . يكشف بوضوح عن حمم الإسرائيليات التي غرزت التفاسير القيمة التي هي زاد الأمة في الهدى والرشاد بعد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ

الدافع الأول : الحقد والكراهية للإسلام واهله :-

إن بني إسرائيل قد قرأوا الكتاب الأول وعرفوا ما فيه من التبشير برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ) (3) " الضمير لمحمد ﷺ: أي يعرفون نبوته ، وقوله (ليكنتمون الحق) نبوة محمد ﷺ " (4) يقول د. البوطي عن أهل يثرب حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام : " وكان مما مهد أفئدتهم لقبول الإسلام ، إن اليهود كانوا معهم في بلادهم ، ومعلوم أنهم أهل كتاب وعلم ، فكان إذا وقع بينهم وبين اليهود نفرة أو قتال ، قال لهم اليهود (إن نبيا مبعوثا الآن قد اطل زمانه ، سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد ورم ، فلما كلم الرسول هؤلاء النفر ودعاهم إلى الإسلام نظر بعضهم إلى بعض وقالوا : تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقكم إليه " (5)

1 - الشوكاني /فتح القدير ((73/1))

2 - (الذهبي /محمد حسين ((التفسير والمفسرون)) (دار الكتب العلمية /ط:1) ((ج1/ص 165)

3 - (البقرة : 146)

4 - (الشوكاني /فتح القدير ((154/1))

5 - (البوطي /سعيد رمضان)) (فته السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة)

" قال بعضهم لبعض : لا يسبقون إليهم يهود ، فأمنوا وصدقوا " (1)

فمن أين للخزرج أن يعلمون أمرا كهذا وهم الوثنيون الذين لا علم لهم بالكتاب السابق ؟ يقول ابن خلدون في مقدمته " وقد جمع المتقدمون في ذلك (التفسير) و أدعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسحيق والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب و لا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والامية " (2)

الدافع الثاني : الحسد : وقد تعود منه رسول الله صلى عليه وسلم (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (3) وهو مرض قاتل وداء خبيث لا تنطوي عليه الا نفس شريرة لا تعرف الا الباطل طريقا ، ان بني إسرائيل كانوا يعرفون أن محمد صلى الله عليه وسلم نبي مبعوث مرسل وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم وأشارت إلى ذلك توراتهم المحرفة كذلك أخبارهم لاهل يثرب ذلك الأخبار الذي كون لديهم شبه قاعدة عن أمر الإسلام ، وقد أراد هؤلاء أن يكون النبي المبعوث بين ظهرانيهم لا من أولئك الكون الأميين ، لكن إرادة الله كانت غير ذلك فلم يخضعوا لها ولم يذعنوا بل عتوا وتكبروا وتجبروا تقول صفية بنت حيي بن أخطب " كنت أحب ولد أبي إلي ، والى عمي أبي ياسر ، لم ألقاهما قط مع ولد لهما الا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ ونزل قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي ، حيي بن أخطب ، وعمي أبو ياسر بن أخطب مفلسيين قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت : فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهويينا ، قالت فهششت اليهما كما كنت اصنع فوالله ما التفت الي واحد منهما ، مع ما بهما من الغم ، قالت : و سمعت عمي أبا ياسر وهم يقول حيي بن أخطب : اهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيب " (4)

الدافع الثالث : اتباع الهوى :- اتباع الهوى من المهلكات ، ذلك أن الهوى من عند الشيطان ، والنفس أمارة بالسوء تنقلب وساوس الشيطان و ترانيمه ، والكياسة قهر النفس وكبح جماحها وتعبيدها لخالقها في صغائر الأمور قبل كبائرهما .

1 - (العسقلاني /فتح الباري)// كتاب مناقب الأنصار /باب وفود الأنصار // (245/7)

2 - (ابن خلدون)//(عبدالرحمن ابن محمد الحضرمي المغزي)//مقدمة ابن خلدون /دار احياء التراث العربي / ط 1 // (ج1/ص 19)

3 - (الفلق : 5)

4- (ابن هشام /ابومحمد عبدالملك المعافري)//السيرة النبوية /مكتبة الإيمان (ط 1 // (108/1)

" حدث انس بن عبد الله بن سلام بلغة مقدم النبي ﷺ المدينة فاتاه يسأله عن أشياء فقال : أني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول اشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : اخبرني به جبريل آنفا ، قال ابن سلام : ذلك عدو اليهود من الملائكة . قال اما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب . اما أول الطعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، واما الولد فاما إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، قال : اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ، قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فاسألهم قبل ان يعلموا بإسلامي . فجاءت اليهود ، فقال النبي ﷺ اي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا : خيرنا وبين خيرنا وافضلنا وابن أفضلنا ، فقال ﷺ : ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : أعاده الله من ذلك ، فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم عبد الله فقال : اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . قالوا : شرنا وابن شرنا وتتقصوه ، قال : هذا ما كنت أخاف يا رسول الله " (1)

المبحث الثاني : كيفية دخول الإسرائيليات .

" لقد الإسرائيليات في التفسير منذ عصر الصحابة وبعده في عصر التابعين - رضوان الله عليهم - " (2)

وكان لدخول الإسرائيليات كيفية عديدة ، يقول البغدادي : -

وقد دخل في الإسلام قوم خلصت قلوبهم من ادران التقليد والعصبية وصدفت نفوسهم بما يدعوهم اليه رسول الإيمان ، واطمأننت جوارحهم الى أمانة هذا الرسول الكريم فعضوا بما دعاهم اليه بالنواجد ، واستمسكوا منه بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها " (3) وقد كانت نسبة الروايات التي ادخلها حسن النوايا قليلة متواضعة ، اما النسبة الكبرى فقد كان دخولها عن طريق جماعات مأكرة شريرة " على الأخص اليهودية تظاهر بالدخول في الدين الجديد وهم يضمرون في أنفسهم الكيد والمكر والخديعة ، ويبيتون الفرصة للانقضاض على هذا الدين الذي بسط لسلطانه على رقعة الأرض المعروفة انذاك " (4)

1 - (البخاري /صحيح البخاري)/كتاب : مناقب الأنصار /باب : 51 بدون ترجمة /((305/7)/حديث رقم (3938) ومعه

فتح الباري

2 - (قطب /الذلال)/(541/1)

3 - (البغدادي /عبدالقاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني التميمي)/(الفرق بين الفرق)/تحقيق : محمد محي الدين

عبدالحميد / (دار المعرفة /ط:1)/(ص 4)

4 - (البغدادي /الفرق بين الفرق /ص 5

المطلب الأول : ما دخل بحسن قصد ونية :

" هناك منبع من منابع التفسير استمد منه المفسرون كثيرا ذلك ان شغف العقول وميلها للاستقصاء دعاها عند سماع كثير من آيات القرآن ان تتسائل عما حولها ، فإذا سمعوا قصة كلب أصحاب الكهف قالوا : ما كان لونه ؟ واذا سمعوا قوله " واضربوه ببعضها " (1) تساءلوا ما ذلك البعض وما قدر سفينة نوح " (2)

عن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي هريرة انه قال : " خرجت الى الطور فلقيت كعب الأحمار ، فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما حدثته ان قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه اهبط من الجنة ، وفيه تيب عليه وفيه مات ... وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا وأعطاه إياه فقرأ كعب التوراة فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم " (3)

المطلب الثاني : ما دخل بسوء قصد نيه :

من تلك الإسرائيليات التي دخلت بسوء قصد ونية من الذبيح من أبناء إبراهيم وخليل الله - عليه السلام ادعت تلك الروايات ان الذبيح هو اسحق والد يعقوب - عليه السلام - وما أراد بذلك بني إسرائيل حيازة الشرف والأفضلية لانفسهم ، قال تعالى : (فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَتَادِيئَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) (4) " عن محمد بن كعب القرظي : انه حدثهم انه ذكر لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر : ان هذا الشيء ما كنت فيه واني لاراه كما هو ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام ، كان يهوديا فاسلم فحسن إسلامه ، وكان يرى انه من علماء يهود ، فسأله عمر بن عبد العزيز ، فقال محمد بن كعب ، وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر اي ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وان يهود (لتعلم بذلك) ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره بما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق أبوهم " (5)

1- (البقرة : 73)

2- (امين / احمد) فجر الاسلام / (ط 1 / 241)

3- (مالك / الامام ابن انس) / كتاب الموطأ / تحقيق : نجيب ماجري / (المكتبة العصرية / ط: 1) كتاب الجمعة / باب : ما جاء في الساعة ص 66- 67) / حديث رقم (243)

4- (الصافات : 103 - 107)

5- (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) / (7 ، 29 ، 30)

وغرض بني إسرائيل من ذلك التفضيل ، وهو مردود عليهم بنص القرآن الكريم كما أنه تعالى في صورة الصفات بعد انتهاء الحديث عن وحي الله لإبراهيم - عليه السلام - بذبج ولده ، وامتناله وولده لوحي ربّه ، وثناء الله عليه تأتي البشرى بإسحاق - عليه السلام - قال تعالى : " وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين " (1) فكيف يُعقل أن يؤمر بذبجه ويهم بذلك ، ثم بعد الفداء يبشر به ؟ بل إن امر الذبج كان لإسماعيل ، فلما أطاع هو وولده الأمر جزاهما الله خير الجزاء ، قال تعالى (إنا كذلك نجزي المحسنين) (2) فكان التبشير بإسحاق من ضمن هذا الجزاء .

المبحث الثالث : كيفية التعامل مع الإسرائيليات : -

تعايش المسلمون الأوائل الذين تنزل الوحي بين ظهرانيهم والرسول ﷺ فيهم مع بني إسرائيل وقد كان ثمره هذا التعايش والاختلاط أن يتحدث الناس مع بعضهم وان يقص أهل الكتاب بعض ما عندهم من كتابهم الأول ، وأمام هذا الواقع كان لا بد من تحديد منهج لذلك التعايش والتعامل ولو ترك الأمر دون إيانة وتحديد لاختم كل شيء ولما استطاع الناس تمييز السمين من الغث ، فالإسرائيليات أقسام ثلاثة : -

القسم الأول : ما يُعلم صحته بأن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً صحيحاً ، وذلك كتعيين صاحب موسى - عليه السلام - بأنه الخضر فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري عن سعيد بن جبير قال : " انا لعند ابن عباس فرجعاً فوجدا حضوراً ، فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال : هل أرضي من سلام ؟ " (4) فمثل هذا الخبر نقله عن بني إسرائيل لأنه قد صح في شريعتنا ودليل ذلك حديث رسول الله ﷺ " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " (5) .

فالمعنى : حدثوا عن بني إسرائيل مما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم " (6)

القسم الثاني : ما يعلم كذبه يُناقض ما جاء في شرعنا وهذا القسم لا يصح قبوله ولا تصح روايته مثال ذلك تفسير قول الله تعالى : " فازلها الشيطان عنها فأخرجها " (7)

1- (الصفات : 112)

2- (الصفات : 110)

3- (البخاري /صحيح البخاري) /كتاب التفسير /باب : واذا قال موسى لناه (460/8) حديث رقم (4726)

4- (البخاري /صحيح البخاري ومعه فتح الباري) /كتاب احاديث الأنبياء /باب : ما ذكر عن بني اسرائيل (542/6) / حديث رقم (3461)

5- (ابن حجر /فتح الباري) (6 - 546)

6- (البقرة : 36)

لما اسكن الله آدم وذريته الجنة ونهاه عن الشجرة

قال : يا حواء أنت التي غررت عبدي ، فانك لا تحملين حملاً إلا حملته كرهماً فان أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً ...) وهذا مردود لكذب ما جاء فيه " ولعل هذا هو المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيّه ﷺ احدث تقرؤنه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل إليكم " (1)

القسم الثالث : هو المسكوت عنه ، لا هو من قبيل الأول ، ولا هو من قبيل الثاني ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، فقد يكون حقاً فنكذبه وقد يكون باطلاً فنصدّه " وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تقود إلى أمر ديني ولهذا ، يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً ، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت " (2)

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية ويفسرها بالعربية لأهل الإسلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " (3)

1 - (البخاري / صحيح البخاري ومعه فتح الباري كتاب الاعتصام بالقرآن والسنة / باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء (3851/13) / حديث رقم (3363)

2 - (الذهبي / التفسير والمفسرون) / (179/1 - 180)

3 - (البخاري / صحيح البخاري ومعه فتح الباري / كتاب التفسير / باب : قولوا آمنا بالله) / (191/8) / حديث رقم (4485)

المبحث الخامس : دروس وعظات مستفادة من ذكر الإسرائيليات : -

تمهيد :

التفسير علمٌ شريفٌ ، حقيقٌ بالتدبر والدرس ، جديرٌ بالفهم والوعي، ذلك أنه السبيل إلى فهم كتاب الله والتزام شرعه .

قال الزركشي: " التفسير : علم يُفهم به كتاب الله، المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم - وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللّغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمثسوخ " (1)

والحاجة إليه ماسةٌ، لا غنى لمسلم عنها، يقول السيوطي : -

" أما وجه الحاجة إليه، فاعلم أنّ القرآن، إنّما نزل بلسانٍ عربيٍّ، في زمن أفصح العرب ، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه ، أما دقائق باطنه، فإنما كان يظهر لهم، بعد البحث والنظر، مع سؤالهم النبي -صلى الله عليه وسلم في الأكثر ، كسؤالهم لما نزل قوله : (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) (2) فقالوا : (وأينا لا يظلم نفسه ؟ ففسره النبي -صلى الله عليه وسلم بالشرك ، واستدلّ عليه بقوله) (3) : " إنّ الشرك لظلمٌ عظيمٌ " (4) يقول السيوطي : -

" ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادةً على ذلك، ممّا لم يحتاجوا إليه، من أحكام الظاهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللّغة، بغير تعلّم ، فنحن أشدُّ الناس احتياجاً إلى التفسير ، ومعلومٌ أنّ تفسير بعضه، يكون من قبل الألفاظ الوجيهة ، وكشف معانيها ، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات، على بعضٍ ، والقرآن تفسيره على وجه القطع، لا يُعلم إلا في آياتٍ قلّاتٍ ، فالعلم بالمراد ، يستنبط بإماراتٍ ودلائل ، والحكمة فيه، أنّ الله تعالى، أراد أن يتفكّر عباده، في كتابه ، فلم يأمر نبيّه، بالتصميم على المراد في جميع آياته " (5)

إلى جانب أنّ التفسير، ليس علماً سهلاً المنال، وإلى جانب مساس الحاجة إليه، وشدة الضرورة لمعرفة، فهناك الحرج والضيق، في حمله وتبليغه إلى الناس " إنّنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً " (6)

- 1 - (الزركشي /الإمام : بدر الدين محمد بن عبدالله)// (البرهان في علوم القرآن) / تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم / (دار المعرفة / ط: 2) // (13/1)
- 2 - الأنعام (آية : 82)
- 3 - (البخاري /صحيح البخاري) / حديث رقم : 4629 / كتاب : التفسير / باب : ولم يلبسوا إيمانهم بظلم / (5/230)
- 4 - لقمان (آية : 13) .
- 5 - (السيوطي /شيخ الاسلام جلال الدين عبدالرحمن) // (الإتيان في علوم القرآن)// (دار المعرفة / ط: 4) // (223/2)
- 6 - المزمّل (آية : 5)

لذلك فحمله جهاداً، والإنتمان عليه رباطٌ ، وذلك أن أكثر الناس، يتبعون شهواتهم ، ويرغبون عن أحكام القرآن، لأن في تلك الأحكام، تعطيلاً لمصالحهم ، وتحجيماً لسطوتهم ، قال تعالى :

" وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " (1)

1 - العبرة الأولى : الحفاظ على السنة : -

ذلك أن السنة تبين للكتاب، وتوضح لمعانيه وألفاظه ، وتفصيل لمراميها وأغراضه ، قال تعالى " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " (2)

" أنت يا رسول الله، أنزل الله إليك الذكر القرآن لتبين للناس، ما أنزل إليهم ، وأنت أدرى الناس به ، وأحرص الناس عليه، وعلى إتباع الناس له ، فأنزله إليك، لتبينه للناس، ولعلهم يتفكرون ويهتدون " (3)

والسنة الصحيحة الماثورة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مغنية عن سواها، من الأخبار المكذوبة، ففيها الزاد والعدة، غير محوجة لغيرها، وإن تطاولت المدة .

أخرج الترمذي عن العرياض بن سارية - رضي الله عنه مرفوعاً :- " وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظةً بليغة، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع، فأوصنا . قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد ، وإِنَّه من يعش منكم، فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة " (4) " وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي بعد صلاة الصبح، (موعظة) من الوعظ ، وهو التصح، والتذكير بالعواقب، وتووينها للتعظيم ، أي موعظة جليلة، (وجلست) أي: خافت (منها) بأي من أجلها، ويصح أن تكون لابتداء الغاية، (القلوب) وكان المقام للتخويف، فأتى بذلك لمناسبته، (وذرفت) بفتح المعجمة والراء، من باب ضرب سالت، (منها العيون) أي دموعها ، وأخر هذا عمّا قبله، لأنه إنما ينشأ عنه لذلك غالباً، يزيد مبالغته (صلى الله عليه وسلم) في تخويفهم، وتحذيرهم، على ما كانوا يألفون منه قبل ، فظنوا أن ذلك لقرب مفارقتهم لهم، إذ المودع يستقصي، بما لا يستقصي غيره، في القول والفعل ، ففيه جواز تحكيم القرائن، والاعتماد عليها، في بعض الأحيان ، لأنهم فهموا توديعه، بقرينة إيبلاغه في الموعظة، أكثر من العادة.

1 - يوسف (آية : 103)

2 - النحل (آية : 44)

3 - (حجازي / محمد محمود) / (التفسير الواضح) / (دار الجيل / ط : 4) / (44/14)

4 - (الترمذي / الجامع الصحيح) قال عنه : حديث حسن صحيح رقم : 2816) باب : الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (150/4)

(فأوصنا) : أي وصية جامعة كافية ، (قال : أوصيكم بتقوى الله) ، جمع في كل هذاهما يحتاج إليه من أمور الآخرة ... (فعليكم) إلزموا التمسك بسنتي ، (أي : طريقتي ، وسيرتي القويمية ، التي أنا عليها ، مما فصلته لكم في الأحكام الاعتقادية والعملية الواجبة ، والمندوبة وغيرها . " (1)

2 - العبرة الثانية : الحذر واليقظة : -

فإن آفة الأديان من جهل الدعاة ، وكذلك فإن المسلمين قد أصيبوا من جهة غفلتهم ، شيئاً كثيراً ، خاصة في العصور التي تراجع فيها المسلمون القهقري ، وشغلهم شؤون الدنيا والتنافس فيها ، وما جرّ ذلك من صراعات مذهبية وطائفية وسياسية ، شغلهم هذا عن طلب العلم الصحيح وعن إخلاص النوايا في ذلك ، فغلب الجهل ، واستحكمت الفتن ، ووجدت الصراعات من يغذيها ، ويحنو عليها .

من هذا المدخل ، دخلت الإسرائيليات ، إلى علم التفسير ، فوجدت لها رواجاً كبيراً ، وسوقاً رابحة ، ولقد أخبر الله سبحانه عن فرعون فقال : " فاستخفّ قومه فأطاعوه " (2) وكذلك استخف أهل الضلال والفسق بأبناء أمتهم فتابعوهم وصدقوا أكاذيبهم وأباطيلهم ، التي لا علاقة بينها وبين العلم الصحيح ، وإنما كان مدار كلامهم على الوعظ ، والقصاص المكذوب .

" فقد تولّى مهمّة الوعظ ، قصاص أكثرهم لا يخافون الله ، ولا يهمهم سوى أن يبكي الناس في مجالسهم ، وأن يتواجدوا ، وأن يعجبوا بما يقولون ، فكانوا يضعون القصاص المكذوب ، ينسبونها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم " (3) " وكانوا يميلون وجوه العوام إليهم ، يستترون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العوام ، القعود عند القاص ، مما كان حديثه عجبياً ، خارجاً عن فطر العقول ، أو كان رقيقاً ، يحزن القلوب ، يستغزر العيون ، فإذا ذكر الجنة قال : (فيها الحوراء من مسكٍ أو زعفران ، ويولى الله تعالى وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء ، فيه سبعون ألف مقصورة ، وفي كل مقصورة سبعون ألف قبة ، في كل قبة سبعون ألف فراش ، على كل فراش سبعون ألف كذا ، فلا يزال في سبعين ألف كذا ، هو سبعين ألفاً ، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ، ولا

- (الصديقي / محمد بن علان الشافعي الأشقري المكي) (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) // بتحقيق :

شيخ : زكريا نعيّرات / (دار الكتب العلمية (بيروت لبنان) // ط : 1 // (307/1 - 308)

- الزخرف (آية 54)

- (السباعي / د. مصطفى) (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) (المكتب الإسلامي / ط : 2 // ص 85 .

دونها " (1)

ولو كان لدى هؤلاء الذين كثر شغفهم بأمثال هذا القصاص المكذوب، أدنى مراتب اليقظة، ولما انساقوا إلى مثل هذه الترهات، ولما استرسلوا في مثل تلك الجلسات، التي تعطل دور العقل، وتضيق لباب الأوقات، فيما لا يُجدي نفعاً، بل يورث الركون، والكسل والسلبية، من هنا، كان لا بد من أن يكون المسلم يقظاً متنبهاً، حريصاً على كتاب الله، وعلى سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وقافاً عند الروايات الصحيحة، معرضاً عن الباطل وأهله .

3 - الضبط والتمييز : إذ أن اليقظة، تنتبه إلى ما يسمع ويقرأ، ويقع تحت اليد من الروايات، أما الضبط، فهو ثمرة اليقظة، والتمييز مقياسٌ لمدى جدية القارئ والباحث، في شأن تلك الروايات، ومع أن الباحث المنتبِع لذكر الإسرائيليات، في تراث أمتنا التفسيرية، تصبح لديه ملكة بعد فترة من البحث، يعرف بواسطتها أن هذه من الإسرائيليات، أو من غيرها، ذلك أن للإسرائيليات سمة خاصة، تدل عليها، ولكن لا ينبغي للباحث أن يكتفي باجتهاده، فيحكم من خلاله على نوع الرواية، وإنما ينبغي له، أن يعود إلى كتب الحديث، وكتب تراجم الرجال، فيطلع على أحوال الرواة، وأقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم، حتى يكون العمل مكتملاً واضحاً، وحتى يرد الرواية رداً قوياً، فيثبت علتها النقلية، ويثبت كذلك، تهافت تلك الرواية، وكذبها من الناحية العقلية .

" إن المراد من علم الحديث، تحقيق معاني المتن، وتحقيق علم الإسناد، والمعلل، والعلّة: عبارة عن معنى في الحديث خفي، يقتضي ضعف الحديث، مع أن ظاهره السلامة منها، وتكون العلة تارة في المتن، وتارة في الإسناد، وليس المراد من هذا العلم، مجرد السماع، ولا الإسماع، ولا الكتابة، بل الاعتناء بتحقيقه، والبحث عن خفي معاني المتن والأسانيد، والفكر في ذلك، ودوام الاعتناء به، ومراجعة أهل المعرفة به، ومطالعة كتب أهل التحقيق فيه، وتقديد ما حصل من نفاثته، وغيرها، فيحفظها الطالب بقلبه، ويقيد بها بالكتابة، ثم يديم مطالعة ما كتبه، ويتحرى التحقيق فيما يكتبه، ويثبت فيه، فإنه فيما بعد ذلك، يصير معتمداً عليه، ويذاكر بمحفوظاته من ذلك، من يشتغل بهذا الفن، سواء كان مثله في المرتبة، أو فوقه، أو تحته، فإن بالمذاكرة، يثبت المحفوظ ويتحرر، ويتأكد ويتحرر، ويزداد بحسب كثرة المذاكر، ومذاكرة حاذق في الفن ساعة، أنفع من المطالعة والحفظ ساعات، بل أياماً " (2)

1 - (ابن قتيبة الدينوري) (كتاب : تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث) (مكتبة المتنبى ط: 3) ص 187 .

2 - (القاسمي / محمد جمال الدين) (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث) (دار الكتب العلمية / ط: 1) /

4 - العبرة الرابعة : الحرص على سلامة المصدر وعذوبة المنهل :-

فبعد الضبط والتمييز ، تتضح السبيل ، وتزال الغشاوة عن العيون ، فيظهر الصحيح السليم الموثوق به ، من الموضوع المكذوب، الذي لا يلتفت إليه ، والنّاظر فيما جاءت به الإسرائيليات ، من أحاديث وأقاويل ، والمتتبع لتلك الأحاديث والأقاويل ، يعلم يقيناً، ضرورة نبذ الروايات السقيمة ، والتمسك بالصحيح، وحثمية التثبت، من المسموع والمقروء ، فإنّ التصير بشيء من هذا، يقود إلى الهلكة ويحمل على الخلل، في النواحي العقائدية، ممّا يورث الانحراف في الجوانب التشريعية ، وكذلك الأخلاقية ، فينقضّ البناء جملةً واحدةً .

ففي تفسير قول الله تعالى " ولقد همّمت به وهمّ بها، لولا أن رأى برهان ربّه " (1) لدى الطبري روايات كثيرة تناقض الصواب ، ولا تتفق بحال من الأحوال مع الحقيقة .

" عن ابن أبي مليكة قال : شهدت ابن عباس، سئل عن همّ يوسف، ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخائن " (2)

كيف يتفق هذا الهمّ من يوسف - عليه السلام - مع عصمة الأنبياء ؟ هذا خلل في العقيدة ، كما أنه هدم للجانب الأخلاقي عند المجتمع، كما أنّ هذا يُعطي الناشئة بُعداً سيئاً للتفكير ، فيوهمون أنفسهم بالتوبة والقبول، بعد ارتكاب المعصية ، وهذا مزلقٌ خطيرٌ، ومنحدرٌ ينبغي الحذر منه

5 - العبرة الخامسة : الردّ على بني إسرائيل، وإظهار تهافت دعواهم، من خلال الأكاذيب، ففي قصة ملكة سبأ، مع نبي الله سليمان - عليه السلام - من الأخبار، ما ينافي الحقائق، ويتعارض مع الفهم السديد ، من ذلك ما تعرّض له ابن قتيبة في كتابه، وتأويل مختلف الحديث، في الردّ على أعداء أهل الحديث :-

" قالوا : حديث يكذبه النّظر ، قالوا : رويتم أنّ عوجاً اقتلع جبلاً، قدره فرسخٌ في فرسخ، على قدر عسكر موسى، فحمّله على رأسه ليطبقه عليهم، فصار طوقاً في عنقه، حتى مات ، وأنّه كان يخوض البحر، فلا يجاوز ركبتيه، وكان يصيد الحيتان من لجه، ويشويها في عين الشمس، وأنّه لما مات وقع على نيل مصر، فجسر للناس سنة، أي صار جسراً لهم يعبرون عليه، من جانب إلى جانب ، وأنّ طول موسى - عليه السلام - كان عشرة أذرع، وطول عصاه عشرة أذرع، ووثب من الأرض عشراً ليضربه، فلم يبلغ عرقوبه، قالوا : وهذا كذب بين، لا يخفى على عاقل، ولا على جاهل ، وكيف يجوز أن يكون من ولد آدم، من يكون بينه وبين آدم هذا التفاوت ، وكيف يطيق آدمي حمل جبلٍ على رأسه، قدره فرسخٌ في فرسخٍ ؟ قال أبو محمد :

1 - يوسف (آية : 24)

2 - (الطبري / جامع البيان) / (185/12)

ونحن نقول: إن هذا حديثٌ لم يأتِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن صحابته، وإنما هو خبرٌ من الأخبار القديمة، التي يرويها أهل الكتب، سمعه قوم منهم، على قديم الأيام، فتحدثوا به " (1)

فهذه أمورٌ منكرةٌ عقلاً وشرعاً، لا تصح روايتها، ولا يجوز تصديقها، والعمل على نشرها .
" والأقرب في مثل هذه السياقات، أنها متلفاةٌ عن أهل الكتاب، مما وجد في صحفهم ، كروايات كعب بن وهب - سامحهما الله تعالى - ، فيما نقلاه إلى هذه الأمة، من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان ولم يكن ، ومما حُرّف وبُذِل ونُسَخ " (2)

6 - العبرة السادسة: المقابلة بين منهج الإسلام وغيره، من الشرائع التي داخلها التحريف :-
وذلك من خلال الاطلاع على تلك المرويات، التي تناقض العقل والعقيدة ، والتي جعلها أهل الكتاب ديناً لهم ودستوراً، وكيف أنها مردودةٌ منبوذةٌ في منهج الإسلام، الرباني القويم، الذي لديه ميزانٌ ثابتٌ، يأخذ بالصحیح، ويذر السقيم . فكتاب كل أمةٍ هو مصدر التشريع لديها، وهو معدن الخلق، وأصل الخير، لأنه كتاب سماويٌّ، حتى أولئك الأقوام، الذين حرقوا كتابهم، فهم يرونه كذلك أيضاً، أو يتظاهرون بذلك على الأقل، وما المعابد والأديرة، إلا بعض تلك الظاهرة .

7 - العبرة السابعة : الالتفات إلى عظام الأمور والإعراض عن الصغائر :-
فقد نزل القرآن الكريم، وافيةً كافياً شافياً ، ولولا ذلك، لما كان كتاب تشريع، فيه الصلاحية والمرونة إلى قيام الساعة ، إلا أن العقول، التي لم تشغل جُلها بتلك الضرورات، من العقيدة والتشريع، أخذت تميل إلى الاستقصاء والاستيفاء، في شأن القصص القرآني، فلم تجد ما يُشبع تلك الرغبة، إلا الأخذ عن أهل الكتاب ، كما أن أهل الكتاب، قومٌ بارعون في نسج القصص وإحكام العقدة، وترتيب الأحداث، مع الترغيب والترهيب، والأخذ بمجامع النفس، وجذبها إلى الاستماع والأخذ ، سواء في ذلك الضروري من الحديث، أو المهمل الصغير، أو الكبير ، الظاهر أو المخفي .

ولمّا كان المسلم، يرغب في أن ينزّه نفسه عن الإسرائيليات، ويقلل من روايتها، فإن التزامه بالضرورات، والأمر الواضح، يخدم هذا الغرض لديه، ويعينه على تلك الغاية الشريفة . فما الذي يعني المسلم، من أن ستمائة امرأة، يكنّ يعملن على خدمة ملكة سبأ، أو أربع مائة (3)

1 - (ابن قتيبة) / تأويل مختلف الحديث) / ص 186 - 187

2 - (ابن كثير / تفسير القرآن العظيم) / (177/6)

3 - (السيوطي / الدر المنثور) / (205/5)

وما الذي يضيف جديداً أو ينقص من الموجود، إن كان اسم أخت موسى - عليه السلام -
مريم أو غيرها ؟

وأين الفائدة في أن يكون طعام امرأة العزيز، الذي قدّمته للنسوة هو الأترج، (1) أم اللّيمون،
فالجوهر هو المقصود، والمراد منه العبرة والفائدة والاستنتاج ، لا فرق في ذلك بين تعدد
الروايات، وكثرة الإضافات .

الخاتمة

الحمد لله ان وفق على إتمام هذا البحث، وأعانني على إخراجه بهذه الصورة، وما كان لهذا البحث ان يرى النور لولا عون الله ثم مساعدة أساتذتي الأفاضل، واخص منهم السيد الدكتور محسن الخالدي.

وانا هنا بصدد تلخيص البحث وإجمال نتائجه.

يتلخص البحث في الامور الآتية: —

اولاً: القصص لغة واصطلاحاً.

ثانياً: شخصية المرأة في القصص القرآني، وتناولت في هذا الباب ما يلي: —

□ شخصية المرأة المؤمنة.

□ شخصية المرأة الكفيرة.

ثالثاً: الإسرائيليات في القصص القرآني.

اما اهم النتائج التي توصلت اليها فهي: —

اولاً: اصل الخلق واحد، ابوهم آدم وخلق من تراب، وامهم حواء، وفي هذا تكذيب لمن روج بأن شعباً واحداً بالذات هو شعب الله المختار، وان باقي الشعوب إنما خلقت لخدمته.

ثانياً: الرجل والمرأة كلاهما مكلف، ولقد روعي اختلاف الجنس في التكليف مما يحقق التكامل والمصلحة، ويرتبط بدور كل في الحياة.

ثالثاً: نفي اللعنة عن جنس المرأة، وتفنيد المقولة بان حواء اخرجت ادم من الجنة، واثبات انهما سواء في المعصية، وسواء في التوبة والامانة.

رابعاً: الرابطة الصحيحة رابطة الدين لا رابطة القرابة او الزوجية، فلا ينفع الكافر ايمان زوج كما لا يضر المؤمن كفره.

خامساً: تبين للباحثة ان كثيراً من الروايات والاقاصيص لا علاقة لها بالعلم الصحيح وانما هي بعض من الاساطير والوهم والخرافة.

سادساً: الوحدة الموضوعية للقصص القرآني وحدثها العضوية المتمثلة بترابط لاحداث، وتسلسل الوقائع.

التوصيات والاقتراحات

توصي الباحثة من ينتدب نفسه للبحث في مجال القصص القرآني عامة، والمرأة في

القصص القرآني خاصة ان يعتمد التفسير الموضوعي منهجاً للبحث.

اعتماد آلية عمل لتخريج الروايات الاسرائيلية المثبتة في ثبث التفسير وردّها.

اجراء ابحاث في العقيدة ومقابلتها مع ما جاء في كتاب العهد القديم لتوضيح جراءة الاحبار على

افسادهم لعقيدة اهل الكتاب، ومن ذلك جرأتهم على الله وقضية تعدد الآلهة، واتهامهم بعض

الانبياء بالكبائر.

المراجع والمصادر

المراجع والمصادر

كتب التفسير

- 1 - (ابن الجوزي/ابوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد /زاد المسير في علم التفسير/تحقيق: احمد شمس الدين /دار الكتب العلمية/ط:1) 8 مجلدات
- 2 - (ابن تيميه /الامام نقي الدين احمد /مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير//دار السلام/ط:2) مجلد واحد
- 3 - (ابن عطية الاندلسي/القاضي : ابي محمد عبدالحق بن غالب//المحرر الوجيز/تحقيق عبد السلام عبدالشافى محمد//دار الكتب العلمية بيروت- لبنان - /ط:1) 8 مجلدات
- 4 - (ابن كثير/الامام الحافظ:عماد الدين ابوالفداء اسماعيل القرشي الدمشقي //تفسير القرآن العظيم//دار الكتب العلمية /ط:1) 9 مجلدات
- 5 - (ابوالسعود/ابن محمد العماري الحنفي//تفسير ابي السعود أو ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم//دار الفكر/ط:1)/تحقيق: عبدالقادر احمد عطا . 5 مجلدات
- 6 - ابوشهبة /محمد بن محمد // الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير /مكتبة السنة /ط: 4) مجلد واحد
- 7 - (ابوحيان/محمد بن يوسف الأندلسي الفرناطي /البحر المحيط في التفسير //دار الفكر/ بعناية : صدقي محمد جميل)11 مجلداً
- 8 - (الألوسي /أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي //روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني //مكتبة دار التراث/ط:2) 15 مجلداً
- 9 - (الامام ابن القيم/تفسير القيم//جمع: محمد ادريس الندوي/تحقيق: محمد حامد الفقي//دار الكتب العلمية/ط:1) مجلد واحد
- 10 - الأنصاري /أبو يحيى زكريا/فتح الرحمن بكشف ما يلتبس بالقرآن تحقيق: محمد علي الصابوني //عالم الكتب /ط : 1) مجلد واحد
- 11 - (الباقلائي //أبو بكر محمد بن الطيب//إعجاز القرآن /تحقيق: احمد صقر //دار المعارف /ط1963) مجلد واحد
- 12 - (البيضاوي/ناصر الدين ابوالخير عبدالله بن عمر الشيرازي //أنوار التنزيل واسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي //دار الفطر/ط:1) مجلد واحد
- 13 - الجزري / محمد بن علي بن يوسف //تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة //دار الكتب العلمية / ط : 1) مجلد واحد
- 14 - (الحنبلي /الامام المفسر ابو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي//اللباب في علوم الكتاب

(دار الكتب العلمية/ط:1) 20 مجلداً

15 - الخالدي /د. صلاح /القصص القرآني عرض أحداث وتحليل وقائع / (دار القلم /ط: 1) 4 مجلدات

16 - الذهبي/محمد حسين//التفسير والمفسرون// (دار الكتب الحديثة /ط:1) مجلدان

17- (الخازن /علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي // (لباب التأويل في معاني التنزيل // (دار المعرفة /ط:1) 4 مجلدات

18 - (الرازي/الامام الفخر) التفسير الكبير // (دار الكتب العلمية / ط : 2) 16 مجلداً

19 - (الزحيلي/د. وهبه/التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج// (دار الفكر المعاصر/ط:1) 16 مجلداً

20 - الزركشي// (الامام: بدر الدين محمد بن عبدالله // (البرهان في علوم القرآن//تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم // (دار المعرفة /ط:2) 3 مجلدات

21 - (الزمخشري /ابوالقاسم جاد الله محمود بن عمر الخوارزمي // (الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقدال// (دار الفكر /ط:الأخيرة) 4 مجلدات

22 - (السمين الحلبي /شهاب الدين ابو العباس بن يوسف بن محمد بن ابراهيم// الدر المصون في علوم الكتاب المكنون// (دار الكتب العلمية /ط:1) 7 مجلدات

23 - (السيوطي /الامام: جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر// (الدر المنثور في التفسير بالمأثور // (دار الكتب العلمية / ط :) 6 مجلدات

24 - السيوطي /الإمام : جلال الدين /لباب النقول في أسباب النزول /اعتنى به عبداً لمجيد طعمه حلبي // (دار المعرفة / ط: 1) مجلد واحد

25 - السيوطي/شيخ الاسلام جلال الدين عبدالرحمن// (الاتقان في علوم القرآن// (دار المعرفة/ط:4) مجلد واحد

26 - (الشنقيطي/محمد الأمين بن محمد المختار الجكي// (أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن // (عالم الكتب /ط:1) 10 مجلدات

27 - (الشوكاتي /محمد بن علي بن محمد//فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير // (دار إحياء التراث العربي /ط:1) 5 مجلدات

28 - (الصابوني/محمد علي// (صفوة التفاسير // (دار الصابوني/ ط: 9) 3 مجلدات

29 - (الطبري/ابوجعفر محمد بن جرير // (جامع البيان في تفسير القرآن // (مصطفى الحلبي /ط: 3) 12 مجلداً

30 - (الفيروزاباري/مجدالدين محمد بن يعقوب//بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز /المكتبة العلمية /ط:1) 6 مجلدات

- 31 - (القاسمي /محمد جمال الدين)/تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل// (دار الفكر /ط:2) 10 مجلدات
- 32 - (القرطبي/ابومحمد عبدالله بن احمد الأنصاري)//(الجامع لأحكام القرآن)//(دار الكتب العلمية /ط:2) 18 مجلداً
- 33 - القرني /عاطف بن عبدا شه // (اقرأ باسم ربك // (دار ابن حزم / ط: 1) مجلد واحد
- 34 - (القشيري/الامام :ابوالقاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك النيسابوري الشافعي تفسير القشيري المسمى :لطائف الاشارات /تحقيق عبدالملك حسن عبدالرحمن // (دار الكتب العلمية /ط:1)
- 35 - (المحلي والسيوطي)//(العلامة جلال الدين محمد بن احمد ، والعلامة المتبحر جلال الدين عبدالرحمن ابي بكر)//(تفسير الجلالين)//(مكتبة الملاح /ط:1) مجلد واحد
- 36 - (المراغي/احمد مصطفى)//تفسير المراغي // (دار احياء التراث / ط : 1) 10 مجلدات
- 37 - المولى /أبوا فضل البخاري شحاته/القصص القرآني / ط : 1) مجلد واحد
- 38 - (النسفي/ابوالبركات عبدالله احمد بن محمود)//(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)//(دار الفكر/ط:1) مجلدان
- 39 - (البقاعي/برهان الدين ابوالحسن ابراهيم بن عمر)//(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)تحقيق : عبدالرازق غالب المهدي /دار الكتب العلمية /ط:1) 8 مجلدات
- 40 - (تعليبي /أد. عبدالمنعم)فتح الرحمن في تفسير القرآن// (دار السلام /ط:1) 9 مجلدات
- 41 - (حجازي/محمد محمود)//(التفسير الواضح)//(دار الجيل/ط:4) . 3 مجلدات
- 42 - (حوي/سعيد)//الأساس في التفسير // (دار السلام للطباعة والنشر/ط:1) 12 مجلداً
- 43 - (رضا/محمد رشيد)//(تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار)//(دار الفكر / ط:2) 11 مجلداً
- 44 - عباس /حسن /القصص القرآني ابحاؤه ونفحاته // (دار الفرقان / ط : 1) مجلد واحد
- 45 - عباس / سناء فضل //عجاز القرآن الكريم / ط : 1) مجلد واحد
- 46 - فضل الله /محمد حسين /الحوار في القرآن - قواعده - أساليبه - معطياته / (الدار الإسلامية / ط : 1) مجلد واحد
- 47 - (قطب/سيد/في ظلال القرآن // (دار الشروق /ط:17) 6 مجلدات
- 48 - (مغنيه /محمد جواد)//(التفسير الكاشف)//(دار العلم للملايين / ط : 1) 7 مجلدات

كتب الحديث

- 49 - ابن أبي شيبة /أوبكر عبدالله بن محمد الكوفي /مصنف ابن أبي شيبة /تحقيق :كمال يوسف الحوت /(مكتبة الرشد الرياض /ط:1) . 8 مجلدات
- 50 - ابن حجر /احمد بن علي العسقلاني /فتح الباري شرح صحيح البخاري (دار المنار) 12 مجلداً
- 51 - ابن حجر /شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني الشافعي /تقريب التهذيب (بناية :عادل مرشد)(مؤسسة الرسالة /ط:1) . مجلد واحد
- 52 - ابن حجر / شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني /(كتاب تهذيب التهذيب)/(دار الفكر /ط:1) 12 مجلداً
- 53 - ابن حجر /شهاب الدين ابو الفضل أحمد بن علي العسقلاني/(الإصابة في تمييز الصحابة (دار الفكر / ط : 1) 7 مجلدات
- 54 - ابن حنبل / أحمد /مسند الامام أحمد وبهامشة منتخب كنز العمال في سنن الأقال والأفعال /(دار الفكر /ط : 1) 6 مجلدات
- 55 - ابن قتيبة الدينوري /كتاب :تأويل مختلف الحديث في الرد على اعداء اهل الحديث /(مكتبة المتنبى /ط:3) مجلد واحد
- 56 - البخاري /عبدالله اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزبه الجعفي /صحيح البخاري /تحقيق الشيخ :عبدالعزیز بن باز /(دار الفكر :ط:1) 5 مجلدات
- 57 - الترمذي / محمد بن عيسى بن سودة /سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح /(دار الفكر /ط:2) 5 مجلدات
- 58 - الجرجاني / عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبواحمد / الكامل في ضعفاء الرجال /تحقيق : يحيى مختار غزاوي) /(دار الفكر - بيروت/ ط:1) 15 مجلداً
- 59 - الخطيب البغدادي / أوبكر احمد بن علي /تاريخ بغداد أو مدينة السلام / تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا /دار الكتب العلمية (ط:1) 19 مجلداً
- 60 - (الروياتي /محمد بن هارون ابوبكر)مسند الروياتي)/(مؤسسة قرطبة /القاهرة/ط:1)
- 61 - الذهبي /شمس الدين محمد بن أحمد /ميزان الاعتدال في نقد الرجال) /(دار الكتب العلمية ط : 1) 17 مجلداً
- 62 - الصديقي /محمد بن علان الشافعي الأشقري المكي /دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين تحقيق: زكريا نعيرات /دار العلم / ط : 1) 4 مجلدات
- 63 - القاسمي /محمد جمال الدين /قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث /(دار الكتب

العلمية / ط : 1) مجلد واحد

5. 64 - المناوي / عبدالرؤوف / فيض القدير / المكتبة التجارية الكبرى - مصر (ط : 1) مجلدات

65 - النيسابوري / ابو عبدالله بن عبدالله الحاكم / المستدرك على الصحيحين

تحقيق : محمد مصطفى عبدالقادر عطا / (دار الكتب / ط : 1) 4 مجلدات

66 - رتبته ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره د. أ. ي. ونسنيك (أستاذ العربية بجامعة

ليدن) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب . 7 مجلدات

67 - زغلول / خادم السنة المطهرة : ابوهاجر محمد السعيد بن بسيوني / موسوعة أطراف

الحديث النبوي الشريف / (عالم التراث / بيروت ط : 1) 11 مجلداً

68 - مالك / ابن أنس / كتاب الموطأ / برواية يحيى بن يحيى بن كثير الليثي القرطبي /

(دار الفكر / ط : 1) مجلد واحد

69 - مسلم / ابن مسلم القشيري النيسابوري / الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم /

ط : 2) 3 مجلدات

كتب اللغة

- 70 - ابن المبارك اليزيدي / ابو عبدالرحمن عبدالله بن يحيى / غريب القرآن وتفسيره // حقه
وعلق عليه : محمد سليم الحاج // (عالم الكتب / ط: 1) مجلد واحد
- 71 - ابن منظور / أبو الفضل محمد بن مكرم الافريقي / لسان العرب // (دار الفكر / ط: 3) 15
مجلداً
- 72 - الأصفهاني / الراغب / مفردات الفاظ القرآن / تحقيق : صفوان عدنان داوودي // (دار القلم
/الدار الشامية / ط: 1) مجلد واحد
- 73 - الثعالبي / ابومنصور / فقه اللغة وسر العربية / ط عام 1972 مجلد جديد
- 74 - الجاحظ / ابو عثمان عمرو بن كرم / (البيان والتبيين / دار الفكر / ط: 1) مجلدان
- 75 - الجارم / أمين مصطفى - علي مصطفى / البلاغة الواضحة (البيان - المعاني - والبديع) /
الناشر محمد أمين دمج / ط: 1) مجلد واحد
- 76 - الجوهرى / ابو نصر اسماعيل بن حماد / تاج اللغة وصحاح العربية / تحقيق د. اسيل
يعقوب د. محمد طريفي // (مشورات محمد علي / ط: 1) 7 مجلدات
- 77 - الزبيدي الواسطي / محي الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الحنفي
/ شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس // (دار الفكر للطباعة والنشر / ط:
1) 10 مجلدات
- 78 - الزجاج / ابواسحاق ابراهيم بن السري / معان القرآن و اعرابه / تحقيق د. عبدالجليل عبده
شليبي // (عالم الكتب / ط: 1) 5 مجلدات
- 79 - العسكري / أبو هلال / الفروق في اللغة / تحقيق : لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق
الجديدة // (منشورات دار الآفاق الجديدة / ط: 1) مجلد واحد
- 80 - الفراء / ابوزكريا يحيى بن زياد / معاني القرآن // (عالم الكتب بيروت / ط: 2) 3
مجلدات
- 81 - القالي / ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي كتاب الامالي (دار الحكمة /
ط: 1) مجلد واحد
- 82 - المعجم الوسيط / قام باخراجه (ابراهيم مصطفى / احمد الزيات) / حامد عبدالقادر / محمد
النجار (اشرف على طبعه : عبدالسلام هارون // (دار احياء التراث العربي / ط: 1)
مجلدان
- 83 - النحاس / ابوجعفر احمد بن اسماعيل // (اعراب القرآن) / تحقيق د. زهير غازي
زاهر // (عالم الكتب / مكتبة النهضة / ط: 1) 5 مجلدات

- 84 - الهاشمي/احمد /جواهر الأدب / (دار الفكر / ط: 1) مجلد واحد
- 85 - ضيف /شوقي / (في النقد الأدب) / (دار الفكر / ط: 1) مجلد واحد
- 86 - لعبيبي /حاكم مالك / (الترادف في اللّغة) / منشورات وزارة الثقافة والإعلام في
الجمهورية العراقية سلسلة دراسات (221) مجلد واحد

كتب التاريخ

- 87 - (ابن الأثير /أبوا لحسن علي بن أبي الكرام محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدا
لواحد السثياي الجزري الملقب بعزّ الدين) //الكامل في التاريخ(دار الكتاب العربي/ط:4)
10 مجلدات
- 88 - (ابن الجوزي /أبوا لفرج عبدا لرحمن بن علي بن محمد //المنتظم في تاريخ الملوك
والأأم دراسة وتحقيق محمد عبدا لقادر عطا/ مصطفى عبدا لقادر عطا) //دار الكتب
العلمية /ط:1) 16 مجلداً
- 89 - (ابن عساكر /الإمام الحافظ :أبوا لقاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدا لله
الشافعي) //تاريخ مدينة دمشق /دراسة وتحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة
العمرى) //دار الفكر / ط: 1) 70 مجلداً
- 90 - (ابن كثير /أبوا لفاء) //البداية والنهاية //دار الفكر /ط:1) 6 مجلدات
- 91 - (الطبري /أبو جعفر محمد بن جرير) //تاريخ الطبري /تاريخ الأأم والملوك) //دار الكتب
العلمية (6 مجلدات

كتب متنوعة

- 92 - ابن خلدون//عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي//مقدمة ابن خلدون//دار احياء التراث العربي /ط:1) مجلد واحد
- 93 - (ابن قيم الجوزية /شمس الدين ابو عبدالله /الروح : في الكلام على ارواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة وأقوال العلماء)//تقديم : محمد قطب وبرهان الدين البقاعي //المكتبة العصرية /ط: 2) مجلد واحد
- 94 - ابن كثير /أبوا لفاء إسماعيل //السيرة النبوية /دار الفكر /ط: 1) 4 مجلدات
- 95 - ابن نجيم/العلامة: زين الدين بن ابراهيم الحنفي//الأشباه والنظائر (تحقيق: محمد مطيع الحافظ//دار الفكر /ط:1) مجلد واحد
- 96 - ابن هشام //ابومحمد عبدالملك المعاقري//السيرة النبوية /مكتبة الايمان /ط:1) 4 مجلدات
- 97 - ابوشهبة /محمد بن محمد // الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير //مكتبة السنة /ط: 4) مجلد واحد
- 98 - الأنصاري /أبو يحيى زكريا /فتح الرحمن يكشف ما يلتبس بالقرآن تحقيق : محمد علي الصابوني //عالم الكتب /ط : 1) مجلد واحد
- 99 - (الباقلائي //أبو بكر محمد بن الطيب)//إعجاز القرآن /تحقيق :احمد صقر //دار المعارف /ط1963) مجلد واحد
- 100 - البغدادي//عبدالقاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني التميمي//الفرق بين الفرق//تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد//دار المعرفة /ط:1) مجلد واحد
- 101 - البوطي/سعيد رمضان//فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة //دار السلام/ط:4) مجلد واحد
- 102 - الثعلبي /أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري /قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس //دار الكتب العلمية /ط : 1) مجلد واحد
- 103 - الجزري / محمد بن علي بن يوسف //تحرير التيسير في قراءات الأئمة العشرة //دار الكتب العلمية / ط : 1) مجلد واحد
- 104 - الخالدي /صلاح //القصص القرآني عرض أحداث وتحليل وقائع //دار القلم /ط: 1) 4 مجلدات
- 105 - الخضري/محمد بك//نور اليقين في سيرة المرسلين//دار الكتب العلمية/ط:1) مجلد واحد

- 106 - الذهبي/محمد حسين/(التفسير والمفسرون)/(دار الكتب الحديثة/ط:1) مجلدان
- 107 - الرازي/الإمام الأصولي النظار المفسر فخرًا لدين محمد بن عمر بن الحسين / (المحصول في علم الأصول)/(تحقيق: جابر فياض العلواني)/(مؤسسة الرسالة/ط: 1) 15 مجلداً
- 108 - الزركشي/(بدر الدين محمد بن عبدالله)/(البرهان في علوم القرآن)/(تحقيق:محمد ابوالفضل ابراهيم)/(دار المعرفة/ط:2) 3 مجلدات
- 109 - السباعي/د.مصطفى/(السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي)/(المكتب الاسلامي/ط:2) مجلد واحد
- 110 - السيوطي/ جلال الدين/لباب النقول في أسباب النزول/اعتنى به عبدالمجيد طعمه حلبي/(دار المعرفة/ط: 1) مجلد واحد
- 111 - السيوطي/ جلال الدين عبدالرحمن/(الاتقان في علوم القرآن)/(دار المعرفة/ط:4) مجلد واحد
- 112 - العيسوي/عبدلرحمن/سيكولوجية الإعاقة الجسمية والعقلية مع سبل العلاج والتأهيل/مؤسسة كتب: علم النفس الحديث/دار الراتب الجامعية/ط: 1) مجلد واحد
- 113 - القرني/عاطف بن عبد الله/(إقرأ باسم ربك)/(دار ابن حزم/ط: 1) مجلد واحد
- 114 - الغزالي/زينب/أيام من حياتي/ط: 1) مجلد واحد
- 115 - المولى/أبو فضل البخاري شحاته/القصص القرآني/ط: 1) مجلد واحد
- 116 - امين/احمد/(فجر الاسلام)/(مطبعة الاعتماد/ط:1) مجلد واحد
- 117 - خليل/عماد الدين/(دراسة في السيرة)/(مؤسسة الرسالة/ط: 1) مجلد واحد
- 118 - عباس/حسن/القصص القرآني ابحاؤه ونفحاته/(دار الفرقان/ط: 1) مجلد واحد
- 119 - عباس/سناء فضل/إعجاز القرآن الكريم/ط: 1) مجلد واحد
- 120 - عبد العزيز/ أمير/(معالم الثقافة الإسلامية)/(ط: 6) مجلد واحد
- 121 - فضل الله/محمد حسين/الحوار في القرآن - قواعده - أساليبه - معطياته / (الدار الإسلامية/ط: 1) مجلد واحد
- 122 - قطب/محمد/(مذاهب فكرية معاصرة)/(دار الشروق/ط: 1) مجلد واحد
- 123 - منصور/أنيس/الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله/الزهراء للإعلام/ط: 7) مجلد واحد

فهرس آیات و الام حامیث

فهرس الآيات

رقم الآية	الآية	رقم السورة	السورة
30	وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة	2	البقرة
34	اسجدوا لآدم		
35	وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة		
36	فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه		
37	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه		
47	يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم		
146	الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم		
155	ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع		
221	أولئك يدعون إلى النار		
221	ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمنن ولامة مؤمنة خير من مشركة		
246	إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم		
33	إن الله اصطفى آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين		
35	إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك		
36	فلما وضعتها قالت رب إنني وضعتها أنثى		
37	فتقبلها ربها بقبول حسن		
39	إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله		
42	إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك		
43	يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين		
44	وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم		
45	إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك		
62	إن هذا له القصص الحق		
93	كل الطعام كان حل لبيبي إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه		
110	كنتم خير أمة أخرجت للناس		

135	والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم				
137	وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب				
4	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة	4	النساء		
28	وخلق الإنسان ضعيفاً				
53	أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً				
156	ويكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً				
171	يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم				
66	ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل			5	المائدة
75	ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل				
22	إن الشيطان لكما عدو مبين				
23-22	وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ، قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين	7	الأعراف		
83	فأنجيناه وأله إلا امرأته كانت من الغافلين				
89	وهو الذي خلقكم من نفس واحدة				
138	اجعل لنا إلهاً				
157	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي				
175	واتل عليهم نبأ الذي أتينا آياتنا فانسلك منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين				
189	هو الذي خلقكم من نفس واحدة				
190	فلما آتاها صالحاً جعل له شركاء				
113	ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفرا للمشركين			9	التوبة
26	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة			10	يونس
40	حتى إذا جاء امرنا وفار التور	11	هود		
73	قالوا أتعجبين من أمر الله				
120	وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك				
3	نحن نقص عليك أحسن القصص				
7	لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب	12	يوسف		
23	وراودته التي هو في بيتها عن نفسه				

25	واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر .		
24	ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه		
26	قال هي راودني عن نفسي		
28	انه من كيدكن ان كيدكن عظيم		
31	فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن		
35	ثم بدا لهم مبعدهما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين		
51	قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه		
110	لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين		
55	قالوا بشرناك بالحق	15	الحجر
58	وإذا بشر أحدهم بالأنثى	16	النحل
72	والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً		
82	وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين	17	الاسراء
85	وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً		
16	وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله	18	الكهف
20	انهم ان يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم		
39	فارتدا على آثارهما قصصاً		
82	وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً		
16	واذكر في الكتاب مريم	19	مريم
18	قالت إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً		
19	إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً		
20	قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر		
21	قال كذلك قال ربك هو علي هين		
23	فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة		
25	وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً		
27	فانتت به قومها تحمله قالوا		
28	فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً		
29	كيف نكلم من كان في المهد صبياً		
95	وكلهم آتية يوم القيامة فرداً		
12	هل أدلكم على شجرة الخلد وملك لا يفنى	20	طه

36	ولقد مننا عليك مرة أخرى		
37	فليلقه اليم في الساحل		
40	إذ تمشى أختك فتقول هل أتدلكم على من يكفله		
121	وعصى آدم ربه فغوى		
122	ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى		
123	فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى		
124	ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا		
78	وكنا لحكمهم شاهدين	21	الانبياء
38	إن الله يدافع عن الذين آمنوا	22	الحج
63	فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتته	24	النور
35	قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم	26	الشعراء
214	و أنذر عشيرتك الاقربين		
20	إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم	27	النمل
20	وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين		
21	لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين		
22	فقال أحط بما لم تحط وجئتك من سبأ نبأ يقين		
23	إني وجدت امرأة تملكهم و أتيت من كل شيء		
26	و جدتها و قومها يسجدون للشمس من دون الله		
27	قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين		
29	قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم		
30	إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم		
31	ان لا تعلموا على واتوني مسلمين		
32	قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري		
33	قالوا نحن أولوا قوة و أولوا باس شديد		
34	قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها		
35	و إني مرسله إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون		
36	فلما سليمان قال أتمدني بمال		
36	إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله		
37	ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها		

38	قال يا أيها الملأ أيكم يأتي بي بعرشها		
40	أشكر أم اكفر		
40	ومن شكر فإنما يشكر لنفسه		
43	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم		
44	انه صرح ممرد من قوارير		
7	وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه	28	القصص
9	وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه		
9	عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا		
10	وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً		
13	فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن		
26	قالت إحداهما يا أبت استأجره لنا إن خير من استأجرت القوي الأمين		
46	وما كنت بجانب الطور		
56	انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي مي يشاء		
33	إلا امرأته قدرناها من الغابرين	29	العنكبوت
132	لننجيه و أهله إلا امرأته كانت من الغابرين		
21	ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها	30	الروم
33	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	31	لقمان
17	فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين	32	السجدة
36	ما كان لمؤمن ولا مؤمنة	33	الاحزاب
72	إنا عرضنا الأمانة على السماوات والجبال		
6	إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا	35	فاطر
101	وبشرناه بغلام حليم	37	الصافات
112	وبشرناه بإسحاق		
135	إلا عجوزاً في الغابرين		
41	واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه إنني مسني الشيطان بنصب وعذاب	38	ص
44	وخذ بيدك ضعفاً فضرب به ولا تحنث		
82	فبعزتك لأغوينهم أجمعين		

6	خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها	39	الزمر
73	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا		
34	كأنه ولي حميم	41	فصلت
48	وظنوا ما لهم من محيص		
29	محمد رسول الله والذين آمنوا معه	48	الفتح
13	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى	49	الحجرات
28	وبشروه بغلام عليم	51	الذاريات
29	فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها		
32	والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش	53	النجم
16	فاتقوا الله ما استطعتم	64	التغابن
11	ضرب الله مثلاً للذين آمنوا	66	التحريم
12	ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها		
14	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	67	الملك
27	لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً	71	نوح
5	إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً	73	المزمل
31	وما يعلم جنود ربك إلا هو	74	المدثر
34	يوم يفر المرء من أخيه	80	عبس
4	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	95	التين
5	ومن شر حاسد إذا حسد	113	الفلق

فهرس الاحاديث الشريفة

1	(إذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم...)	(البخاري/كتاب التفسير/باب: قولوا آمنا بالله)
2	(أستوصوا بالنساء خيراً)	(البخاري/كتاب: أحاديث الأنبياء/باب: خلق آدم)
3	(اعددت لعبادي الصالحين...)	البخاري/كتاب: تفسير القرآن/باب: فلا تعلم نفسك)
4	(إن الله تجاوز لي عن أمتي)	(البخاري/كتاب العتق/باب الخطأ)
5	(إن الله يحب أن تؤتى رخصة...)	(ابن حنبل/حديث ابن عمر/108/2)
6	(إنك لا تهدي من أحببت)	(البخاري/كتاب: التفسير/باب: إنك لا تهدي من أحببت)
7	(إني سألتك عن ثلاث...)	(البخاري/كتاب: مناقب الأنصار/باب: 51)
8	(أوصيكم بتقوى الله...)	(الترمذي/باب: الاخذ بالسنة واجتناب البدعة)
9	(أول ما أتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل...)	البخاري/كتاب احاديث الانبياء/بابيزفون/النسلان في المشي)
10	(تخاخ آدم وموسى، فحج آدم موسى)	(مسلم/كتاب القدر/باب: حجاج آدم وموسى)
11	(حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)	البخاري/كتاب: احاديث الانبياء/باب: ما ذكر عن بني إسرائيل)
12	(خذوا له عتكالاً فيه شمراخ)	ابن حنبل/حديث سعيد بن سعد عباده/222/5)
13	(خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة)	(البخاري/كتاب التفسير/باب: وإذا قال موسى لفتاه)
14	(سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)	(البخاري/كتاب الزكاة/باب: الصدقة باليمين)
15	(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي...)	البخاري/كتاب الاعتصام/باب الاقتداء بسنن رسول الله عليه السلام)
16	(كامل من الرجال كثير...)	البخاري/كتاب: فضائل/باب مناقب فاطمة)
17	(لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات)	البخاري/كتاب النكاح/باب: اتخاذ السراري)
18	(لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم)	البخاري/كتاب: احاديث الانبياء/باب: خلق آدم)

19	(لولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر)	(مسلم/كتاب:الرضاع/باب:لولا حواء)
20	(ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان)	(مسلم/كتاب:الفضائل/باب:فضائل عيسى)
21	(من صنع اليه معروف فقال...)	(الترمذي/ابواب:تفسير القرآن)
22	(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)	الترمذي/باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليه
23	(موضع سوط احدكم في الجنة خير...)	(البخاري/كتاب:الرقاق/باب:مثل الدنيا في الآخرة)
24	(هذا الناموس الذي نزل على موسى)	(البخاري/كتاب بدء الوحي/باب:3)
25	(وأينا لا يظلم نفسه)	(البخاري/كتاب:التفسير/باب:ولم يلبسوا...)
26	(يا معشر المسلمين، كيف تسألون...)	(البخاري/كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب:لاتسألون)
27	(يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا انفسكم)	(البخاري/كتاب الوصايا/باب هل يدخل)

ملخص اللغة الإنجليزية